



الدولة العباسية

مراحل تاريخها وحضارتها

تقديم ومراجعة

المؤرخ أ.د. عصام شبارو



الدولة العباسية

الدولة العباسية

مراحل تاريخها وحضارتها

(132 ـ 656هـ/ 750 ـ 1258م)

الدكتورة سوزي حمود

أستاذ التاريخ الإسلامي في الجامعة اللبنانية

تقديم ومراجعة

المؤرخ أ.د عصام شبارو



دار النهضة العربية



رقم الكتاب : 19176
اسم الكتاب : الدولة العباسية
المؤلف : د. سوزي حمود
الموضوع : تاريخ
رقم الطبعة : الأولى
سنة الطبع : 2015م. 1436هـ
القياس : 17 × 24
عدد الصفحات : 285

منشورات : دار النهضة العربية

بيروت ـ لبنان

بيروت ـ شارع الجامعة العربية ـ مقابل كلية طب الاسنان

بناية اسكندراني رقم 3 ـ الطابق الأرضي والاول

تلفون : 854161 ـ 1 ـ 961 +
فاكس : 833270 ـ 1 ـ 961 +
ص ب : 0749 ـ 11 رياض الصلح
بيروت 072060 11 ـ لبنان
بريد الكتروني: e-mail: darnahda@gmail.com

ISBN 978-614-402- 825-4

تقديم

المؤرخ أ. د عصام شبارو

إنها المرة الثانية التي تطلب فيها، أن أراجع كتابها قبل إرساله إلى المطبعة، وأن أقدم له بكلمة قصيرة جداً. ففي المرة الأولى، قصدتني الدكتورة سوزي حمود، وهي تحمل نسخة بخطها عن كتابها: «الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي 362 ـ 923هـ/ 973 ـ 1517م»، وصدر هذا الكتاب عن دار النهضة العربية في بيروت سنة 2010م، وأهدتني نسخة منه.

والدكتورة سوزي حمود، ولدت في الإسكندرية وتخرجت في «فكتوريا كولدج»، حيث حصلت على الثانوية العامة، وهذه الكلية، على غرار مدرسة الإنكليز في بيروت، من أشهر كليات الارساليات الانكليزية في المشرق العربي. ثم عادت مع أسرتها إلى بيروت، لتلتحق طالبة في قسم التاريخ ـ كلية الآداب والعلوم الانسانية (الفرع الأول) ـ الجامعة اللبنانية، فحصلت على الاجازة التعليمية، لتتابع دراساتها العليا، بإشرافي، سواء في رسالة الماجستير التي نالت عليها درجة جيد جداً مع تنويه لجنة المناقشة، أو في أطروحة الدكتوراه في التاريخ العباسي التي نالت عليها درجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى، ونادراً ما يحصل الطالب على مثل هذه الدرجة.

التحقت الدكتورة سوزي حمود، سنة 2008، للمرة الثانية بقسم التاريخ الذي

تخرجت فيه، ولكن هذه المرة، بصفة أستاذ التاريخ الاسلامي لمواد خمس: تاريخ المغرب والأندلس وحضارتهما، تاريخ لبنان في العصر الوسيط وحضارته، الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وحضاراتهم، تاريخ الدولة العباسية وحضارتها، ومدخل إلى تاريخ شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

وفوجئت أنها خلال خمس سنوات، من التدريس الجامعي، وضعت أربعة كتب، تسهيلاً لطلاب قسم التاريخ، دون أن تصاب بالغرور، وهي تشعر بأنها ما زالت طالبة علم، تستشيرني في معلومات كثيرة، وهي تضع كتابها الخامس هذا، في السنة السادسة من تدريسها الجامعي. حتى أنها لم تتورع ذات مرة عن مخاطبتي قائلة: «ليتني أتمكن من سكب كل علمك وتجربتك وخبرتك في كوب واحد لارتوي منه». وهذا يعني أنها متعطشة للحصول على علم وتجربة وخبرة أساتذتها الكبار الذين سبقوها، في طموح وإصرار، لتصبح مؤرخة.

شعرت بالارتياح، وأنا أقرأ النسخة المخطوطة من كتاب الدولة العباسية تاريخها وحضارتها، لاستمرار تقيد الدكتورة سوزي حمود بملاحظاتي ونصائحي منذ أن كانت طالبة تعد أطروحة الدكتوراه، وفي طليعتها الاعتماد على المصادر العربية، في الدرجة الأولى، في كتابة التاريخ العربي الاسلامي في العصر الوسيط، وليس الاعتماد على المراجع العربية والأجنبية التي استسهل واضعوها الأمر، وهم يتناقلون بعضهم عن بعض، جمل وفقرات وأفكار وتواريخ، تتكرر فيها الأخطاء التاريخية التي ما إن وقع فيها أحد المراجع، حتى تقع فيها المراجع الأخرى، وهذا ما يؤكد أن العودة إلى النبع الغزير داخل المصدر، أفضل بكثير من العودة إلى النهر أو روافده داخل المرجع.

كما كانت حريصة في اعتماد التاريخ الهجري، وأساسه المصادر العربية، مع اعتماد ما يوافقه في التاريخ الميلادي، حتى تكتمل الفائدة. وكان كتاب «التوفيقات الالهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية» للواء محمد

مختار باشا سنداً لها في هذا الاعتماد. مع العلم أن برامج الكومبيوتر الحديثة تكشف سريعاً ما يوافق التاريخ الهجري أو التاريخ الميلادي بدقة متناهية.

واللافت في كتابها الجديد «الدولة العباسية مراحل تاريخها وحضارتها» (132 ـ 656هـ/ 750هـ/ 1258م) مخالفتها لجميع المؤرخين المعاصرين الذين اتفقوا على تقسيم تاريخ الدولة العباسية إلى أربعة عصور، استناداً إلى نفوذ العنصر الفارسي أو التركي في كل عصر وهي على التوالي: عصر النفوذ الفارسي (132 ـ 232هـ/ 750 ـ 846م)، عصر النفوذ التركي (232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م)، عصر النفوذ البويهي «الفارسي» (334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)، عصر النفوذ السلجوقي «التركي» (447 ـ 656هـ/ 1055 ـ 1258م).

خالفت جميع المؤرخين المعاصرين في تقسيم تاريخ الدولة العباسية، مع أن عنوان أطروحة الدكتوراه التي أعدتها بإشرافي هو:

«دور المرأة السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في البلاط العباسي الثاني (232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م)» وهو ما يتوافق مع التقسيم المتفق عليه. فإذا بها في هذا الكتاب، تبتدع تقسيماً جديداً، يعتمد عناوين غاية في الدقة التاريخية، وهي تحول تاريخ الدولة العباسية إلى ست مراحل، وليس أربعة عصور، هي: مرحلة التأسيس (132 ـ 158هـ/ 750 ـ 775م)، مرحلة القوة والازدهار (158 ـ 232هـ/ 775 ـ 847م)، مرحلة النفوذ التركي (232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م)، مرحلة النفوذ البويهي «الفارسي» (334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)، مرحلة النفوذ السلجوقي «التركي» (447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)، ومرحلة الشيخوخة والسقوط على يد المغول (590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م).

وإذا كانت معظم المراجع العربية، تتناول أحد العصور العباسية، الأول أو الثاني أو الثالث أو الرابع، أو عهد أحد خلفاء بني العباس، وخاصة: أبو العباس

السـفاح، أبـو جعفـر المنصـور، هـارون الرشـيد، عبـد اللـه المأمـون، والمقتـدر باللـه. فـإن القلـة من المراجـع العربيـة تناولـت التاريـخ السـياسي للدولـة العباسـية بعصورهـا المختلفـة، والقلـة أيضـاً تطرقـت إلى التاريـخ الحضـاري لهـذه الدولـة. مـا جعـل الدكتـورة سـوزي حمـود تتطلـع إلى وضـع كتـاب موجـز عـن تاريـخ الدولـة العباسـية وحضارتهـا، بطريقـة جديدة، غـير مألوفة لـدى المؤرخين المعاصريـن، سـواء في تقسـيم تاريـخ هـذه الدولـة إلى سـت مراحـل، أو في هـذا التقسـيم الجديـد الـذي أفـردت لـه أربعـة عـشر فصـلاً، تحمـل أربعـة عـشر عنوانـاً في تسلسـل تاريخـي، تضـم مائـة واثنـين وخمسـين عنوانـاً فرعيـاً، بينها سـتة وأربعـون عنوانـاً حضارياً ومائة وسـتة عناوين سياسـية، في تسلسـل تاريخـي أيضـاً، يوضـح التاريـخ السـياسي والحضـاري في اندماج متسلسـل حسـب تاريخ العنـوان، ودون الفصـل بـين التاريـخ السـياسي وبـين التاريـخ الحضـاري، فقـد افـردت ثمانيـة عـشر عنوانـاً فرعيـاً لـدور المـرأة موزعـة حسـب فـترة الخليفـة الـذي شـهد هـذا الـدور. كما أفردت سـتة عناويـن فرعيـة تـبرز سـتة مذاهـب أيضاً حسـب فترة الخليفة الذي شـهد وفاة صاحـب كل مذهـب، وهـم: الإمـام الأوزاعـي، الإمـام جعفـر الصـادق، الإمـام أبـو حنيفة، الإمـام مالـك، الإمام الشـافعي، والإمـام أحمـد بـن حنبـل. أمـا العناويـن الفرعيـة الحضاريـة الباقيـة، فتتعلـق ببناء المـدن الحواضر مثـل الهاشـمية وبغـداد وسر مـن رأى، فضـلاً عـن بنـاء القصـور، مثـل: الذهـب، الخلـد، السـلام، الحسـني، الجوسـق، الحـيري، وذلـك أيضاً في المكان المناسـب حسـب فـترة حكم الخليفـة الذي بنى المدينـة أو القـصر. دون إغفـال حسـن توزيـع سـبع خرائـط عـلى سـتة فصـول، فيها خمـس خرائط تتعلـق بقيـام الدولـة العباسـية وحدودهـا وتفتتهـا وحاضرتهـا بغـداد، وخريطـة لـكل مـن قرطبـة والقاهرة.

ولم تغفـل أيضـاً، إبـراز الخلفـاء العباسـيين السـبعة والثلاثـين في عناويـن رئيسـية لسـبعة فصـول تحمـل أسـماء ثمانيـة خلفـاء، هـم: أبـو العبـاس السـفاح، أبـو جعفـر

المنصور، محمد المهدي (وفيه عنوان فرعي للهادي)، هارون الرشيد، الأمين والمأمون، المعتصم بالله، والمقتدر بالله. بينما ظهرت بقية أسماء الخلفاء التسعة والعشرين في عناوين فرعية داخل الفصول السبعة الباقية التي اختارت لها عناوين رئيسية تتماشى مع الأحداث التاريخية، مثل: «تلاعب القادة الأتراك بالخلافة في فترة الفوضى العسكرية وتتعلق بخمسة خلفاء، «محاولة إعادة هيبة الخلافة العباسية» وتتعلق بثلاثة خلفاء، «استمرار انعدام هيبة الخلافة» وتتعلق بأربعة خلفاء، «النفوذ البويهي الفارسي» ويتعلق بأربعة خلفاء، «النفوذ السلجوقي» ويتعلق بتسعة خلفاء، و«استقلال الخلافة بملك العراق وسقوط بغداد على يد المغول»، ويتعلق بثلاثة خلفاء.

وقد أسهم هذا المنهج التاريخي الذي اتبعته، في فهم التاريخ السياسي والحضاري للدولة العباسية، وهو التاريخ الطويل الذي امتد طيلة 524 عاماً هجرياً أو 509 أعوام ميلادية، أي أكثر من خمسة قرون متتالية، تعاقب خلالها سبعة وثلاثون خليفة، أولهم أبو العباس السفاح عام 132هـ/ 750م وآخرهم المستعصم بالله الذي قضى على يد المغول عام 656هـ/ 1258م. وأضاف اعتمادها أسلوب السهل الممتنع، ما يشد القارىء إلى متابعة قراءة الكتاب دون ملل أو ضجر، فلا يتوقف إلا بعد الانتهاء من قراءة السطر الأخير من الخاتمة التي جمعت فيها استنتاجات مميزة لم تخطر ببال أحد من قبل.

ففي الخاتمة، يدرك القارىء أن مرحلة النفوذ السلجوقي هي أطول مراحل التاريخ العباسي الست، هذا التاريخ الذي امتد أكثر من خمسة قرون متتالية، توالى عليه سبعة وثلاثون خليفة، كان الخليفة التاسع عشر الناصر لدين الله أطول هؤلاء الخلفاء في فترة حكمه التي استمرت طيلة ستة وأربعين عاماً وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً. مع الاشارة إلى أن الدولة العباسية هي أطول الدول الكبرى التي تعاقبت منذ قيام دولة النبي العربي محمد ﷺ سنة 1 هـ/ 623م

مـروراً بدولـة الخلفاء الراشـدين والدولـة الأموية فالدولة العباسـية والدولة العثمانية التي سـقطت سنة 1337هـ/ 1918م.

وأوضحـت أيضـاً، أن أصـل جميـع خلفـاء بنـي العبـاس السـبعة والثلاثـين، هـو مـن بنـي هاشـم لجهـة الأب والجـد، في حـين مـن جهـة الأم، لا توجـد سـوى ثـلاث أمهـات خلفـاء عربيات فقـط، أما أمهـات الخلفـاء الأربـع والثلاثـين الباقيـات فهـن جوارٍ مـن أصل بربـري أو فارسي أو تـركي أو رومي أو صقلبـي أو خوارزمـي أو أرمنـي.

وأشـارت إلى أن الخليفـة السـادس محمـد الأمـين هـو الخليفـة العبـاسي الوحيـد الـذي ولدتـه أم هاشـمية هـي زبيـدة بنـت جعفـر بـن المنصـور، بينـما أول خليفـة هاشـمي لجهـة الأب والأم معـاً هـو الخليفـة الراشـدي الرابـع عـلي بـن أبي طالـب عليه السـلام وأمـه فاطمة بنت أسـد بن هاشـم، وثـاني خليفـة في هـذا الأصـل هـو ابنـه الخليفـة الراشـدي الخامس الحسـن بـن علي عليهما السـلام وأمـه فاطمـة بنـت النبـي محمـد ﷺ. وبذلك، لا يوجـد بين جميع خلفـاء الدول على مـر العصور، خليفـة هاشـمي ولدتـه أم هاشـمية، سـوى هـؤلاء الثلاثـة، وأولهم علي بـن أبي طالب عليه السـلام.

وقـد جمعـت العديـد مـن الأوائل في أمـور معينـة، فالخيزران أم الهادي والرشـيد هـي أول امرأة تسـتبد بالحكـم في الاسـلام، وهارون الرشـيد هو أول خليفة في الاسـلام ابتدع منصـب قاضي القضاة، فـكان أبـو يوسـف أول قـاضي قضـاة في الإسـلام. والمقتـدر باللـه أول خليفـة خلـع مرتـين، والقاهـر باللـه أول خليفـة سـملت عينـاه، وموسى الهـادي أول خليفة مات مسـموماً، والمتوكل عـلى الله أول خليفـة انتهـى قتـلاً بمشـاركة ابنـه المنتـصر. والـراضي باللـه أول خليفـة ابتـدع منصـب أمـير الأمـراء ليتـولاه التركي محمـد رائق.

كـما وضعـت عـشرة ملاحـق مميـزة، وخاصـة الملحـق رقـم 1 عـن شـجرة نسـب الخلفـاء العباسـيين التـي تبـدأ بالعبـاس بـن عبـد المطلـب بـن هاشـم (عـم النبـي العـربي محمـدﷺ)، والملحـق رقـم 2 عـن شـجرة نسـب العلويـين التـي تبـدأ بالإمـام عـلي بـن

أبي طالـب بـن عبـد المطلـب بـن هاشـم (ابـن عـم النبـي العربي محمـد بن عبـد اللـه ﷺ) فيفهم القـارىء بسـهولة مـن هذيـن الملحقـين، أن العبـاس الذي ينسـب إليه العباسـيون، وأبـا طالب والد الامـام عـلي الـذي ينسـب إليـه العلويون، وعبـد الله بن عبـد المطلب بن هاشـم والـد النبي محمد ﷺ، هـم أخـوة وأبنـاء عبـد المطلـب بـن هاشـم، وينتمي هـؤلاء الثلاثة إلى بني هاشـم مـن قبيلة قريـش العربيـة، ويطلق عليهم اسـم الهاشـميين.

أما الملحق رقم 3، فيتميز بذكر أسـماء الخلفاء العباسـيين السـبعة والثلاثين، في تسلسـل تاريخي، مـع إضافـة أربعـة أمـور بجانـب اسـم كل منهـم هـي: تاريـخ تسـلم الخلافـة، والـد الخليفـة، أم الخليفـة، ونسـبها العـربي أو الأعجمي.

وهـذا كلـه، جعلنـي أشـاهد أمامـي، مؤرخـة باحثـة، بـكل معنـى الكلمـة، تتلمـس موضعـاً بـين كبـار المؤرخـين المعاصريـن في مسـتقبل قريـب، إن اسـتمرت على هذا المنـوال في الكتابـة التاريخية.

المقدمة

يوجد العديد من المراجع العربية التي تحمل عنوان «العصر العباسي» أو «الدولة العباسية» أو «الخلافة العباسية» أو «الحضارة العباسية»، مثل: «الدولة العباسية» لمحمد بك الخضري، وتاريخ الدولة العباسية لمحمد سهيل طقوش، والخلافة العباسية لفاروق عمر فوزي، «التاريخ العباسي السياسي والحضاري» لإبراهيم أيوب، «الأساس في تاريخ بني العباس» لعصام الحاج علي، «تاريخ عصر الخلافة العباسية» ليوسف العش، «في تاريخ الدولة العباسية» لنبيلة حسن محمد، «دولة بني العباس» لمصطفى شاكر، «الخلافة والدولة في العصر العباسي» لأحمد محمد حلمي، «العالم الإسلامي في العصر العباسي» لحسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف، «الحضارة العباسية» لوليد الخازن، «المجتمع العباسي» لنشأت الخطيب، و«في التاريخ العباسي والفاطمي» لأحمد مختار العبادي.

كما يوجد العديد من المراجع العربية التي تتطرق إلى فترة محددة من تاريخ الدولة العباسية، اتفق المؤرخون المعاصرون على تسميتها بالعصر، بعد تقسيمهم تاريخ الدولة العباسية إلى أربعة عصور، تتوافق مع نفوذ العناصر غير العربية، وهي:

1 ـ العصر العباسي الأول الذهبي «النفوذ الفارسي» (132 ـ 232هـ/ 750 ـ 846م)

2 ـ العصر العباسي الثاني «النفوذ التركي» (232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م).

3 ـ العصر العباسي الثالث «النفوذ البويهي» (334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م).

4 ـ العصر العباسي الرابع «النفوذ السلجوقي (447 ـ 656هـ/ 1055 ـ 1258م)

وحسب هذا التقسيم، وضعت معظم المراجع العربية عن تاريخ الدولة العباسية، مثل: العباسيون في سنوات التأسيس لعصام سخيني، العباسيون الأوائل لفاروق فوزي، العصر العباسي الأول لعبد العزيز الدوري، الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول لمحمد ماهر حمادة، العصر العباسي الأول ـ المؤهلات والانجازات، لعبد الحسين مهدي الرحيم، العصر الذهبي للدولة العباسية لمحمد السيد الوكيل، الدولة العباسية (العصر الذهبي) لأبي زيد شلبي، العصر العباسي الثاني لشوقي ضيف، العراق في العصر العباسي الأخير لبدري فهد، الحياة السياسية في العصر العباسي الأخير لمحمد صالح القزاز.

وقد اتبع أساتذة التاريخ في مختلف الجامعات العربية، هذا التقسيم لتاريخ الدولة العباسية إلى عصور أربعة، في الاشراف على رسائل الماجستير والدكتوراه، على غرار رسائل الماجستير التي حملت عناوين: العلاقات العباسية البيزنطية في العصر العباسي الأول لموفق سالم نوري الجوادي، ولاية العهد في العصر العباسي الأول لنادية جاسم محمد، الدواوين في العصر العباسي الأول لقيس عبد الواحد المسعودي، والأوضاع السياسية في العصرين العباسيين الأول والثالث لأحمد محمد خلف. وعلى غرار أطروحة الدكتوراه التي أعدتها سوزي حمود بعنوان: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني.

وذلك دون إغفال بعض المراجع العربية التي حملت اسم خليفة واحد أو اثنين من خلفاء بني العباس، مثل: السفاح والمنصور لحسن الباشا، سياسة المنصور الداخلية والخارجية لحسن فاضل زعيق العاني، أبو جعفر المنصور لعبد السلام

رستم، «أبو جعفر المنصور» و«هارون الرشيد ـ حقائق عن عهده وخلافته، لعبد الجبار الجومرد، الخليفة المجاهد هارون الرشيد لفاروق عمر فوزي، عصر المأمون لأحمد فريد رفاعي، الخليفة العباسي محمد الأمين لزاهدة عبد الرزاق، الأمين والمأمون لمحمود شاكر، الخليفة المقتدر بالله لحمدان الكبيسي.

وعلى الرغم من هذه المراجع العربية، إلا أن الدولة العباسية، ما زالت تحتاج إلى مزيد من البحث والتحليل، في كتاب يؤرخ لها، في مختصر مفيد، وبأسلوب السهل الممتنع، مع إلقاء الضوء على دور المرأة في مختلف الحقب التاريخية التي مرت بها الدولة العباسية منذ نشأتها مع سقوط الدولة الأموية في دمشق عام 132هـ/ 750م، حتى سقوطها في بغداد على يد المغول عام 656هـ/ 1258م، أي طيلة 524 سنة هجرية/ 509 سنوات ميلادية، تعاقب خلالها سبعة وثلاثون خليفة عباسي، يمكن تقسيمها إلى ست مراحل، وليس إلى أربعة عصور كما درجت عادة المؤرخين المعاصرين، وذلك استناداً إلى الوضع السياسي والعسكري الذي تميزت به كل مرحلة، وهي:

1 ـ المرحلة الأولى (132 ـ 158هـ/ 750 ـ 775م)، وتعد مرحلة تأسيس الدولة العباسية على يد خليفتين هما: أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور.

2 ـ المرحلة الثانية (158 ـ 232هـ/ 775 ـ 846م)، وهي مرحلة القوة والازدهار، وقد تعاقب عليها سبعة خلفاء هم: محمد المهدي، موسى الهادي، هارون الرشيد، محمد الأمين، عبد الله المأمون، محمد المعتصم بالله، وهارون الواثق بالله.

3 ـ المرحلة الثالثة (232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م)، وهي مرحلة النفوذ التركي حيث تعاقب خلالها، ثلاثة عشر خليفة، هم: جعفر المتوكل على الله، محمد المنتصر بالله، أحمد المستعين بالله، أحمد المعتز بالله، محمد المهتدي بالله، أحمد المعتمد على الله، أحمد المعتضد بالله، علي المكتفي بالله، جعفر المقتدر بالله،

محمد القاهر بالله، أحمد الراضي بالله، إبراهيم المتقي لله، عبد الله المستكفي بالله.

4 ـ المرحلة الرابعة (334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)، وهي مرحلة النفوذ البويهي «الفارسي» الذي امتد حوالى قرن وعشرة أعوام، ومع ذلك لم يتعاقب خلالها سوى أربعة خلفاء فقط، هم: الفضل المطيع لله، عبد الكريم الطائع لله، أحمد القادر بالله، وعبد الله القائم بأمر الله (الفترة الأولى).

5 ـ المرحلة الخامسة (447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)، وهي مرحلة النفوذ السلجوقي، وتعد أطول المراحل عمراً، لأنها امتدت طيلة قرن وأربعين عاماً، بدأت مع الفترة الثانية من خلافة عبد الله القائم بأمر الله، ليتعاقب بعده ثمانية خلفاء، هم: عبد الله المقتدي بأمر الله، أحمد المستظهر بالله، الفضل المسترشد بالله، محمد الراشد بالله، محمد المقتفي لأمر الله، يوسف المستنجد بالله، الحسن المستضيء بأمر الله، وأحمد الناصر لدين الله (الفترة الأولى).

6 ـ المرحلة السادسة (590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م). وهي مرحلة استقلال الخلافة، بملك العراق فقط، وتمثل أيضاً مرحلة الشيخوخة التي امتدت طيلة خمسة وستين عاماً فقط، تعاقب خلالها ثلاثة خلفاء فقط، بعد الفترة الثانية التي حكمها أحمد الناصر لدين الله، وهم: محمد الظاهر بأمر الله، المنصور المستنصر بالله، وعبد الله المستعصم بالله الذي يعد آخر خلفاء بني العباس، فشهد عهده سقوط بغداد على يد المغول عام 656هـ/ 1258م.

لا يوجد بين المصادر العربية، مصدر يحمل عنوان «الدولة العباسية» أو «تاريخ بني العباس» ويؤرخ للدولة العباسية وحدها، سوى ثلاثة مصادر فقط، هي: «النبراس في تاريخ بني العباس» لابن دحية الكلبي المتوفى عام 633هـ/ 1235م، «تاريخ العباسيين» لابن ودران المتوفى بعد عام 1172هـ/ 1761م، و«أخبار الدولة العباسية» لمؤلف مجهول في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

ويبقى «أخبار الدولة العباسية» من أهم المصادر التي تناولت الدعوة العباسية وليس الدولة العباسية، لأنه يقتصر على أخبار العباس وولده، وعنوان الكتاب «أخبار الدولة العباسية» استخدمه المؤلف المجهول بمعنى «الدعوة العباسية»، وقد كتبه في منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، وانفرد فيه بمعلومات عن بداية الدعوة العباسية، وعن بعض أحداثها وأسرارها، كما أورد قوائم مفصلة بأسماء النقباء والدعاة في خراسان ومراتبهم وتنظيماتهم، ما يدل على صلة المؤلف الخاصة بالعباسيين وبأتباعهم. ويبدأ الكتاب بالحديث عن موت العباس بن عبد المطلب الذي ينسب إليه العباسيون، ليتناول أخبار ولده عبد الله بن العباس ثم أحفاده: علي بن عبد الله، محمد بن علي، وإبراهيم بن محمد الذي عرف بالامام.

وهذا يشير إلى أن «أخبار الدولة العباسية» هو أخبار الدعوة العباسية منذ نشأتها حتى مقتل الإمام إبراهيم بن محمد مع نجاح الدعوة العباسية عام 132هـ/ 750م.

أما أمهات المصادر العربية، فقد أرخت للدول العربية الاسلامية المتعاقبة بما فيها الدولة العباسية أو فترة محددة من هذه الدولة سبقت وفاة واضع هذا المصدر.

فاليعقوبي (ت 282هـ/ 895م) في تاريخه يؤرخ للدول التي سبقت الدولة العباسية، وللمرحلة العباسية الأولى وفترة من المرحلة العباسية الثانية إلى أيام الخليفة المعتمد على الله عام 259هـ/ 873م، ورتب تاريخه حسب الخلفاء. وقد اكتسب اليعقوبي معلوماته التاريخية عن طريق الرحلة في طلب العلم، فزار فارس وأرمينيا والهند والشام ومصر والمغرب والأندلس. ونشر كتابه في جزئين في ليدن بهولندا عام 1883م، ثم نشر للمرة الثانية في ثلاثة أجزاء بمدينة النجف في العراق عام 1940.

والطبري (ت 310هـ/ 923م) وضع أهم المصادر في المرحلة العباسية الأولى وفترة من المرحلة العباسية الثانية. إلى أواخر أيام الخليفة المكتفي بالله

عـام 291هــ/ 904م. وهـو عـلى غـرار اليعقوبي يبـدأ كتابـه «**تاريخ الرسـل والأمم والملـوك**». بخلق العـالم وتاريـخ الـدول التـي سـبقت الدولـة العباسـية، مرتباً الأحداث حسـب السـنين وليس حسـب العهـود أو الموضوعـات، ويعـد ثـروة تاريخيـة نقلهـا الطـبري عن أصول ضـاع معظمها، مـا يزيد من أهميـة الكتـاب. ومـا لبـث عريب بن سـعد (ت 370هــ/ 980م) أن وضـع ذيلاً على تاريـخ الطبري، وصـل فيهـا الحـوادث التـي توقـف عندهـا الطـبري أو أهمـل ذكراهـا مـن عـام 291هــ/ 904م إلى نهايـة عهـد المقتـدر بالله عـام 320هـ/ 932م. واكتملـت الفائدة حينما وضع الهمـداني (ت 521هـ/ 1127م) «تكملـة تاريـخ الطـبري»، ليكتمل معه تاريخ الدولة العباسـية. والجديـر بالذكر أن الطبري ولـد عـام 224هــ/ 839م. في إقليـم طبرسـتان الفارسي ولهذا سـمي بالطبري.

والمسـعودي (ت 346هــ/ 957م)، عـلى غـرار اليعقـوبي، اكتسـب معلوماته التاريخيـة عن طريق الرحـلات الطويلـة في طلـب العلـم، فهـو ولـد في بغـداد، وزار فارس والهنـد وسـيلان والصين وعمان والشـام وفلسـطين قبـل أن يسـتقر في مـصر ويتـوفى فيهـا. ويبـدأ كتابـه «**مـروج الذهـب ومعـادن الجوهـر**»، منـذ بـدء الخليقـة وقصص الأنبيـاء وتواريخ الأمم القديمـة ثم الدولة الاسـلامية. ليتوقف تاريخـه مطلـع عهـد الخليفـة العبـاسي المطيـع لله عـام 334هــ/ 945م. بينـما كتابه الآخـر «التنبيه والاشراف» الـذي يعـد مـن كتـب الجغرافيـا، فيتعـرض أيضـاً إلى ظهـور الإسـلام وسـير الخلفـاء حتى عـام 345هــ/ 956م أي إلى عهـد المطيـع للـه أيضـاً، وقبـل وفاة المسـعودي بعام واحد، مـا يعني أن هـذا الكتـاب يحتـوي عـلى أخبـار لا توجـد في «مروج الذهـب ومعـادن الجوهر»، وتمتـد طيلة أحد عـشر عاماً (334 ـ 345هــ/ 945 ـ 956م).

ويعـد أبـو بكـر الصـولي (ت 335هــ/ 946م)، مـن أبـرز المؤرخـين المقربـين مـن خلفـاء زمانـه، لا سـيما الخليفـة الـراضي باللـه، وهـذا مـا دفعـه لتصنيـف كتـاب «الأوراق

في أخبار الخلفاء والشعراء»، ومع أنه لم ينجز بشكل كامل، إلا أنه يحتوي على مادة غنية في موضوعه. فقد غطت أخباره الفترة التي تشمل الخلفاء وأولادهم لغاية أيام ابن المعتز، وبخاصة أخبار الراضي بالله والمتقي لله. كما صنف «أدب الكتّاب» وهو خاص بالكتّاب ومن دار في فلكهم. لذلك وُصف الصولي بأنه أحد العلماء بأخبار الملوك وأيام الخلفاء ومآثر الأشراف وطبقات الشعراء، وفي هذا الوصف دلالة على نوع اهتمامات الصولي التاريخية، المتناغمة مع مهارته الأدبية.

والأصفهاني (ت 356هـ/ 967م)، في كتابه «**الأغاني**»، يشدد على التاريخ الاجتماعي أكثر من التاريخ السياسي، ويبدع في تصوير حضارة العرب تحت مظلة الإسلام، فقد ترجم لكثير من المغنين في الدولة الأموية وفي المراحل العباسية الأولى والثانية والثالثة ليتوقف مع السنوات الأولى من عهد المطيع لله في المرحلة الرابعة. ولذلك كان حضور الجواري والقيان والغلمان ودورهم الثقافي أكثر من حضور القادة السياسيين والعسكريين. ويعد «الأغاني» الكتاب الأوفى والأكمل الذي يسترجع حياة البلاط العباسي، ويعري الحياة السرية للخلفاء العباسيين، والوجه المجهول لهؤلاء الخلفاء الذين يشربون ويعشقون ويتعذبون ويخضعون مخافة الصد والهجر. وهذه الصور المتعددة، إذا ما أضيفت إلى المعلومات التاريخية في المصادر الأخرى، فإنها تعطي الوجه الحقيقي لهؤلاء الخلفاء من مختلف الوجوه السياسية والاجتماعية.

أما مسكويه (ت 421هـ/ 1030م) صاحب «تجارب الأمم وتعاقب الهمم»، الكتاب التاريخي المشهور الذي لم يصل إلينا كاملاً، إلا أن القسم الباقي يغطي الفترة ما بين وصول المقتدر إلى الخلافة عام 295هـ/ 907م، حتى عام 369هـ/ 980م، فكان أول المؤرخين المسلمين الذين اعتنوا بمفهوم السببية وأهميته في الكتابة التاريخية. وعلى الرغم من علاقة مسكويه القوية بالأسرة البويهية الحاكمة

التـي كان أحـد عمالهـا والمقربـين مـن أمرائهـا ووزرائهـا، فـكان مقربـاً من المهلبـي أشـهر وزراء بني بويـه، وكانـت لـه علاقـة بعضـد الدولة وابنه بهـاء الدولة، إلا أنه كتـب تاريخ الدولـة البويهية بكثير مـن التجـرد والحياديـة، بعيـداً عـن واقعه الشـخصي بطريقة تثير الدهشـة والاعجاب. فـلا يظهر أن حياديتـه السياسـية كانـت أكـثر وضوحـاً من حياديتـه المذهبيـة، فعلى الرغم مـن كونه شـيعياً، وما يعنيـه ذلـك في العهـد البويهـي، فقـد ابتعد عن ما ألفتـه الكتابـة التاريخية المذهبيـة في تلك الفترة، لأنـه كان مشـغولاً بهموم أوسـع مسـاحة، ترتبـط بنظرته لإدارة أمـور الحاكم، والوصـول بالدولة إلى مراحـل متقدمة في النمـو والاعمار.

وابـن الجـوزي (ت 579هــ/ 1201م)، أرخ لخمـس مراحـل عباسـية في كتابـه «المنتظـم في أخبار الأمـم والملـوك»، دون أن يشـهد السـنوات الأخـيرة مـن المرحلـة الخامسـة، ودون أن يشـهد المرحلة السادسـة، كـما أرخ لخلافـة المسـتضيء باللـه في كتابـه «المصبـاح المـضيء في خلافة المسـتضيء».

وابـن الأثـير (ت 630هــ/ 1233م)، ولـد في جزيـرة ابـن عمـر قـرب الموصـل (لذلـك عـرف أحياناً بالجـزري) عـام 555هــ/ 1160م، مـا يعنـي أنـه عـاصر الفـترة الأخـيرة مـن الأحـداث التي شـهدتها المرحلـة العباسـية الخامسـة والفـترة الأولى مـن الأحـداث التي شـهدتها المرحلة العباسـية السادسـة والتي سـبقت وفاته، لأن هذه المرحلة السادسـة انتهت بسـقوط بغداد على يد المغول عام 656هـ/ 1258م، أي بعـد ربـع قـرن من وفاته. وقـد اعتمد ابن الأثير على الطبري في بعض أجزاء كتابه، ولكنه يمتـاز عنـه بـأن كتابه أشـمل بالنسـبة لتاريـخ الدولـة العباسـية، فقـد أرخ للأحـداث التاريخية التي تلـت وفـاة الطـبري أي من عام 310هــ/ 922م إلى عام 628هـ/ 1231م. وبذلـك يعد كتابه «الكامل في التاريخ» أكمل وأسـهل في الاسـتعمال من كتاب تاريخ الرسـل والأمم والملوك للطبري، وبخاصة أن ابن الأثير لم يقلد الطبري في ترتيب الأحداث حسـب السـنين، حيث يذكر الحادثة الواحدة في سـنين

متعـددة، مـما يفقدهـا أهميتهـا، بـل عمـد ابـن الأثـير إلى جمع أخبـار الحادثـة الواحـدة في موضع واحد.

وحدهـما ابـن كثـير المتـوفى عـام 774هــ/ 1372م، وابن الـكازروني المتـوفى عام 697هــ/ 1298م، تمكنـا مـن تغطيـة تاريخ الدولة العباسـية بمراحله السـت، الأول في كتابه «البدايـة والنهاية»، والثاني في كتابـه «مختـصر التاريـخ مـن أول الزمان إلى منتهـى دولة بني العباس». ومع ذلـك تبقى الأهمية الكـبرى لكتـابي الطبري وابـن الأثير.

وكان مـن المفيـد أيضـاً، البحـث في المصـادر التـي أرخـت للحـاضرة العباسـية بغداد، مثـل: بغداد في تاريـخ الخلافـة العباسـية لابـن طيفـور (ت 280هــ/ 893م)، وبغـداد مدينة السـلام لابـن الفقيه (ت 290هــ/ 903م). وتاريـخ بغـداد أو مدينـة السـلام للخطيـب البغـدادي (ت 463هــ/ 1071م) الـذي يتنـاول وصـف بغداد منذ تأسيسـها، وأخبـار الخلفاء والـوزراء والأمراء والعلماء الذين عاشـوا فيهـا أو وفـدوا عليهـا منـذ عهـد مؤسسـها الخليفـة العبـاسي الثـاني أبـو جعفـر المنصـور حتـى أيـام واضـع الكتـاب الخطيـب البغـدادي، لذلـك يعـد من المصـادر الأساسـية في تاريـخ الدولة العباسـية، لأن الجديـد في عمـل الخطيـب البغـدادي، يكمـن في المسـاحة التـي حددهـا لتاريخـه مـن جهـة، وحجـم المعلومـات التـي راكمهـا وسـاقها من جهـة ثانية، وهـو بذلك ينـدرج في إطار تطـور الكتابة التاريخيـة مـن حيـث الموضـوع والحجم.

وكذلـك مـن المفيـد، البحـث في المصـادر التـي أرخـت للخلفـاء والـوزراء والكتـاب مثـل: «الوزراء والكتـاب» للجهشـياري (ت 331هــ/ 942م)، وفيـه يتنـاول تاريخ الكتابـة والوزارة منـذ قيام الدولة الإسـلامية حتـى عهـد الخليفـة العباسي عبـد الله المأمـون، كما يتنـاول تاريخ الخلفـاء بحكم صلتهم بالـوزراء والكتـاب. وهنـاك «ذيـل تاريـخ بغـداد» لابـن النجـار البغـدادي (ت 643هــ/ 1245م)، وتاريـخ الخلفـاء للسـيوطي المتـوفى عـام 911هــ/ 1505م، ومختـصر أخبـار الخلفـاء لابـن السـاعي

المتوفى عام 674هـ/ 1276م، والأنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني المتوفى عام 580هـ/ 1184م.

ولم أغفل اعتماد التاريخ الميلادي الذي يوافق التاريخ الهجري، لأن المصادر العربية تعتمد التاريخ الهجري فقط، ولا يجوز إغفال هذا التاريخ في كتابة التاريخ العربي الإسلامي، وأساسه المصادر العربية، حفاظاً على الدقة العلمية، وتكتمل الفائدة مع اعتماد التاريخ الميلادي إلى جانب ما يقابله في التاريخ الهجري.

المرحلة الأولى

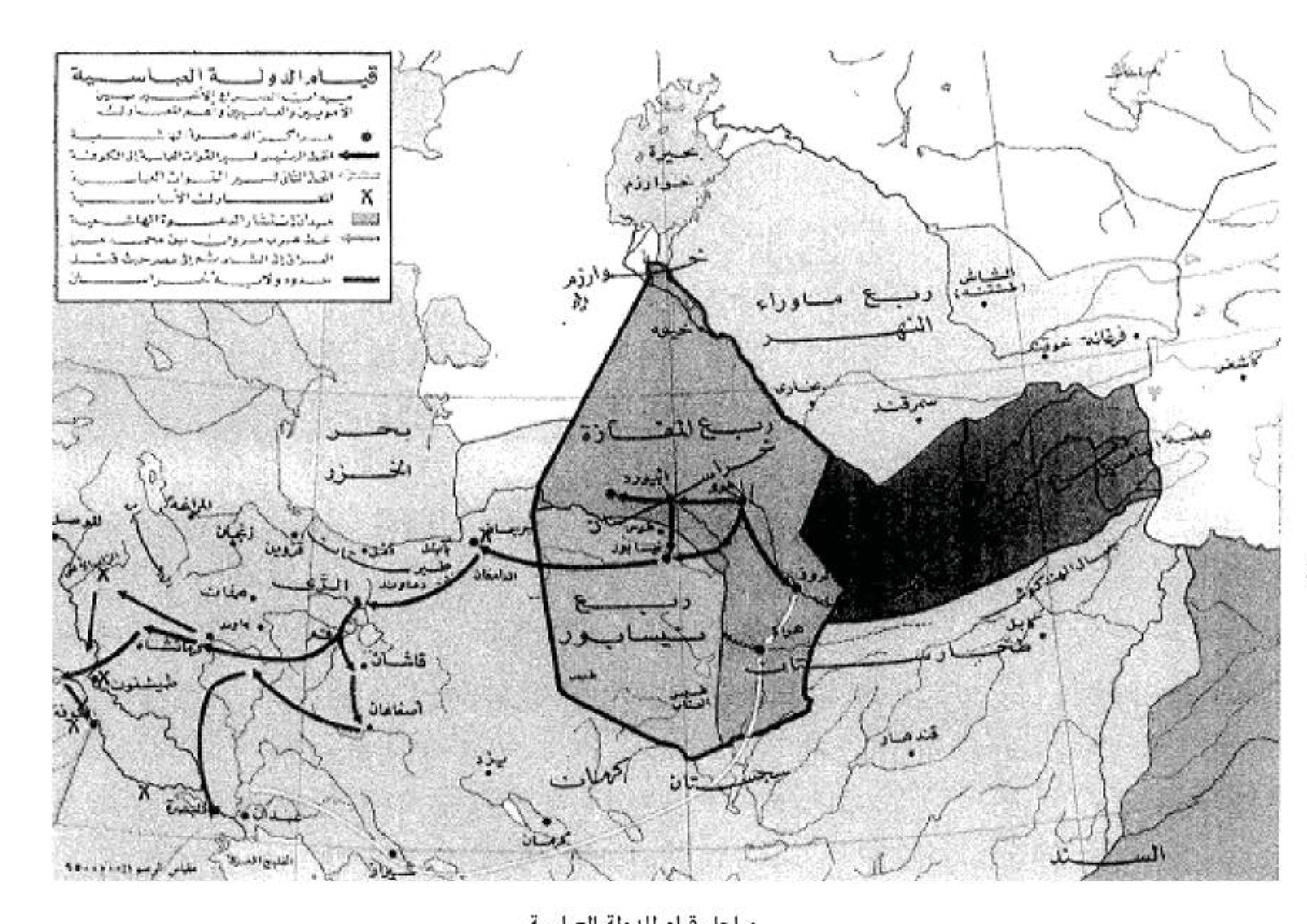
تأسيس الدولة العباسية

(132 ـ 158هـ/ 750 ـ 775م)

1 ـ السفاح، أبو العباس عبد الله بن محمد (132هـ/ 750م)

2 ـ المنصور، أبو جعفر عبد الله بن محمد (136هـ/ 754م)

تعد المرحلة الأولى، بمثابة تأسيس الخلافة العباسية التي امتدت طيلة ربع قرن، شهدت نجاح الدعوة العباسية لإسقاط الدولة الأموية، نتيجة التحالف بين العباسيين والعلويين، فكان أبو العباس السفاح أول خليفة عباسي امتد حكمه طيلة أربعة أعوام فقط (132 ـ 136هـ/ 750 ـ 754م)، ليخلفه أخوه أبو جعفر المنصور الذي يعد المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية في فترة حكمه التي استمرت اثنين وعشرين عاماً (136 ـ 158هـ/ 754 ـ 775م)، علماً أن أمه سلامة هي بربرية غير عربية، بينما أم أبي العباس السفاح هي عربية تدعى ريطة بنت عبيد الله الحارثي.



مراحل قيام للدولة العباسية

(1) حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ص 154

الفصل الأول

أبو العباس السفاح أول خلفاء الدولة العباسية

(132 ـ 136هـ/ 750 ـ 754م)

1 ـ التحالف العباسي ـ العلوي وقيام الدولة العباسية

(129 ـ 132هـ/ 746 ـ 750م)

كانت العلاقة بين العلويين والعباسيين، تقوم على الود والصفاء، في تحالف متين، وهما معاً أبناء عم يمثلان بني هاشم، ضد بني أمية الذين بنظرهم اغتصبوا الخلافة. وبذلك اتحدت كلمة بني هاشم للقضاء على حكم بني أمية. فالعلويون ينتمون إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم النبي محمد (ﷺ) وزوج ابنته فاطمة عليها السلام، فهم أهل البيت، ويرون أنهم أحق بالخلافة من بني أمية. والعباسيون ينتمون إلى العباس بن عبد المطلب عم النبي محمد (ﷺ) فهم أيضاً أهل البيت ويرون أنهم أحق بالخلافة من بني أمية.

لم ينس العلويون حقهم في الخلافة التي تولاها معاوية بن أبي سفيان، بعد الحسن بن علي عليهما السلام. ليجعلها وراثية في بني أمية، ويتكرس الحكم الأموي، منذ مقتل الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء. لذلك، لم ينم العلويون عن حقهم في الخلافة، كلما سنحت الفرصة، ولم يتورعوا عن استخدام القوة وتجريد السيف من أجل نيل هذا الحق، فقد قام زيد بن علي بن الحسين وابنه يحي، أواخر عهد

الدولة الأموية، في عهد هشام بن عبد الملك. وفي ما عدا ذلك انصرف العلويون إلى الدين والانشغال بالتجارة، مكتفين بلقب الإمامة والقرابة من النبي محمد (ﷺ)[1]، إلى أن ظهرت الدعوة لآل البيت مع التحالف بين العباسيين والعلويين.

كانت الدعوة في ذلك الوقت إلى الرضا من آل محمد (ﷺ)، وكان الناس لا يبالون كثيراً أن يتولى أمرهم علوي أو عباسي، فالاثنان من بني هاشم، ومن أهل البيت، والهدف المشترك هو القضاء على حكم بني أمية.

اجتمع رجالات بني هاشم، أواخر حكم الدولة الأموية، فحضر من العلويين: الإمام جعفر الصادق، عبد الله بن الحسن، وأبناء الأخوين محمد النفس الزكية وإبراهيم. وحضر من العباسيين: الأخوان أبو العباس السفاح وأبو جعفر المنصور. واتفقوا جميعاً على دعوة الناس سراً ومبايعة محمد النفس الزكية وهو من آل الحسن بن علي عليهما السلام، وخرج على الاتفاق الإمام جعفر الصادق من آل الحسين بن علي عليهما السلام.

تحول العباسيون إلى جانب العلويين، أول الأمر، بهدف الوصول إلى الخلافة، فظن العلويون، أن العباسيين فضلوا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم النبي (ﷺ) وصهره، على العباس بن عبد المطلب عم النبي (ﷺ).

وعبد الله بن العباس، هو ثاني ولد العباس بن عبد المطلب، بعد الفضل أكبر أولاد العباس الذين لم يكن لهم نسل باق. وبذلك كان عبد الله بن العباس هو الذي نما من نسله البيت العباسي، من عقب ابنه علي بن عبد الله بن العباس، ثم حفيده محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، والد إبراهيم وأبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس وأبي جعفر المنصور ثاني الحلفاء[2].

وهكذا قاد الدعوة العباسية محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، فطلب من

---

1 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 102.

2 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 8.

أنصاره أن يدعوا الناس إلى ولاية أهل البيت «الرضا من آل محمد (ﷺ)» دون تسمية أحد من العلويين أو العباسيين. ووجد أن كلاً من الكوفة وخراسان يصلح أن يكون مركزاً لنشر الدعوة لأن الكوفة مهد التشيع لآل البيت، ولأن أهل خراسان يفهمون فكرة التشيع بسهولة[1].

كانت الدعوة العباسية موجهة إلى عرب خراسان[2] لحثهم على الثورة ضد الدولة الأموية التي كانت بدورها تعاني من ثورات المدن في بلاد الشام. وأشاع الدعاة العباسيون أحاديث تقول بأن الخلافة كائنة في أحفاد العباس بن عبد المطلب (ت 32هـ/ 652م) عم النبي محمد (ﷺ) أي في أصل هاشمي عربي، وأنها ستبقى في أيديهم إلى يوم القيامة.

قاد الدعوة العباسية محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، منذ عام 98هـ/ 716م، في تنظيم سري دقيق، جعل له مجلساً يتكون من الدعاة، ولكل داعية اثنا عشر نقيباً، ولكل نقيب سبعون عاملاً[3]. وكانت خراسان هي الأرض الملائمة لزرع بذور الدعوة العباسية بسبب بعدها عن الحاضرة الأموية دمشق، وبسبب سوء معاملة الأمويين لأهل خراسان[4]، وتفضيلهم العنصر العربي عليهم. وبوفاة محمد بن علي عام 125هـ/ 742م، قاد الدعوة ابنه إبراهيم الذي عرف بـ «الإمام»[5]، وما لبث الإمام إبراهيم أن اختار قائداً شاباً لم يتجاوز التاسعة عشرة من عمره، هو عبد الرحمن بن مسلم، وأطلق عليه كنية «أبو مسلم» لينوب عنه في خراسان

1 ـ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ج 3، ص 293 ـ 294.

2 ـ مجهول: أخبار العباس وولده، ص 125.

3 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 342.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 158.

5 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 339.

منذ عام 128هـ/ 746م، فعرف بأبي مسلم الخراساني[1].

أظهـر أبـو مسـلم الخراسـاني الدعـوة العباسـية علانيـة في رمضـان 129هــ/ 746م، وأخذ السـواد شـعاراً لـه، نسـبة إلى شـعار العباسـيين الأسـود، حزنـاً على الشـهداء من بني هاشـم، ونعيـاً على بني أميـة في قتلهم[2].

إن الثـورة العباسـية التـي قادهـا أبـو مسـلم الخراسـاني، في خراسـان عـام 129هــ/ 746م، كانـت قضيـة عربيـة اصطـدم فيهـا العـرب مـن أنصـار الأمويـين بالعـرب مـن أنصـار العباسـيين[3]. والدعوة العباسـية لم تكـن ثـورة الفـرس عـلى الأمويـين، فقـد حـارب الفـرس كمـوال تابعـين لقبائـل عربيـة، لذلـك حاربـوا في الجانبـين الأمـوي والعبـاسي. وقـد وقـف أهـل جرجـان الفـرس مـع الأمويـين ضـد الثـورة العباسـية التـي نجحـت في احتـلال جرجـان عـن طريـق الجيـش الخراسـاني الذي يعتـبر نواة القـوات العباسـية التـي مـا لبثـت أن دخلـت العـراق لتعلـن الكوفـة الـولاء لهـا وخلعها مـروان بن الحكـم آخـر خليفـة أموي.

تمكـن الخليفـة الأمـوي مـروان بن محمد من اعتقـال الإمام إبراهيم العباسي في دمشـق وقتله، في حـين هـرب أخـوه أبـو العباس عبـد الله وتوجـه إلى الكوفـة حيث بويـع[4] بالخلافة في يـوم الخميس 13 ربيـع الأول 132هــ/ تشريـن الأول 749م. وكان أخـوه أبو جعفر المنصـور يأخذ البيعة له.

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 252.

الدينوري: الأخبار الطوال، ص 337 ـ 338.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3، ص 145.

2 ـ ابراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 24.

3 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1، ص 27.

4 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 6، ص 98.

2 ـ مبايعة أبو العباس السفاح بالخلافة

(13 ربيع الأول 132هـ/ 30 تشرين الأول 749م)

أبـو العبـاس السـفاح، هـو عبـد اللـه بـن محمـد بـن عـلي بـن عبـد اللـه بـن العبـاس عـم النبي محمـد ﷺ وأمـه عربيـة تدعـى ريطـة بنـت عبيـد الله بـن عبد اللـه بن عبـد المدان الحـارثي. ولد عـام 104 هــ/ 722م وبويـع بالخلافـة في الكوفـة، يوم الخميـس 13 ربيع الأول 132هــ/ 30 تشرين الأول 749م، وكان الخليفـة الأمـوي مـروان بـن محمـد لا يـزال حيـاً، وبعـد مبايعتـه بالخلافة أرسـل عمـه عبـد اللـه بـن عـلي بقيـادة جيـش عبـاسي مـن ثلاثـين ألفـاً، جمـع مـن أطـراف بـلاد فـارس[1]، ليواجـه الجيـش الأمـوي في معركـة رهيبـة اسـتمرت يومين عنـد نهر الـزاب الكبير أحد فـروع دجلة، قـرب الموصـل، فحلـت الهزيمـة بالخليفـة الأمـوي مـروان بن محمـد، بعدمـا غرق معظم جيشـه في النهـر، واضطـر للانسـحاب باتجـاه فلسـطين ثـم مـصر حيـث تـم القبـض عليـه وقطـع رأسـه وهـو نائـم[2]، في قريـة بوصـير في صعيـد مـصر[3]، في 3 ذي الحجـة 132هــ/ 5 آب 750م وأرسـل رأسـه إلى الخليفـة العبـاسي[4]، وبمقتلـه سـقطت الخلافـة الأمويـة في دمشـق، وبـدأت فعليـاً خلافـة أبي العباس السـفاح، لتسـتمر حتـى وفاتـه في الأنبـار، يـوم الأحـد 13 ذي الحجـة 136هــ/ 9 حزيـران 754م، فتكـون خلافتـه أربعـة أعـوام وأربعـة عـشر يومـاً.

يعتـبر أبـو العبـاس[5] عبـد اللـه بـن محمـد أول خلفـاء بنـي العبـاس وهـو الـذي لقـب نفسـه

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 327 ـ 329.

2 ـ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج 2، ص 232.

3 ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 509.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 332.

5 ـ أبـو العبـاس السـفاح: (132 ـ 136هـ/ 750 ـ 754م)، عبـد اللـه بـن محمـد بـن عـلي بـن عبـد اللـه بـن العبـاس بـن عبـد المطلـب، أول خلفـاء بنـي العبـاس، أمـه رايطـة الحارثيـة، سـمي بالسـفاح =

بـ «السـفاح»، لأنـه كان يعـد النـاس بالعطـاء الكثير والسـخاء الوفير. وقـد أضر هذا اللقـب به، لأن كلمـة سـفاح تعنـي أيضـاً «الجـزار» الـذي يحب سـفك الدمـاء وارتـكاب المجـازر[1]، وهذا مـا قام به الـوالي العبـاسي عبـد اللـه بـن عـلي والي الشـام وهـو عـم الخليفة أبـو العباس السـفاح، وقد اشـتهر بمجـازره ضـد الأمـراء الأمويـين في بلاد الشـام، وتتبعه لهـم بعد انتصـاره عليهم في معركـة نهر الزاب الكبـير[2]. وبذلـك أصبـح اسـم عبـد اللـه بن عـلي مرهوبـاً فأطلق عليـه ابن قتيبـة لقب «السـفاح»[3].

3 ـ بناء الهاشمية أول حاضرة عباسية (132هـ/ 750م)

تحولـت الأنظـار إلى الحـاضرة الجديـدة التـي بناهـا أبـو العبـاس السـفاح قـرب الكوفـة وعرفـت بـ «هاشـمية الكوفـة»[4]، لينتقـل مركـز الخلافـة مـن بـلاد الشـام إلى العـراق، عـام 132هـ/ 750م، غـير أنـه لم يلبـث أن انتقـل إلى مدينـة الأنبـار شـمال الكوفـة عـلى الفـرات، عـام 134هـ/ 751م[5]، فبنـى بجوارهـا مدينـة جديـدة عرفـت بـ «هاشـمية الأنبـار»، وأقـام فيهـا حتـى وفاتـه عـام 136هـ/ 754م. وبذلـك كانـت الهاشـمية

= لكثرة ما سفح دماء بني أمية، بويع بالخلافة في 13 ربيع الأول 132هـ/ 30 تشرين الأول 749م. كانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وتوفي وعمره ثلاث وثلاثين سنة.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 4، ص 346.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 60 ـ 61.

ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج 5، ص 352.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج 1، ص 113.

زهير الكبي: موسوعة خلفاء المسلمين، ج 2، ص 7 ـ 9.

1 ـ المسعودي التنبيه والإشراف، ص 292، ابن أعثم الكوفي، الفتوح، ص 231.

2 ـ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ص 182، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 32.

3 ـ ابن قتيبة: الإمامة والسياسة، ج 2، ص 232.

4 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 7، ص 431.

5 ـ المصدر نفسه، ج 7، ص 464.

الحاضرة الأولى للعباسيين، وسميت كذلك نسبة إلى الجد هاشم بن عبد مناف[1].

4 ـ خيبة أمل العلويين

حظيت الدعوة العباسية، بدعم كبير من بني هاشم، حيث كان من حق كل هاشمي، علوياً أو عباسياً أن يدعي الخلافة ويعمل لها ويثور باسم أهل البيت. فالعلويون يحصرون حق الخلافة في نسل الامام علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عم النبي محمد (ﷺ)، وبعضهم يدعي أن نسل السيدة فاطمة من الحسن والحسين عليهم السلام لهم وحدهم الحق في وراثة الخلافة، دون إغفال الخلاف بين آل الحسن وآل الحسين حول أحقية كل منهم في وراثة الخلافة. في حين ادعى آخرون بأن هذا الحق يشمل أولاد الإمام علي بن أبي طالب من غير نسل السيدة فاطمة. إن تشتت الزعامة العلوية[2]، أسهم في نجاح الدعاة العباسيين الذين حصروا حق الخلافة في نسل العباس عم النبي محمد (ﷺ)، ونجحت الثورة العباسية التي أدت إلى قيام الدولة العباسية، وأصيب العلويون بخيبة أمل كبيرة، بعدما أعلن الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح، بوضوح لا يقبل الشك، بأن الخلافة عباسية وستبقى عباسية، وأنكر أن يكون العلويون أحق بها، مع اعترافه بأن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، هو أول خليفة شرعي للمسلمين، أما ثانيهما فهو عبد الله بن محمد العباسي أي أبو العباس السفاح. وهذا يعني حصر الخلافة في بني هاشم، وتحديداً في نسل العباس عم النبي محمد (ﷺ).

وحاول أبو العباس السفاح إيجاد جو من الوفاق الودي الهاشمي بين العباسيين والعلويين في فترة حكمه القصيرة التي لم تستمر أكثر من أربعة أعوام، في

---

1 ـ اليعقوبي: البلدان، ص 137.

2 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 213.

الوقـت الـذي كان فيـه العلويـون بحاجـة إلى مزيـد مـن الوقـت لجمـع قواهـم[1]، لذلـك لم يتحركـوا ضـده، فاندلعـت الثـورة العلويـة في عهـد الخليفـة العبـاسي الثـاني أبي جعفـر المنصـور.

1 ـ فاروق عمر فوزي، الخلافة العباسية، ج 1، ص 54.

الفصل الثاني

أبو جعفر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية

(136 ـ 158هـ/ 754 ـ 775م)

إذا كان أبـو العبـاس السـفاح هـو أول خلفـاء الدولة العباسـية، فـإن أخاه أبا جعفـر المنصور[1] ثاني الخلفـاء هـو المؤسـس الحقيقـي للدولة العباسـية في فترة حكمه التي اسـتمرت اثنـين وعشرين عاماً (136 ـ 158هــ/ 754 ـ 775م). فقـد قـضى عـلى حلفائـه زعـماء الثـورة العباسـية وفي طليعتهم عمه عبـد اللـه بن علي والي الشـام الذي تم سـجنه عـام 139هـ/ 756م[2]، ليموت في السـجن عام 147هـ/ 764م. وكذلـك تمكـن مـن قتل قائد الثورة العباسـية أبي مسـلم الخراسـاني[3]. قبـل أن يقضي أيضاً على

1 ـ أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن العباس (ت 158هـ/ 775م) ثاني خلفاء بن العباس، ولد عام 95هـ/ 713م، وتولى الخلافة عام 136هـ/ 754م، وأسرف في سفك دماء بني الحسن بن علي عليهما السلام وتعذيبهم، وقتلهم في حبسه. أمه بربرية تدعى سلامة. ومدة خلافته اثنين وعشرون عاماً.

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 370.

الأصبهاني: مقاتل الطالبين، ص 178 ـ 399.

الزركلي: الإعلام، ج 4، ص 259.

2 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 7، ص 478 ـ 479.

ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 168.

3 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 433.

مجهول: العيون والحدائق، ص 215.

فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1، ص 76.

الثـورة العلويـة الكـبرى في المدينـة والبـصرة عـام 145هــ/ 762م، وهـو العام الـذي شرع معه في بنـاء الحـاضرة الجديـدة بغداد.

1 ـ قيام ثلاث دول مستقلة في الأندلس والمغرب

(138 ـ 144هـ/ 756 ـ 761م)

لم تتمكـن الدولـة العباسـية مـن السـيطرة عـلى الأقاليـم البعيدة في أقـصى غرب العالم الإسـلامي، فأقـام الأمويـون إمـارة مسـتقلة في الأندلـس عـام 138هــ/ 756م، وأقـام الخـوارج الدولـة المدرارية في جنـوب المغـرب الأقـصى عـام 140هـ/ 757م، والدولة الرسـتمية في المغرب الأوسـط عـام 144هـ/ 761م، وذلـك في السـنوات السـت الأولى مـن حكـم ثـاني خلفـاء العباسـيين أبي جعفـر المنصور.

(أ) ـ الأندلس إمارة أموية مستقلة (138هـ/ 756م)

كانـت الأندلـس مجـرد ولايـة عربيـة إسـلامية تابعـة للخلافـة الأمويـة بدمشـق، منـذ فتحها على يـد مـوسى بـن نصـير وطـارق بـن زيـاد عـام 95هــ/ 714م، وإكمال فتحهـا على يـد عبـد العزيز بن مـوسى عام 97هــ/ 716م.

وبسـقوط الخلافـة الأمويـة بدمشـق عـام 132هــ/ 750م، تمكـن الأمـير الأمـوي عبـد الرحمن بن معاويـة، مـن الفـرار نحـو فلسـطين ثم مصر ومنهـا إلى برقة فالقيروان، ثم سـبتة[1] ليعـبر مضيق جبل طـارق، ويدخـل الأندلـس، في آخـر ربيـع الثـاني 138هــ/ 11 تشريـن الأول 755م، وأخـذ الأمويـون يتجمعـون حولـه، حتـى تمكن من دخـول قرطبة حاضرة الأندلـس في 10 ذي الحجة 138هـ/ 15 أيار 756م، فلقـب «بالداخـل»، ويعنـي الداخـل إلى الأندلـس التـي تمكـن مـن تحويلهـا إلى إمـارة أموية

1 ـ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 2، ص 61.

وراثية مستقلة عن الخلافة العباسية[1].

حاول الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور، استرداد الأندلس، فعين العلاء بن مغيث اليحصبي والياً عليها عام 146هـ/ 763م، لكن عبد الرحمن «الداخل» انتصر عليه عام 147هـ/ 764م، وأرسل رأسه إلى أبي جعفر المنصور الذي أدرك خطورة هذا الأمير الأموي قائلاً: الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان، وأطلق عليه لقب «صقر قريش»[2].

(ب) ـ دولة الخوارج المدرارية في المغرب الأقصى

(140هـ/ 757م)

لم تتمكن الدولة العباسية، في عهد مؤسسها الحقيقي أبي جعفر المنصور، من السيطرة على الأقاليم البعيدة، فتمكن الخوارج من تأسيس دولة على يد عيسى ابن يزيد المكناسي، وهو سوداني، بنى حاضرته سجلماسة في جنوب المغرب الأقصى عام 140هـ/ 757م، ليخلفه أبو الخطاب الصفري، ثم أبو القاسم بن واسول الذي تلقب بالمدرار، فعرفت الدولة باسمه الدولة المدرارية أو دولة بني واسول، لأنه المؤسس الحقيقي لهذه الدولة. وتمكنت الدولة الفاطمية من القضاء على الدولة المدرارية عام 349هـ/ 960م[3].

(ج) ـ دولة الخوارج الرستمية في المغرب الأوسط

(144هـ/ 761م)

أسس عبد الرحمن بن رستم، وهو من أصل فارسي، دولة الخوارج الرسمية

1 ـ عصام شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 109.

2 ـ سوزي حمود: الأندلس في العصر الذهبي، ص 67.

3 ـ عصام شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 23.

عـام 144هــ/ 761م، وقاعدتهـا مدينـة تاهـرت في المغـرب الأوسـط، فكانـت ثـاني دولـة للخـوارج أقيمـت في المغـرب. وقـد سـقطت هـذه الدولـة، عـلى يـد الدولـة الفاطميـة عـام 296هــ/ 909م[1].

2 ـ موقف الإمام الأوزاعي من ثورة نصارى المنيطرة في جبل لبنان (142هـ/ 760م)

ثـار نصـارى المنيطـرة ضـد الـوالي العبـاسي صالـح بـن عـلي، عـام 142هــ/ 760م، بسـبب تعسـفه وظلمـه في فـرض الضرائـب. فعمـد الـوالي العبـاسي إلى مهاجمـة القرى في المنيطرة، وشـتت سـكانها، وقـضى عـلى الثورة بقسـوة.

تحـرك الإمـام الأوزاعـي[2]، فكتـب إلى الخليفـة العبـاسي أبي جعفـر المنصـور، يدافـع عـن نصـارى المنيطـرة ضـد تعسـف الـوالي صالـح بـن علي، رغـم أنه وقـف ضد الثـورة وشـارك في القضـاء عليها، لكنه رفض سياسـة القسـوة والبطش وتشـتيت السـكان الذين لا علاقة لهم[3]، بقوله: «فكيف تؤخذ عامـة بذنـوب خاصـة، حتـى يخرجوا مـن ديارهـم وأموالهم، وحكم اللـه تعالى أن لا تـزر وازرة وزر أخرى»[4].

والإمــام الأوزاعــي هــو عبــد الرحمــن بــن عمــرو بــن محمــد الأوزاعــي، مــن قبيلــة الأوزاع، ولــد في بعلبــك عــام 88هــ/ 707م، وســكن في بــيروت وتــوفي فيهــا عــام 157هــ/ 774م. عــرض عليــه القضــاء فامتنــع. ولــه كتــاب «**الســنن**» وكتــاب

1 ـ عصام شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 23.

2 ـ ترجمة الإمام الأوزاعي

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1 ص 492.

ابن النديم: الفهرست، ج 1 ص 227.

الزركلي: الاعلام، ج 3 ص 320.

3 ـ سوزي حمود: لبنان في العصر الوسيط، ص 35.

4 ـ المرجع نفسه، ص 36.

«**المسائل**». ومن بيروت انتشر مذهبه في بلاد الشام، ثم في المغرب والأندلس حيث ظل الفقهاء يأخذون به مدة أربعين عاماً[1].

3 ـ القضاء على الثورة العلوية الكبرى في المدينة المنورة والبصرة (145هـ/ 762م)

أدرك العلويون أن العباسيين قد خدعوهم واستأثروا بالخلافة، لاعتقادهم بأنهم أحق منهم بالخلافة، على الرغم من أن العلويين والعباسيين معاً هم من بني هاشم، وكانوا يداً واحدة في العمل على إزالة دولة بني أمية[2].

وهكذا بدأ نضال العلويين من أجل الوصول إلى حقهم في الخلافة وكانت ثورة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب المعروف بمحمد النفس الزكية[3] في المدينة المنورة مع ثورة أخيه إبراهيم في البصرة، أول ثورة علوية كبرى كادت أن تقضي على الخلافة العباسية، لتقوم مكانها خلافة علوية.

كان محمد النفس الزكية من سادات بني هاشم ورجالهم[4] فضلاً وشرفاً وعلماً، وقد بويع بالخلافة سراً أواخر حكم الدولة الأموية، حينما كانت الدعوة لأهل البيت «الرضا من آل محمد ﷺ» دون تسمية علنية لأحد من العلويين أو العباسيين. لذلك، حينما نجحت الدعوة واستأثر العباسيون بالخلافة، امتنع محمد النفس الزكية عن مبايعة أول خليفة عباسي أبي العباس السفاح، حينما كان أبو جعفر المنصور

---

1 ـ صالح بن يحي: تاريخ بيروت، ص 13.

2 ـ حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج 2، ص 102.

3 ـ محمد النفس الزكية (ت 145هـ/ 762م): أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالنفس الزكية: ولد عام 93هـ/ 711م وهو أمير علوي، عالم، شجاع، حازم، سخي، طلبه المنصور العباسي وحبس أباه وأثني عشر من أقاربه، وعذبهم فماتوا في الحبس. فخرج ثائراً، وقاتل حتى قتل. الزركلي: الإعلام، ج 7، ص 9.

4 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 147 ـ 148.

يأخذ الدعوة له في الحجاز، ثم تخلف محمد النفس الزكية مع أخيه إبراهيم عن البيعة لثاني خلفاء بني العباس أبي جعفر المنصور الذي أيقن من خطر الأخوين فقرر التخلص منهما، بعد تخلصه من عمه عبد الله بن علي وقائده أبي مسلم الخراساني.

كان من المتوقع أن تنجح ثورة محمد النفس الزكية في المدينة المنورة، إذا ما اندلعت في الوقت عينه مع ثورة أخيه إبراهيم في البصرة. لكن محمد النفس الزكية عجل بظهوره في المدينة عام 145هـ/ 762م، بعد أن دعا إلى نفسه سراً وعاش في الخفاء، حتى اعترف الناس بإمامته في مكة المكرمة والمدينة المنورة وتلقب بأمير المؤمنين.

لذلك اندلعت الثورة العلوية في المدينة المنورة، بقيادة محمد النفس الزكية، في عام 145هـ/ 762م، وقد عز عليه أن يأمر أبو جعفر المنصور بحبس والده عبد الله بن الحسن مع عمه إبراهيم واثني عشر من أقاربه في العراق، حتى مات والده في السجن وكذلك عمه[1]. فثار محمد النفس الزكية في المدينة المنورة، وسجن متوليها، واستعمل على مكة المكرمة واليمن والشام عمالاً، فأحبه الناس حتى قارب أنصاره المئة ألف أول الأمر[2].

ويبقى السبب الرئيسي لفشل الثورة العلوية الكبرى، هو عدم تنفيذ الخطة التي أعدها الأخوان محمد النفس الزكية وإبراهيم وكانت تقضي بإعلان الثورة في المدينة المنورة والبصرة في وقت واحد. ويرجع ذلك إلى تأخر خروج إبراهيم لمرضه، أو بسبب تعجل محمد النفس الزكية بإعلان الثورة قبل أخيه، ولو خرج الأخوان في وقت واحد، لما استطاع أبو جعفر المنصور مواجهتهما معاً، بل سنحت له الفرصة للقضاء على الأخوين، باستفراد كل منهما على حدة، فقد أعلن

---

1 ـ الأصبهاني: مقاتل الطالبيين، ص 228.

2 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9، ص 219 ـ 220.

محمد النفس الزكية الثورة في المدينة المنورة في أول رجب 145هـ/ 762م، في حين ظهر أخوه إبراهيم في البصرة في أول رمضان 145هـ/ 762م وقتل محمد يوم الاثنين 14 رمضان 145هـ/ 762م أي بعد أسبوعين فقط من إعلان أخيه إبراهيم الثورة في البصرة، ليقتل بدوره في 25 ذي القعدة 145هـ/ 762م[1].

وبعد أن قضى على أخطر ثورتين علويتين في الحجاز والبصرة، اتخذ الخليفة العباسي أبو جعفر لقب «المنصور بالله»، لأن انتصاره يعني نهاية الجهود العلوية النشطة للحصول على الخلافة. والقصد من هذا اللقب «الشخص الذي أعانه الله تعالى على إحراز النصر»[2]. وهو يعد أول من اتخذ لقباً منسوباً إلى الله، معتبراً نفسه «ظل الله على الأرض»[3]، استناداً إلى نظرية الحق الإلهي المأخوذة عن الفرس.

4 ـ بناء الحاضرة الجديدة بغداد «مدينة السلام»

(145 ـ 149هـ/ 762 ـ 766م)

ما إن استقرت الأوضاع السياسية للخليفة أبي جعفر المنصور، حتى شرع في بناء حاضرة جديدة، يرتبط بها اسم العباسيين مثلما ارتبط اسم الأمويين بدمشق تكون معسكراً للجند العباسي ومركزاً لدواوين الدولة الجديدة، فاختار الضفة الغربية لنهر دجلة في إقليم عربي هو العراق، موقعاً لهذه الحاضرة.

ويعود اختيار أبو جعفر المنصور للمكان الذي بنى فيه حاضرته الجديدة بغداد، لوقوعه على حدود الاقليمين العربي والفارسي، أي على مقربة من البيئة الفارسية

---

1 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 108.

2 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1، ص 95.

3 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 10، ص 55.

مسكويه: تجارب الأمم، ج 2، ص 94.

التـي يعتـز بهـا العباسـيون[1] لأنهـم اعتمـدوا عـلى الفـرس بالدرجـة الأولى وليـس عـلى العـرب في قيـام دولتهـم. لذلـك لم تعـد الحـواضر الاسـلامية القديمـة صالحـة لهـذا الاتجـاه الجديـد، فالحـاضرة الأمويـة دمشـق هـي مدينـة عربيـة في بيئـة عربيـة، ومكـة المكرمـة والمدينـة المنـورة تقعـان في قطـر فقـير هـو الحجـاز لا يتناسـب مـع عظمـة الدولـة التـي يسـعى إليهـا العباسـيون. والكوفـة يغلـب عليهـا التشـيع حيـث الأكثريـة العلويـة التـي تعاونـت مـع العباسـيين في إسـقاط الدولـة الأمويـة، قبـل أن ينفـرد العباسـيون بالحكـم، فلـم يسـتطع الخليفـة العبـاسي الأول أبـو العبـاس السـفاح البقـاء في الكوفـة التـي لا يميـل أهلهـا إليـه فانتقـل إلى هاشـمية الكوفـة ثـم إلى هاشـمية الأنبـار، وكذلـك فعـل الخليفـة العبـاسي الثـاني أبـو جعفـر المنصـور الـذي أقـام أول الأمـر في هاشـمية الكوفـة ثـم انتقـل إلى المدائـن[2].

كـما أن بغـداد تمتـاز بخصوبـة أرضهـا، لوقوعهـا بـين نهـري دجلـة والفـرات، فهي ترتـوي من نهـر دجلـة لوقوعهـا عـلى ضفتـه الغربيـة، ويتصـل بهـا نهر الفـرات عن طريـق جداولـه المتعـددة.

وقيـل، إن اسـم بغـداد هـو اسـم فـارسي قديـم، مشـتق مـن كلمتـين، هـما «بـغ» ومعناهـا اللـه، و«داد» ومعناهـا عطيـة، فيكـون المعنـى «عطيـة اللـه»[3]، وهـذا مـا يثبـت وجـود بلـدة قديمـة في الموضـع الـذي بنيـت فيـه بغـداد، وكانـت تقـام فيهـا أسـواق موسـمية يجتمـع فيهـا التجـار.

وقـد أطلـق عـلى بغـداد عـدة أسـماء[4]، منهـا مدينـة المنصـور نسـبة إلى مؤسسـها أبي جعفـر المنصـور، والمدينـة المـدورة نسـبة إلى شـكلها الدائـري، والـزوراء لأن

1 ـ محمد سهيل طقوش: تاريخ الدولة العباسية، ص 67.

2 ـ أحمد مختار العيادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 54.

3 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص 66، 72.

ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر، ج 3 ص 197.

4 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 383.

مداخلها كانت مزورة أو منحنية على شكل دهاليز، ودار السلام تشبيهاً لها بالجنة. ومع ذلك غلب عليها الاسم الفارسي القديم بغداد، حيث لم تدم الأسماء الأخرى طويلاً.

خطّ أبو جعفر المنصور مدينة بغداد على شكل مستدير، أي دائري، وهو ظاهرة معمارية جديدة في فن العمارة الاسلامية، لأن معظم المدن العربية الاسلامية كانت إما مستطيلة أو مربعة، ويبدو أنه تأثر بتخطيط بعض المدن الفارسية القديمة مثل همذان[1]. وأحاط المدينة بخندق خارجي عميق عرضه ستة أمتار، وتجري فيه المياه، من قناة تأخذ ماءها من نهر اسمه كرخايا يستمد ماءه من أحد روافد نهر الفرات. ثم قام بمد قناة من نهر دجيل وهو فرع من نهر دجلة. وأصبحت القنوات تنفذ إلى شوارع ودروب المدينة، وتجري صيفاً وشتاءً ولا ينقطع ماؤها.

وجعل أبو جعفر المنصور لمدينة بغداد، ثلاثة أسوار: السور الخارجي، ثم السور الداخلي الذي يمتار عن الأول بالسمك والارتفاع وبأبراج الحراسة والمراقبة، ويفصل بينهما فراغ كبير بعرض واحد وثلاثين متراً، فيه بعض المزارع والأشجارز أما السور الثالث، فيفصله عن السور الداخلي فراغ ثان فيه السجن ومساكن الحاشية والقادة، وهو يحيط بالميدان أي وسط المدينة حيث بنى أبو جعفر المنصور قصر الذهب وفوقه قبة خضراء عالية، وبجواره المسجد الجامع[2]، وأقام على جوانب الميدان قصور الأمراء ودواوين الدولة، ولا يسمح لأحد بالدخول إلى الديوان إلا راجلاً. وفي كل سور من الأسوار الثلاثة، أربعة أبواب حديدية تؤدي إلى الجهات الرئيسية الأربع في الدولة العباسية، وهي: باب خراسان، باب البصرة، باب الكوفة، وباب الشام. ويعد باب خراسان الباب

1 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 56.

2 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 163.

الشرقي الذي يؤدي إلى طريق خراسان لذلك عرف أحياناً بباب الدولة، أما باب الكوفة فهو الباب الغربي لوقوع الكوفة غرب بغداد، في حين يقع باب البصرة في جنوب المدينة ويؤدي إلى البصرة، ويقابله من الشمال باب الشام[1]. وجعل على كل باب من هذه الأبواب الأربعة، قبة عظيمة مذهبه، وعلى رأس كل قبة تمثال تديره الرياح لا شبيه لناظره[2].

أدرك أبو جعفر المنصور خطورة اختلاط التجار القادمين من البلاد المختلفة بسكان المدينة في الأسواق التي أقيمت أول الأمر داخل المدينة، فبنى ربض الكرخ[3] في جنوب بغداد، جاعلاً فيه الأسواق ومسجداً خاصاً يصلي فيه أهل الأسواق حتى لا يدخلوا المدينة[4].

استغرق بناء بغداد أربعة أعوام (145 ـ 149هـ/ 762 ـ 766م)، وقد أنفق أبو جعفر المنصور على بنائها ثمانية عشر مليون دينار، وعمل في البناء خمسون ألف عامل يومياً، بإشراف عدد من المراقبين من بينهم الامام أبو حنيفة النعمان الذي أوكل إليه إعداد اللبن والآجر بالقصب[5]. وتمت عملية بناء بغداد على يد الربيع بن يونس (ت 175هـ/ 786م) وهو حاجب المنصور[6]، وأبان بن صدقة (ت 167هـ/ 783م) وهو كاتب ديوان: الرسائل في عهده[7].

وفي عام 151هـ/ 768م، بنى أبو جعفر المنصور، مدينة الرصافة على الضفة الشرقية لنهر دجلة، مقابل بغداد، فعرفت برصافة بغداد، أو بغداد الشرقية، ثم

---

1 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص 66.

2 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 54.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 7، ص 653.

4 ـ اليعقوبي: البلدان، ص 239.

5 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص 71.

6 ـ محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج 6 ص 46.

7 ـ أزهر عباس خوشي: بغداد في عهدي الأمين والمأمون، ص 21.

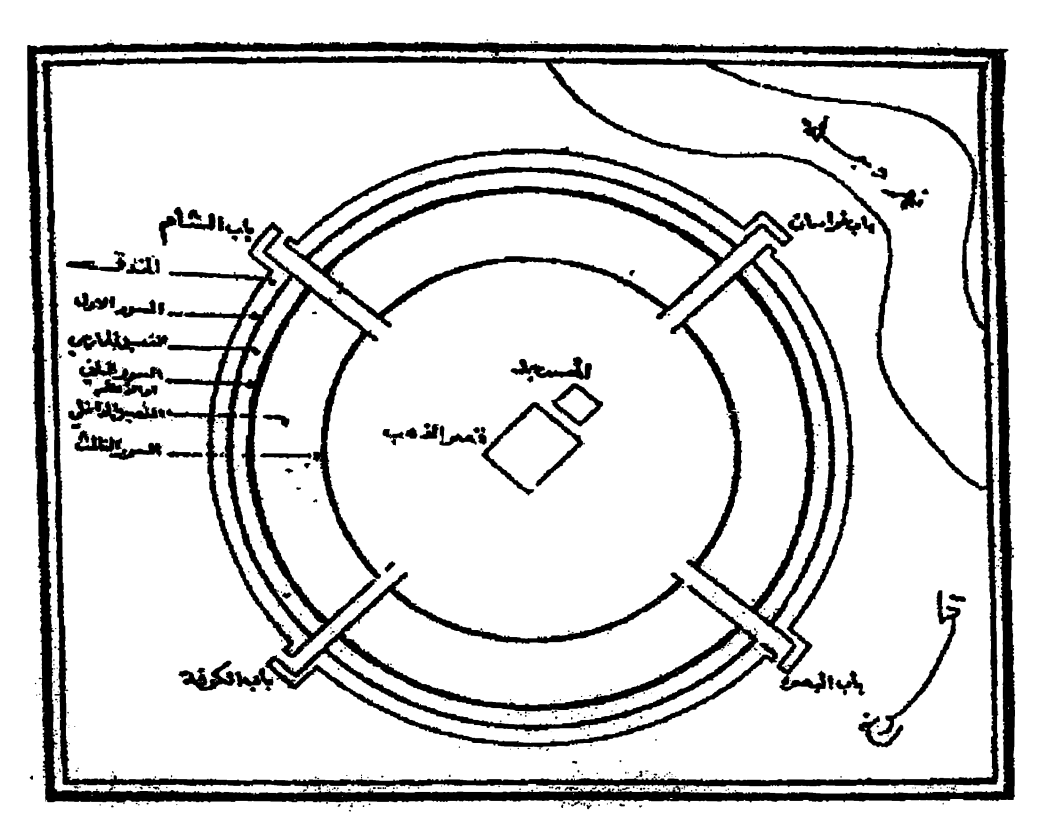
ربـط المدينتـين بثلاثـة جسـور فـوق نهـر دجلـة. وكان الهدف مـن بناء الرصافـة، أن تكون معسـكراً للجيـش الخراسـاني بقيـادة ابنـه محمد المهدي، لذلك سـميت أول الأمر «عسـكر المهـدي»، ثم غلب اسـم الرصافـة عليهـا. وكان انشـاؤها قرب قـبر أبي حنيفة النعـمان (ت 150هـ/ 767م).

ومـا لبثـت الرصافـة أن نمـت بسرعـة، وأصبحـت امتـداداً للحـاضرة بغـداد، بعـد أن بنـى المهدي المسـجد الجامـع الـذي عـرف بجامـع الرصافـة أو جامـع المهـدي، وجعلـه أكـبر مـن جامـع أبيـه في بغـداد، وإلى جانبـه بنـي قـصره الـذي عـرف بقـصر الرصافـة أو قـصر المهـدي عـام 154هــ/ 770م.

وفاقت الرصافة الحاضرة بغداد حسناً واتساعاً[1]، وعمل لها سوراً وخندقاً، وأجرى لها الماء.

وفي عـام 157هــ/ 773م، عمـد أبـو جعفـر المنصـور إلى نقل الأسـواق من داخل بغـداد والرصافة، إلى ناحيـة الكـرخ في الجانـب الغـربي. بعد أن ضاقت الحاضرة العباسـية بالأسـواق والباعـة والتجار.

1 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 54.



خريطة بغداد وأبوابها الأربعة[1]

1 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص 216.

5 ـ بناء قصر الذهب وقصر الخلد

لم يكتـف أبـو جعفـر المنصـور ببنـاء حاضرة جديـدة هي بغداد، فبنى وسـط هـذه الحاضرة قصر الذهـب[1]، ليكـون مركـزاً للخلافة، وسـمى بابه بـاب الذهـب، وبإمكانـه أن يراقب شـوارع بغداد من خلال هـذا القصر.

وكان في صـدر القـصر إيـوان، وفي صـدر الإيـوان مجلس، وعلى سـطح الإيوان مجلـس آخر، وفوق المجلـس قبـة خـضراء، وعـلى رأس القبة تمثال فـرس وعليه فارس في يـده رمح[2].

ثـم أنشـأ أبـو جعفـر المنصور مسـجداً واسـعاً بجانب قـصر الذهـب، وجعـل لأروقته أسـاطين من الخشـب، وبنـى لنفسـه مقصورة داخـل المسـجد، ليصلي فيهـا ويحتمي بها.

وفي عـام 175هــ/ 773م، بنـى أبـو جعفـر المنصـور قـصره المسـمى «قـصر الخلد»، على شـاطىء نهـر دجلـة، خلـف باب خراسـان.

ويتخلـل قـصر الخلـد العمـد الكثيرة الضخمـة المزينة بالصور والرسـوم. وفيه عـرش الخليفة الذي يسـمى «مجلـس الأمـير»، وقـد فـرش بالرخـام يتوسـطه قضبـان مـن الذهـب، وفيه كـراسي مرصعة باللؤلـؤ يجلـس عليهـا كبـار رجـال الدولـة. مـا يعنـي أن أبـا جعفـر المنصـور تأنـق في بنـاء قـصره وتجميلـه، وسـماه بــ «الخلد» تشـبيهاً لـه بجنة الخلـد، وأيضاً تفـاؤلاً بخلود ملكه وبقـاء الخلافة في ولـده[3]. ثـم بنيـت المنـازل حولـه، فأصبـح القصر ومـا حواليه يعـرف بــ «الخلد»[4].

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 177.

2 ـ محمد مكية: بغداد، ص 20.

3 ـ المرجع نفسه، ص 26.

4 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص 75.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 212.

أدت الحرب بين الأخوين محمد الأمين وعبد الله المأمون (195 ـ 198هـ/810 ـ 813م)[1] إلى خراب قصر الخلد الذي أصبح خراباً مدروساً لا عين له ولا أثر. وكذلك في خراب قصر الذهب، بسبب حصار بغداد الذي استمر حوالى خمسة عشر شهراً والمجانيق التي لم ترحم بغداد بما فيها القصرين.

6 ـ وفاة الإمام السادس جعفر الصادق (148هـ/ 765م)

ولد الإمام جعفر الصادق في المدينة المنورة عام 80هـ/ 699م، وبعد الامام السادس عند الشيعة الاثني عشرية، فهو ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام.

ويعد المذهب الجعفري، مذهب الشيعة الاثني عشرية، وقد أخذ عنه الامام أبو حنيفة والامام مالك.

وبالنسبة للثورة العلوية الكبرى التي اندلعت في المدينة المنورة عام 145هـ/ 762م، فقد رفض الامام جعفر الصادق مبايعة محمد النفس الزكية، وأخذ يحذر أقرباءه وأتباعه من الاشتراك بثورة غير محكمة الإعداد وغير ناضجة. ولم يكن خفياً أن محمد النفس الزكية كان المنافس الأول للإمام جعفر الصادق في الرئاسة الروحية للعلويين، وقد تنبأ الإمام جعفر الصادق بأن ثورة محمد النفس الزكية فاشلة وأنه سيقتل[2].

وبالفعل، صدقت نبوءة الإمام جعفر الصادق، وفشلت الثورة، وقتل محمد النفس الزكية كما قتل أخوه إبراهيم بن عبد الله. وحشر العلويون في المدينة المنورة، حتى قدموا الكوفة، ومكثوا فيها شهراً يتوقعون القتل، وطلب أن يدخل رجلان

---

1 ـ خلود مصطفى خماس: المظاهر الحضارية في الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي الأول (عمارة المدن والقصور)، ص 125.

2 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1 ص 85.

منهم إلى الخليفة المنصور، فدخل الإمام جعفر الصادق والحسن بن زيد[1]. وقد أعجب الخليفة بحديث الإمام جعفر الصادق، وتبسم قائلاً: مثلك فليكن زعيم القوم، قد عفوت عنكم[2]. وبذلك عفا الخليفة عن العلويين، وتركهم يرحلون إلى المدينة المنورة، وفيها توفي الإمام جعفر الصادق عام 148هـ/ 765م.

7 ـ سجن الإمام أبي حنيفة النعمان ووفاته (150هـ/ 767م)

عاصر الإمام أبو حنيفة[3] سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكان مغضوباً عليه من الدولتين، فعندما طلبه عامل العراق زمن الأمويين يزيد بن عمر بن هبيرة على بيت المال وقيل على القضاء، فأبى، فجلده بالسوط[4]. كما استدعاه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد لتقلد القضاء، وعرض عليه عشرة آلاف درهم[5]، فرفض، فأمر الخليفة بسجنه وتعذيبه، فمات في الحبس. وفي رواية أخرى، أنه قبل القضاء على كرْهٍ، ثم مات بعد أيام، أو مات مسموماً على يد المنصور عام 150هـ/ 767م.

صحيح أن الإمام أبا حنيفة رفض تولي القضاء أيام الخليفة أبي جعفر المنصور، كما رفضه أيام الأمويين، وكثير من العلماء يرغبون في هذا المنصب، إلا أن هذا الرفض هو السبب المباشر الذي تذرع به أبو جعفر المنصور الذي حنق

---

1 ـ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 1 ص 131.

2 ـ المصدر نفسه، ج 1 ص 314.

3 ـ ترجمة الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي (80 ـ 150 هـ/ 699 ـ 767م)

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 5 ص 39.

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 6 ص 202، ج 7 ص 35 ـ 43.

عصام شبارو: القضاء والقضاة في الإسلام «العصر العباسي»، ص 122 ـ 129.

4 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 7 ص 35.

5 ـ عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص 33.

علـى الإمـام أبي حنيفـة لموقفـه المعارض لسياسـة المنصـور والمؤيد للثـورة العلوية الكـبرى في المدينة المنـورة والبـصرة، حيـث كان يـروي أن محمـد النفـس الزكيـة أحـق بالخلافـة[1]. وهـذا هـو السـبب الحقيقـي لسـجن الإمـام أبي حنيفـة وتعذيبـه، ثـم موته.

والإمـام أبـو حنيفـة النعـمان بـن ثابـت، هو فارسي الأصـل، ولـد في الكوفة عام 80هــ/ 699م، ولم يكتـب كتابـاً في الفقـه. ويعـود الفضل في نـشر مذهبه الحنفي إلى تلميذه أبي يوسـف الذي يعد اول قـاضي قضـاة في الإسـلام زمـن هارون الرشـيد، فجعل مذهب أسـتاذه هـو المذهب الرسـمي للخلافة العباسـية، وأبـو يوسـف هـو الـذي دوّن آراء وفقـه الإمـام أبي حنيفـة في كتـب، وصـل منهـا كتـاب «**الخـراج**» وكتـاب «**اختـلاف أبي حنيفة وابـن أبي ليلي**»[2].

وقـد اعتمـد أبـو حنيفـة في أحكامـه على الاجتهـاد، وأصبح إمـام أهل الـرأي والقيـاس. ويعد أول الأئمـة الأربعـة عنـد أهـل السـنة، فقـد ولـد عـام 80هــ/ 699م بينـما الإمـام مالـك ولد عـام 93هـ/ 711م، أي بعـد ثلاثـة عـشر عامـاً، والامـام الشـافعي ولـد عنـد وفاة أبي حنيفـة عام 150هــ/ 767م، والإمـام ابـن حنبـل ولـد عـام 164هــ/ 780م أي بعـد أربعـة عـشر عاماً من وفـاة أبي حنيفـة[3] الذي تـوفي عـن سـبعين عاماً.

---

1 ـ نبيلة حسن محمد: في تاريخ الدولة العباسية، ص 250.

2 ـ عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص 34.

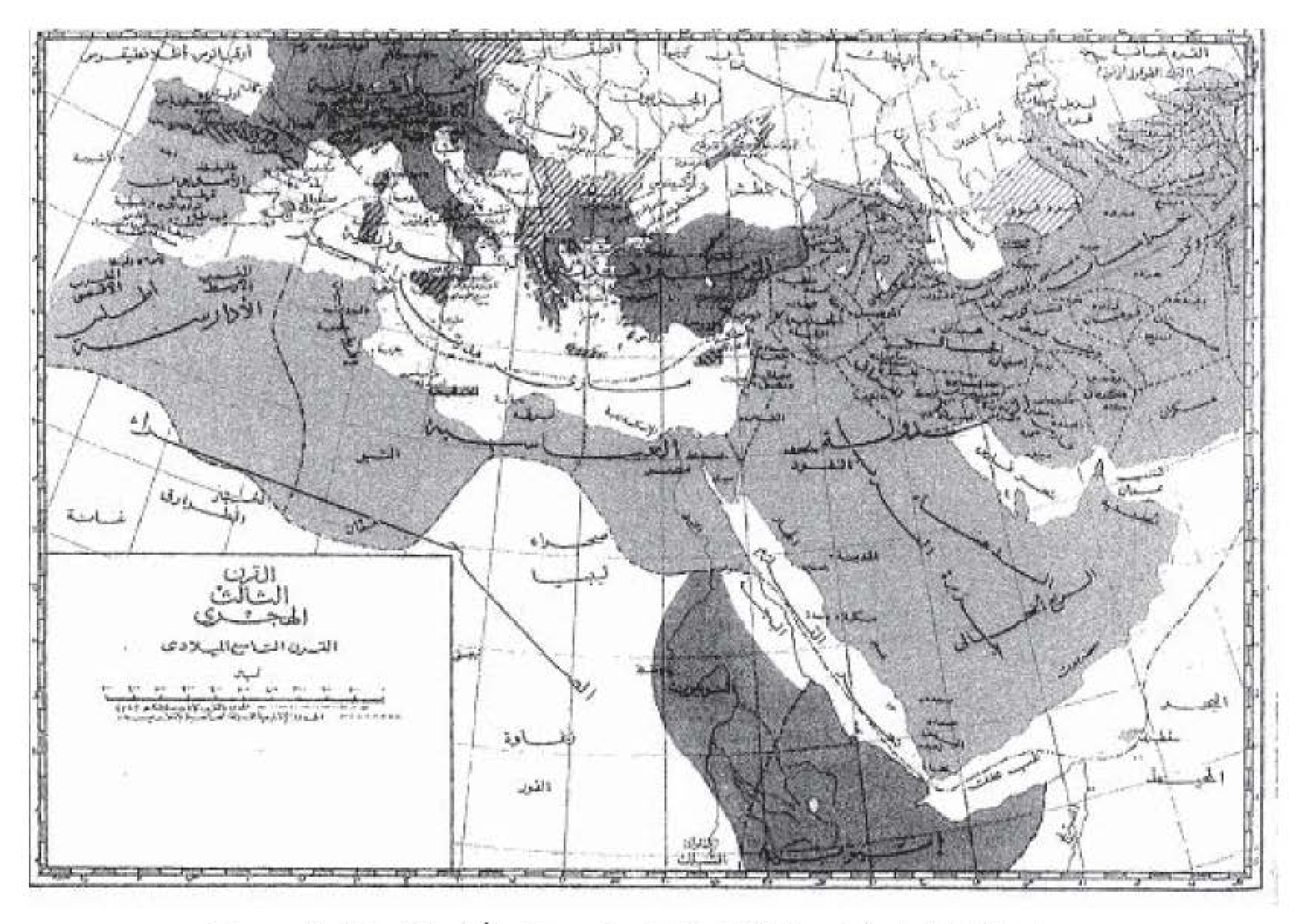
3 ـ المرجع نفسه، ص 33.

المرحلة الثانية

القوة والازدهار

(158 ـ 232هـ/ 775 ـ 847م)

- ـ المهدي، محمد بن عبد الله (158هـ/ 775م)
- ـ الهادي، موسى بن محمد (169هـ/ 785م)
- ـ الرشيد، هارون بن محمد (170هـ/ 786م)
- ـ الأمين، محمد بن هارون (193هـ/ 809م)
- ـ المأمون، عبد الله بن هارون (198هـ/ 813م)
- ـ المعتصم بالله، محمد بن هارون (218هـ/ 833م)
- ـ الواثق بالله، هارون بن محمد (227 ـ 232هـ/ 842 ـ 847م)



حدود الدولة العباسية في مرحلة القوة والازدهار هاري وهازارد: أطلس التاريخ الإسلامي، ص 11.

الفصل الثالث

الخليفة الثالث محمد المهدي
«عهد الرخاء الاقتصادي»
(158 ـ 169هـ/ 775 ـ 785م)

أدى تأسيس الدولة العباسية على يد الخليفة الثاني أبي جعفر المنصور، إلى نجاح ابنه الخليفة الثالث محمد المهدي (6 ذو الحجة 158 ـ 8 محرم 169هـ/ 7 تشرين الأول 775 ـ 4 آب 785م)، في جعل عهده الذي استمر عشرة أعوام وشهراً ونصف الشهر، عهد الرخاء الاقتصادي، وكانت زوجته الخيزران أول امرأة تستبد بالحكم في الإسلام.

1 ـ سياسة الاصلاح والاعتدال

اتبع الخليفة محمد المهدي سياسة التسامح والاعتدال، فأطلق السجناء، وصرف الأموال التي تركها أبوه في بيت المال، وتقدر بأربعة عشر مليون دينار، في المشاريع التي قام بها، مثل بناء الأحواض التي تملأ من مياه الآبار، في طريق مكة المكرمة، من أجل راحة القوافل في طريقها إلى الحج. كما أقام البريد لأول مرة بين المدينة المنورة ومكة المكرمة واليمن.

كما أمر محمد المهدي، بنزع المقاصير من المساجد الجامعة، وتقصير المنابر،

وجعلها بالمقدار الذي كانت عليه أيام النبي محمد ﷺ [1]. فاعتبر وجود المقاصير، أي الحواجز الخشبية التي تحيط بالمنبر والمحراب والمخصصة للخليفة أو الأمير وكبار رجال الحاشية دليلاً على خوف الإمام وفزعه، في الوقت الذي هدأت فيه الأحوال واستتب الأمن[2].

قام الخليفة محمد المهدي بتطبيق نظام المقاسمة على كثير من أراضي الدولة العباسية، وفق نسب معينة دون اعتبار لمساحة الأرض، تتراوح بين خمس أو ثلث أو نصف محصول الغلات الزراعية. أما الأشجار والكروم فبقيتا على نظام المساحة، حيث تقدر الدولة خراجاً معيناً على مساحة معينة، تجبيه كل عام دون النظر إلى المحصول أو طريقة الزراعة. وقد تحققت فوائد كثيرة من هذا الاصلاح، من خلال نظام المقاسمة، فقد ضمنت الدولة دخلاً وزاد الانتاج[3]، فتوفرت الغلال الزراعية ورخصت الأسعار[4]، وخفت الضرائب على الفلاحين.

وقد ساعده في ذلك الاستقرار والأمن وانتشار العدل[5] بعدما جلس للنظر في المظالم[6]، فكان عهده عهد الرخاء الاقتصادي. وقد بنى قصر السلامة (السلام)[7] الذي يعد من أجمل القصور.

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 168.

2 ـ محمد السيد الوكيل: العصر الذهبي للدولة العباسية، ص 135.

3 ـ حسن أحمد محمود وأحمد ابراهيم الشريف: العالم الاسلامي في العصر العباسي، ص 196.

4 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص 70.

5 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 2 ص 248.

6 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 179.

7 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 1 ص 97.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 189.

2 ـ توسعة وعمارة المسجد الحرام في مكة المكرمة

والمسجد النبوي في المدينة المنورة (161 ـ 167هـ/ 777 ـ 783م)

تابع الخليفة محمد المهدي، ما بدأه والده الخليفة أبو جعفر المنصور الذي أمر بتوسعة المسجد الحرام عام 137هـ/ 754م[1]، فأمر بدوره بتوسعته عام 161هـ/ 777م، ليستمر العمل حتى عام 167هـ/ 783م[2]م. فاشترى الدور في موضع التوسعة بثلاثين ألف ألف وخمسمائة ألف دينار، وهدمت جميع الدور بين المسجد الحرام والمسعى. وقام بنقل أعمدة الرخام من بلاد الشام ومصر عن طريق جدة. فحفرت الأرض وعملت جدران الأساس للأعمدة على شكل متقاطع ومتعامد، وعملت أروقة جديدة وسقفها بخشب الساج. وبلغت أبواب المسجد الحرام تسعة عشر باباً[3]، هي: باب السلام، باب الندوة، باب العباس، باب علي، باب الوداع، باب البقلة، باب الصفا، باب أجياد الصغيرة، باب الرحمة، باب بني تميم، باب أم هانىء، باب العازورة، باب ابراهيم، باب العمرة، باب السيدة، باب العجلة، باب زيادة، باب سويقة، وباب دريبة. ولا تزال توجد مجموعة من الأعمدة الرخامية المنقوشة حتى يومنا هذا، في الجهة الجنوبية من المسجد الحرام، على بداية الدرج من جهة باب الصفا، وقد أقامها محمد المهدي لتكون دليلاً للحجاج من المطاف إلى الصفا، وكتب على أحد الأعمدة تاريخ رفعه وهو عام 167هـ/ 783م.

كما أوكل الخليفة محمد المهدي إلى عامله في المدينة المنورة جعفر بن سليمان، أمر توسعة المسجد النبوي الشريف، عام 165هـ/ 781م، وأصبح عدد الأبواب في هذه التوسعة، عشرين باباً[4].

---

1 ـ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ج 2 ص 73، 74.

2 ـ المصدر نفسه، ج 2 ص 74 ـ 81.

3 ـ فوزية مطر: تاريخ وعمارة الحرم المكي الشريف ص 154 ـ 159.

4 ـ السمهودي: وفاء الوفا، ج 2 ص 37.

وجـرت توسـعة أخـرى عهـد المعتضد باللـه بين عامـي 281 و 284هــ/ 894 ـ 897م، فهدمت دار النـدوة وضمـت إلى المسـجد الحـرام، بعدمـا ارتفعـت مكانهـا الأعمـدة والأروقـة المسـقفة بخشـب السـاج مـن جوانبهـا الأربعـة. وجعـل المسـجد الحـرام باثني عـشر باباً[1].

ومـما يذكـر أن النبـي محمـد ﷺ، هـو الـذي بنـى المسـجد النبـوي في المدينـة المنـورة، في العام الأول للهجـرة/ 622م، واتجـاه القبلـة فيـه إلى الشـمال شـطر بيـت المقـدس، قبـل أن يصبـح الاتجاه نحـو الجنـوب شـطر المسـجد الحـرام في مكة المكرمـة عام 2هــ/ 623م[2].

والنبـي محمـد ﷺ، هـو أول مـن عمـل عـلى توسـعة المسـجد النبوي، عـام 7 هـ/ 628م. ليسـع العـدد المتزايـد مـن المصلـين[3]، في حـين كان الخليفـة الراشـدي عمر بـن الخطاب ثاني مـن عمل على توسـعة المسـجد النبـوي عـام 17هــ/ 638م[4]، وذلـك بعـد شراء البيـوت حـول المسـجد وهدمها، بما فيهـا قسـم مـن دار العبـاس بـن عبـد المطلـب الذي تصـدق بها عـلى المؤمنـين، وهو الذي ينتسـب إليـه العباسـيون. واسـتثنى مـن الـشراء والهدم حجر أمهـات المؤمنين، فأعـاد بناءه باللـبن والجريد، وجعـل عمـده مـن الخشـب، وسـقفه مـن الجريـد، وكسـاه ليحمـي المصلـين مـن المطـر، وأصبحت أبـواب المسـجد النبوي سـتة أبواب.

أمـا المسـجد الحـرام في مكـة المكرمـة، فيعـود إلى عهـد إبراهيـم عليـه السـلام الـذي قـام برفـع القواعـد، وهـو يقـف عـلى الحجـر الـذي فيـه أثر قدميـه (مقـام إبراهيم)، ثـم وضع الحجر الأسـود الـذي نـزل مـن الجنـة في مكانـه بالكعبـة. ويعـد اسـماعيل عليـه السـلام أول مـن كسـا الكعبـة.

---

1 ـ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ج 2 ص 109 ـ 113.

2 ـ ابن هشام: السيرة النبوية، ج 1 ص 494.

3 ـ السمهودي: وفاء الوفاء، ج 1 ص 338.

4 ـ المصدر نفسه، ج 2 ص 481، 482، 492، 496.

وكان عمر بن الخطاب أول من عمل على توسعة المسجد الحرام من الخلفاء، وذلك عام 17هـ/ 638م[1]، فقد كانت الكعبة قائمة وليس حولها إلا فناء ضيق، يصلي المسلمون فيه، لذلك اشترى عمر بن الخطاب دوراً حول الكعبة، وهدمها، وأدخلها في المسجد الحرام، وأحاطها بجدار قصير دون قامة الرجل، ووضع المصابيح على الجدار لإنارة المسجد ليلاً. وكانت كسوة الكعبة الشريفة هي الجلود، فكساها بالثياب اليمانية، ثم كساها بالثياب المصرية الرقيقة البيضاء[2]. وكان مقام ابراهيم عليه السلام ملتصقاً بالكعبة فنقله إلى مكانه اليوم، بعيداً عنها للتيسير على الطائفين والمصلين، وعمل عليه المقصورة.

ثم زاد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان في مساحة المسجد الحرام عام 26هـ/ 646 [3]، بعد أن ضاق بالحجاج مع امتداد الفتح العربي الإسلامي، فاشترى دوراً حول الكعبة، وأحاطها بجدار قصير دون قامة الرجل[4]. كما أمر بهدم المسجد النبوي الشريف عام 29هـ/ 649م، وأعاد بناءه وتوسعته ليتناسب مع الزيادة الكبيرة في عدد سكان المدينة المنورة[5]، ودخل في هذه التوسعة دار أم المؤمنين حفصة وباقي دار العباس بن عبد المطلب.

واستمرت توسعة المسجد الحرام في مكة المكرمة، في العصر الأموي، مع عبد الله بن الزبير[6]، ثم في عهد عبد الملك بن مروان عام 75هـ/ 694م[7]، وفي عهد

1 ـ العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 3 ص 571.

2 ـ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، ج 1 ص 352.

3 ـ الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج 1 ص 76.

4 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 5 ص 250.

5 ـ ابن كثير: البداية والنهاية 2 ج 7 ص 60.

6 ـ الأزرقي: أخبار مكة وما جاء بها من الآثار ج 2 ص 69، 71.

7 ـ فوزية مطر: تاريخ وعمارة الحرم المكي الشريف، ص 119، 120.

الوليد بن عبد الملك عام 91هـ/ 709 [1]. وهو الذي أمر أيضاً بتوسعة المسجد النبوي الشريف عام 88هـ/ 707م[2]، فشملت هذه التوسعة حجرات أمهات المؤمنين، مما ترك أثراً عميقاً في نفوس أهل المدينة المنورة، لشدة حبهم للنبي ﷺ. وربما بقيت أبواب المسجد النبوي كما هي في زيادة عثمان بن عفان على ستة أبواب[3]. وفي هذه الزيادة أيضاً، زيد في حجرة عائشة (قبر النبي محمد ﷺ)، حيث أنها لم تزد منذ أن بنى عمر بن الخطاب جداراً يفصل بين حجرة عائشة وقبر النبي ﷺ وأبي بكر؛ وعائشة هي التي بنت الحائط بعد دفن عمر بن الخطاب فيها .

3 ـ القضاء على حركة المقنع (163هـ/ 779م)

المقنع لقب هاشم وقيل حكيم أو عطاء[4] أحد أتباع أبي مسلم الخراساني المخلصين. وهو فارسي الأصل من مدينة مرو، لقب بالمقنع لأنه يضع على وجهه قناعاً موشى بالذهب وقيل إنه كان من الحرير الأخضر[5].

أحدثت الدعوة العباسية هزة عنيفة في ايران، ظهرت معها حركات متعددة تدعو إلى إعادة مجد ايران القديم بتقاليده ودياناته الموروثة والقضاء على العروبة والإسلام، فكانت الثورات وأشهرها ثورة المقنع[6] التي بدأت عام 159هـ/ 775م، في محاولة للأخذ بثأر أبي مسلم الخراساني الذي تخلص منه أبو جعفر المنصور.

1 ـ فوزية مطر: تاريخ وعمارة الحرم المكي الشريف، ص 125 ـ 127.

2 ـ السمهودي: وفاء الوفا، ج 2 ص 516، 517، 533، 540.

3 ـ المصدر نفسه، ج 2 ص 686.

4 ـ الشهرستاني: الملل والنحل، ص 115.

ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 478.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 470، 484.

5 ـ القزويني: تاريخ كزيدة، ص 312.

نظام الملك: سياسة نامة، ص 198.

6 ـ النرشخي: تاريخ بخارى، ص 63 ـ 74.

لم يـدّع المقنـع النبـوة، بـل ادّعـى الألوهيـة، وقـدس أبا مسـلم الخراسـاني، ونـادى بأفضليته حتى عـلى الرسـل، وأسـقط الفرائـض مـن صـوم وصـلاة وزكاة. وادّعـى أنـه بعـد وفاتـه سـيعود إلى هذه الأرض لينـشر العـدل وليحكـم أتباعـه هـذا العـالم. لذلك اتخـذ القناع ليغطـي به عيوبـه[1] من جهة، حيـث كان قبيحـاً أعـور، قصـيراً أصلـع، ولإسـباغ الغمـوض والسرية على نفسـه من جهـة ثانية، تلك الصفـة التـي سـتزيد مـن اعجـاب أتباعـه بـه، وخاصـة أنـه لجأ إلى اسـتعمال السـحر لجـذب قلوب العامة[2].

شـعر الخليفـة محمد المهـدي بخطورة حركة المقنع الـذي أخذ يهاجم القرى والقوافل الإسـلامية، فأرسـل الجيـش العبـاسي ليحـاصره في حصـن سـنام بمنطقة كش، فاستسـلم ثلاثـون ألفاً مـن أتباعه، ولم يبـق معـه إلا ألفـا شـخص. ومـع ذلك لم يستسـلم، وحينما شـعر بقـرب اقتحام الجيـش العباسي للحصـن جمـع أتباعـه المخلصـين وأخبرهـم بأنه سـيختفي وأنه عائـد إلى هذه الأرض لينـشر العدل، ثـم سـقاهم شراباً مسـموماً فماتـوا جميعـاً، وألقـى بنسـائه وأطفالـه في التنـور وأحرقهم، ثـم ألقى بنفسـه في النـار حتـى لا يظفر العباسـيون بجثته وبجثـث عائلته عام 163هـ/ 779م[3].

4 ـ الخيزُران أول امرأة تستبد بالحكم في الإسلام

الخيـزُران، بفتـح الخـاء وسـكون اليـاء وضـم الزيـن، هـي الخيـزران بنـت عطـاء[4]

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3 ص 484. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 25. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج 2 ص 136.

2 ـ القزويني: آثار البلاد، ص 312.

3ـ النرشخي: تاريخ بخاري، ص 74.

البغدادي: الفرق بين الفرق، ص 245.

4 ـالطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10 ص 52. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 14 ص 430.

الجرشـية، نسـبة إلى جـرش، صقـع من أصقاع اليمـن[1]، وكانت جاريـة مملوكة لرجل مـن بني ثقيف في الحجـاز، عرضهـا للبيـع في مكـة المكرمـة. وكان الخليفة العبـاسي الثاني أبو جعفـر المنصور حاضراً، فاستحسـنها وسـألها عـن أهلهـا، فادّعـت كذباً بأنها وحيـدة لا أهل لها، فأرضـاه أن لا يكون لها أهل سـيصبحون عالـة عليها، فاشـتراها وأهداها لابنـه محمد المهدي[2].

انتـدب المنصـور، ابنـه محمـد المهـدي، وكان في الخامسـة عـشرة للاسـتقرار في إقليـم خراسـان الـذي أصبـح مقـراً للعنـاصر الفارسـية الطامحـة إلى إعـادة اسـتقلالها[3]، وزوده بجيـش مـن ثلاثـين ألـف مقاتـل تمكـن مـن الحفاظ على الأمـن والهـدوء، فاطمأنت النفوس. واسـتقر محمـد المهدي في الـري، بعـد أن تـزوج عـام 144هــ/ 762م، من ابنة عمـه ريطة بنت أبي العباس السـفاح[4]، وأسـكنها في قـصر قديـم لأحـد أكاسرة فـارس على شـكل قلعـة حصينـة يدعى الزينبـدي[5]، وذلك بعـد ترميمه وتجديـده. وكان لـه، إلى جانـب زوجتـه ريطـة، عـدد مـن الجـواري الحسـان، مـن بينهـم الخيـزران بنـت عطـاء التـي أهداهـا إيـاه والـده، فولـدت لـه ابنـه البكر مـوسى الهادي، عـام 146هــ/ 763م، وبذلـك سـاوى منزلتهـا زوجتـه الأولى ريطـة التـي أنجبت بدورها في العـام التالي ابنـه علي المعروف باسـم عـلي بـن ريطة.

ارتفعـت مكانـة الخيـزران، بعـد أن حملـت ثانيـة، وابنهـا موسى (الهـادي) قد تخطـى عتبة عامه الأول، وأنجبـت هـارون (الرشـيد) شـتاء عام 148هـ/ 765م، فـكان الابن الثالث لمحمـد المهدي بعد مـوسى (الهـادي) وعلي بـن ريطة.

1 ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2 ص 126. ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة، ج 2 ص 72.

2 ـ عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، حقائق عن عهده وخلافته ص 41.

3 ـ المرجع نفسه، ص 37.

4 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 12 ص 119.

5 ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 5 ص 268.

انتقلـت الخيـزران مـع ولديهـا إلى قـصر جديـد بجانـب الرصافـة شـيده الخليفـة المنصـور لابنـه محمـد المهـدي، وذلـك عام 152هــ/ 769م. وما إن تولى محمـد المهدي الخلافة عـام 159هـ/ 775م حتـى قام بعتـق جاريتـه الخيـزران، وتزوجها.

أصبحـت الخيـزران سـيدة القـصر الأولى، مـع خلافـة زوجهـا محمد المهـدي ومبايعـة ابنها موسى الهـادي بولايـة العهد. وأخذت تدير شـؤون الدولـة، يقصدها أصحاب الحاجات مـن القواد والعمال وكل طامـع في منصـب وجـاه على مرأى مـن زوجها.

أحكمـت الخيـزران قبضتهـا بحـصر الخلافـة بولديها، بعد تعيـين ابنها هارون الرشـيد ولياً للعهد بعـد شـقيقه مـوسى الهـادي، وذلـك عام 166هـ/ 783م. وتعد مسـألة ولاية العهد لشـخصين سـابقة في التاريـخ العبـاسي، وبذلـك اسـتبعد عن ولايـة العهد أبناء محمـد المهدي من زوجتـه الحرة ريطة، وهـذه سـابقة أخـرى حيـث كان لا يسـمح مطلقـاً لأبنـاء الجـواري أن يصبحـوا خلفـاء، ولا يمكن أن يصـل إلى الحكـم إلا ابـن المـرأة الحـرة. علـماً أن سـلامة البربريـة هـي أول جاريـة في الإسـلام تتحول إلى أم لخليفـة هـو أبو جعفـر المنصور.

4 ـ الخليفة الرابع موسى الهادي (169 ـ 170هـ/ 785 ـ 786م)

حاولـت الخيـزُران اقنـاع زوجهـا الخليفـة محمـد المهدي بنقل ولايـة العهد الأولى مـن ابنها الأكبر مـوسى الهـادي إلى ابنهـا الأصغر هارون الرشـيد، لكن مـوت الخليفة المفاجـىء في 22 محرم 169هـ/ 4 آب 785م، جعـل هـارون الرشـيد يعلـن البيعـة لأخيـه مـوسى الهـادي خليفـة للمسـلمين. (169 ـ 170هـ/ 785 ـ 786م).

كانـت الخيـزران، تـدرك أن شـخصية ابنهـا مـوسى الهـادي، لـن تسـمح لهـا بتسـيير أمـور الدولـة كـما كانـت تفعـل أيـام زوجهـا محمـد المهـدي. وبالفعـل مـا إن تسـلم مـوسى الهـادي الخلافـة، حتـى أوضـح أنـه ينـوي الحكـم بنفسـه دون تدخـل مـن مراكـز القـوى

السياسـية أو أمـه الخيـزران التـي كانـت تتدخـل في شـؤون الإدارة وتسـتبد بالأمـر والنهـي، فأمرهـا بملازمـة القـصر وعـدم اسـتقبال أصحـاب الحاجـات[1]. ومـن حسـن حظهـا، أن خلافتـه لم تـدم أكـثر مـن عـام وشـهرين. اسـتعادت بعدهـا نفوذهـا في مطلـع عهـد ابنهـا الأصغـر الخليفـة هـارون الرشـيد.

نجحـت الخيـزُران في تبـوّء مكانـة مرموقـة، لأنها امرأة موهوبـة، تتمتع بالعقل والـذكاء والثقافة، تحولـت إلى زوجـة الخليفـة محمـد المهـدي، وإلى أم لخليفتـين هما مـوسى الهادي وهارون الرشـيد، فكانـت أول أمـرأة تسـتبد بالحكم بالإسـلام، طيلة خمس عشرة سـنة (158 ـ 173هـ/ 775 ـ 789م) تمثـل أبـرز فـترات العـصر الذهبـي للخلافـة العباسـية، لتؤكـد أن الجـواري يسـتطعن الـزواج مـن الخلفـاء، وإدارة شـؤون الدولـة، وأن يلـدن لهم خلفاء المسـتقبل.

---

1 ـ المسعودي مروج الذهب، ج 5 ص 328.ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 79.

الفصل الرابع

الخليفة الخامس هارون الرشيد «العهد الذهبي»

(170 ـ 194هـ/ 786 ـ 809م)

بوفاة الخليفة موسى الهادي في 14 ربيع الأول 170هـ/ 14 أيلول 786م، بويع أخوه الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد الذي يعد أكثر خلفاء بني العباس شهرة سواء في كتب المؤرخين أو الروايات الشعبية وفي طليعتها ألف ليلة وليلة.

وقد استمر عهده طيلة ثلاثة وعشرين عاماً وشهرين وثمانية عشر يوماً إلى حين وفاته في 3 جمادي الآخرة 194هـ/ 24 آذار 809م. في حين لم يستمر عهد أخيه الخليفة الرابع موسى الهادي سوى عام واحد وشهرين (169 ـ 170هـ/ 785 ـ 786م)، وتوفي وهو في الخامسة والعشرين، في حين توفي هارون الرشيد وهو في الثامنة والأربعين.

وقد أطلق المؤرخون على عهد هارون الرشيد «العهد الذهبي» ومع ذلك، فإن هذا العهد لم يخل من الثورات والأوضاع السياسية المرتبكة. فقامت أول خلافة للعلويين في المغرب الأقصى مع دولة الأدارسة، واندلعت ثورة العلويين بقيادة يحي بن عبد الله، ثم قامت دولة الأغالبة في تونس، وينتهي الأمر بإقدام هارون الرشيد على نكبة البرامكة.

1 ـ قيام أول خلافة للعلويين في المغرب الأقصى «دولة الأدارسة» (172هـ/ 788م)

في عهد الهادي خرج في المدينة المنورة[1] الحسين بن علي بن الحسن في ذي القعدة 169هـ/ 785م، ثم قصد مكة المكرمة، فأرسل الهادي جيشاً التقى به في فخ[2]، وتمكن من قتله مع جماعة من أهل بيته، وأفلت من الموقعة اثنان من إخوة محمد النفس الزكية، هما إدريس بن عبد الله مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، ويحي بن عبد الله الذي توجه إلى بلاد الديلم.

فر إدريس بن عبد الله أخو محمد النفس الزكية إلى مصر، ثم توجه إلى المغرب الأقصى عام 172هـ/ 788م، في عهد هارون الرشيد، فالتف حوله البربر، لمناوأة الخلافة العباسية، وتحقيق استقلالهم عنها. ورأى الرشيد صعوبة التخلص منه بحد السيف، فأرسل إليه أحد الدهاة، فتقرب إليه، ودس له السم فمات عام 177هـ/ 793م، دون أن يترك ولداً يؤول إليه الأمر من بعده. فانتظر أتباعه أمة له كانت حاملاً، فوضعت ولداً سموه إدريس الثاني وبايعوه بالخلافة، وإليه تنسب دولة الأدارسة في المغرب الأقصى[3]، إذ يعتبر المؤسس الحقيقي لهذه الدولة، فهو الذي بنى مدينة فاس عام 192هـ/ 808م لتكون حاضرة لها. وبذلك تكون دولة الأدارسة، بمثابة أول خلافة للعلويين[4].

توفي إدريس الثاني في جمادي الثانية 213هـ/ 828م فخلفه ابنه محمد حتى وفاته في ربيع الثاني 221هـ/ 836م، ليخلفه ابنه علي بن محمد وهو في التاسعة من عمره ولقبه «حيدرة» وهو لقب علي بن أبي طالب عليه السلام[5]، وبوفاته

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 172 ـ 173.

2 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 115.

3 ـ المرجع نفسه، ج 2، ص 117.

4 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 102.

5 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 3، ص 169.

في رجب 234هـ/ 848م، خلفه أخوه يحيى الأول بن محمد، ثم ابنه يحيى الثاني ابن علي بن محمد الذي انقطع معه حكم أسرة محمد بن إدريس الثاني، ليتحول الحكم إلى أسرة عمر بن إدريس الثاني تارة وأسرة القاسم بن إدريس الثاني، تارة أخرى[1]، حيث تولاه أربعة، هم: علي الثاني بن محمد بن إدريس الثاني، يحيى الثالث بن القاسم بن إدريس الثاني، يحيى الرابع بن إدريس بن عمر بن إدريس الثاني الذي بلغت دولة الأدارسة أوج قوتها وسلطانها[2]، في عهده الذي استمر ثماني عشرة سنة (292 ـ 310هـ/ 905 ـ 922م)، فكان من أعظم الأدارسة، وقد خلفه الحسن بن محمد بن القاسم المعروف بالحجام حتى وفاته عام 312هـ/ 924م، لينتهي معه حكم الأدارسة في فاس التي سيطر عليها موسى بن أبي العافية كما سيطر على المغربين الأقصى والأوسط[3]. وتحولت بذلك دولة الأدارسة إلى بلاد الريف[4]، ليتولاها القاسم بن الحسن، ثم ابنه أبو العيش أحمد بن القاسم[5]، الذي تمكن من إعادة نفوذ الأدارسة، في المغرب الأقصى كافة، بعد أن دعا إلى الخلافة الأموية في الأندلس وقطع الدعوة للخلافة الفاطمية، وهو أمر مستغرب أن يتجه الأدارسة العلويون للأمويين بدلاً من الفاطميين العلويين. وبوفاة أبي العيش خلفه عام 341هـ/ 952م القاسم محمد بن محمد القاسم، فكان آخر أمراء دولة الأدارسة في المغرب الأقصى التي زالت على يد الفاطميين عام 375هـ/ 985م، بعد حكم دام نحو قرنين وثلاث سنوات، وكانت حاضرة ملكهم فاس ثم البصرة في المغرب الأقصى.

---

1 ـ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 78.

2 ـ المصدر نفسه، ج 1، ص 29.

3 ـ المصدر نفسه، ج 1، ص 81.

4 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 3، ص 173.

5 ـ السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 1، ص 85.

2 ـ ثورة العلويين في الديلم بقيادة يحي بن عبد الله (176هـ/ 792م)

حاول هارون الرشيد استرضاء العلويين ليأمن ثورتهم في بداية خلافته، لكن سياسته لم تنفع أمام إصرار العلويين في أحقيتهم بالخلافة. وكان يحيى بن عبد الله، قد نجا من المجزرة التي تلت هزيمة الحسين بن علي في موقعة وادي فخ عام 169هـ/ 785م، ليفر نحو بلاد الديلم حيث كثر أتباعه الذين بايعوه، ليخرج عن طاعة الرشيد عام 176هـ/ 792م[1].

أرسل هارون الرشيد جيشاً كثيفاً في خمسين ألفاً[2] بقيادة الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي الذي تمكن بمكره أن يقنع يحيى بن عبد الله بقبول الصلح، وكتب الرشيد الأمان له[3]، ليستقبله في بغداد، وأجرى له الأرزاق.

وما لبث الرشيد، نتيجة بعض الوشايات، أن نقض الأمان، فتوفي يحيى بن عبد الله في ظروف غامضة، ليتخلص منه[4]، وكان ميل الوزير جعفر بن يحيى البرمكي إلى العلويين، وإطلاق سراح يحيى بن عبد الله قبل تخلص الرشيد منه، سبباً من أسباب نكبة البرامكة.

3 ـ نفوذ الست زبيدة زوجة الرشيد بعد وفاة الخيزران (173هـ/ 789م)

اعتبرت نابيا آبوت الخيزُران أم الرشيد وزبيدة زوجته «ملكتين في بغداد»[5]، بسبب نفوذ كل منهما. وقد اختارت الخيزُران، وهي المرأة الجارية، زبيدة بنت

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك: ج 8، ص 242 ـ 243.

2 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 101.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 90.

4 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 176 ـ 177.

5 ـ Nabia Abott: Two Queens of Baghdad, Chicago 1946.

وترجم عمر أبو النصر هذا الكتاب إلى العربية، بعنوان «ملكتان في بغداد» عام 1969، ونابيا آبوت كانت أستاذة في جامعة شيكاغو، خصصت نصف كتابها للحديث عن الخيزران والنصف الثاني عن السيدة زبيدة.

جعفر[1]، حفيدة ثاني خليفة عباسي هو أبو جعفر المنصور، وهي امراة حرة، لتكون زوجة هارون الرشيد أثناء خلافة أبيه محمد المهدي، في صفر 165هـ/ أيلول 781م، لتحظى عن طريقها بتأييد بني هاشم[2].

صحيح، أن المرأة الجارية، أي الخيزران، طغت في دورها السياسي على المرأة الحرة، إلا أن زبيدة بنت جعفر زوجة هارون الرشيد وأم محمد الأمين، استطاعت أن ترسم صورة جميلة للمرأة الحرة، على الرغم من أنها عايشت الخيزران، أي حماتها. وقد لمست زبيدة، عظمة الخيزران المرأة الجارية، سواء حينما اختارتها زوجة لابنها هارون الرشيد أثناء خلافة أبيه المهدي، وفي مطلع خلافته هو، أو أثناء موكب تشييعها عام 173هـ/ 789م، حينما انتهك الخليفة هارون الرشيد التقاليد، ليخرج حافياً يعدو في الطين، حتى أتى مقابر قريش ليصلي على أمه، ويدخل قبرها، في حين درجت عادة الخلفاء تجنب إظهار الحزن علانية عند موت المرأة العزيزة على قلوبهم.

تزوج هارون الرشيد من أمة العزيز عام 165هـ/ 781م، أي قبل أعوام من توليه الخلافة، وذلك بتشجيع من أمه الخيزران التي أدركت مدى ميل ابنها إلى هذه الفتاة التي ولدت عام 149هـ/ 766م في حديثة الموصل[3]، أي بعد مولد هارون ببضعة أشهر، وتوفي والدها وهي في الثالثة من عمرها فكفلها جدها

---

1 ـ أمة العزيز بنت جعفر بن المنصور العباسي (ت 216هـ/ 831م): اسمها أمة العزيز وكنيتها أم جعفر ولقبها زبيدة، لقبها به جدها أبو جعفر المنصور لبياضها ونعومتها وهي طفلة. توفت عام 216هـ/ 831م.

الزركلي الاعلام، ج 3 ص 73 و ج 7 ص 35.

2 ـ عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، ص 81.

3 ـ حديثة الموصل: وتسمى أيضاً حديثة دجلة، وهي من أجمل قرى العراق، ذات بساتين وأشجار، كثيرة الصيود والطيور.

ابن حوقل، المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، ص 147، 155.

المنصـور الـذي لقبهـا بــ «زبيـدة» لنعومـة بشرتهـا البيضـاء، فغلـب اللقـب عليهـا. وعندمـا تـوفى المنصـور احتضنهـا عمهـا المهـدي، فأحبتها الخيـزران حب الأم لابنتهـا، وتمنت أن تكـون زوجة لابنها هـارون، لتحظـى عـن طريقها بتأييد بني هاشـم[1]. وتم حفـل الزفاف في صفر 165هــ/ أيلول 781م، بعـد أن أصرت الخيـزران عـلى أن يتـم ذلك في مهرجانـات فخمة تقوم لها بغـداد وتقعد، وخصصت لهـا مبلغـاً ضخـماً مـن ثروتهـا الخاصة، غـير ما أنفق مـن خزائن المهـدي. وبلغت نفقة هـذا الزفاف التاريخـي، باسـتثناء مـا أنفقـه الرشـيد من ماله، خمسـين ألـف درهم[2]. وقيـل إن الخيـزران، في ليلة الزفـاف، تقدمـت إلى زبيـدة بثـوب مرصـع بالـلآلىء والجواهـر، يحمله عدد مـن الجواري الحسـان، فلبسـته، ولكنهـا لم تسـتطع السـير بـه، لثقل مـا علق به، فاسـتبدلت بـه غيره.

بوفـاة الخيـزُران عـام 173هــ/ 789م، أصبحـت زبيـدة أقوى نفوذاً، سـواء في عهـد زوجها هارون الرشـيد، أو في عهـد ابنهـا محمـد الأمـين، وتمثـل المـرأة العربيـة الحـرة، الوافـرة الغنـى ولهـا مـبرات وخـيرات كثيرة[3]

وكانـت السـيدة زبيـدة أول مـن عطـف عـلى النصـارى في العـصر العبـاسي بـأسره، فكانـت تميـل إليهـم وتسـتخدمهم[4]. ولعـل هـذا العطـف أدى إلى إطـلاق اسـمها عـلى القناطـر الرومانيـة خـارج بـيروت، لتعـرف باسـم قناطـر زبيـدة، مـع أن الرومـان هـم الذيـن أقامـوا هـذه القناطـر.

---

1 ـ عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، ص 81.

2 ـ الشابشتي: الديارات، ص 101.

3 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 14 ص 433.

التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 3 ص 121.

سوزي حمود: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني، ص 224.

4 ـ أبوت نابيا: ملكتان في بغداد، ص 137.

وبعـد أن كانـت السُـبحة أو المِسْـبَحة، وهـي خرزات منظومة في سـلك، يجري التسـبيح بها، دلالة علـى التقـوى، تعـدى الأمـر إلى اتخاذها للتسـلية، وأصبح لها هـواة، يجمعون أصنافاً منهـا، ويغالون في أثمانها. وكانت سـبحة السـيدة زبيدة، قد اشـترتها بخمسـين ألف دينار[1].

وكان سـوق يحيـى عبـارة عـن محلـة، في الجانـب الشرقي مـن بغـداد، منسـوبة إلى الوزير يحيى بـن خالـد البرمـكي، أقطعـه إياهـا الخليفـة هارون الرشـيد، ثـم انتقلت إلى السـيدة زبيـدة[2]، قبل أن تنتقـل إلى أمـير بغـداد طاهـر بن الحسـين، وخربـت عند قـدوم السـلاجقة إلى بغداد.

والسـيدة زبيـدة هـي أول مـن اتخـذ الجـمّازات، أي الابـل السريعـة التـي يرتـاح إليهـا الراكـب، ويأنـس بهـا. فقـد كانـت في سـفر مع زوجها هـارون الرشـيد، فتأخـرت في الطريق، فأمـرت الرحّالين أن يزيـدوا في سـير الابـل، فلـما حركوهـا، مشـت ضروبـاً مـن المـشي، وجمزت خـلال ذلـك، فوجدت لذلـك النـوع مـن السـير راحـة، فأمرتهـم أن يدربوهـا عـلى الجمـز، فـما زالوا بهـا حتى تـم ذلك[3].

وعندمـا حجـت السـيدة **زبيـدة** إلى بيـت الله الحرام سـنة 186هـ/ 802م، أدركت مـا يعانيه أهل مكـة مـن المشـاق في الحصـول عـلى ماء الشرب، فأشـارت عـلى زوجها الخليفـة هارون الرشـيد بهذا الأمـر، فتحـرك المهندسـون والعـمال، عـلى الفـور، ووصلوا بـين منابع المـاء في الجبـال، واعتمدوا على عـين حنـين. وبذلـك وصـل ماء الـشرب إلى مكـة، وأقامت البرك والآبـار في الحجـاز والثغور[4].

---

1 ـ التوحيدي: البصائر والذخائر، ج 1 ص 145، 146.

2 ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3 ص 195.

3 ـ الثعالبي: لطائف المعارف، ص 20، 21.

4 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 444.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2 ص 314.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، ج 2، ص 351.

وتعرضت زبيدة أم محمد الأمين التي تمثل المرأة العربية الحرة، إلى منافسة شديدة من إمرأة جارية فارسية غير عربية هي مراجل أم عبد الله المأمون، ما دعا الخليفة هارون الرشيد إلى تقسيم الدولة العباسية بين ولديه الأمين والمأمون.

4 ـ علية أخت الرشيد

تعد عليه بنت المهدي وأخت هارون الرشيد من أبرز الشواعر الحرائر. وكلمة الحرة في الاصطلاح، تعني خلاف الجارية، ويعود سبب هذه التسمية إلى غلبة الجواري في المجتمع العباسي.

وكان محمد المهدي ثالث خلفاء بني العباس، اشترى جارية مغنية اسمها مكنونة بمائة ألف درهم، فولدت له عُلية عام 160هـ/ 777م، لتصبح أميرة عباسية، أديبة شاعرة، تقول الشعر الجيد، وتصوغ فيه الألحان الحسنة[1].

وكانت زبيدة زوجة الخليفة هارون الرشيد. تستعين بأخته عُلية عند الحاجة، فتضع اللحن الجميل، لتغنيه الجواري، فيطرب الرشيد ويستقبل زوجته زبيدة بعد طول انقطاع[2].

5 ـ دنانير جارية يحيى بن خالد البرمكي

تعد دنانير من أشهر الجواري المغنيات والشواعر، اشتراها الوزير يحيى بن خالد البرمكي، فنبغت في قصره، بعد أن تدربت على يد إبراهيم الموصلي[3].

وقد أعجب بها الخليفة هارون الرشيد ووهبها عقداً ثمنه ثلاثون ألف دينار[4].

---

1 ـ الأصفهاني: الأغاني، ج 10 ص 111، 171 ـ 195. ج 22 ص 50، 53، 57.

2 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 5 ص 151، 152.

3 ـ السيوطي: المستظرف في أخبار الجواري، ص 28.

4 ـ الأصفهاني: الأغاني، ج 18 ص 13.

وبعد نكبة البرامكة، رفضت الغناء في حضرته، فأمر بضربها، ثم رق لها فأطلق سراحها. وظلت وفية للبرامكة حتى وفاتها عام 210هـ/ 825م[1].

6 ـ وفاة الامام مالك بن أنس (179هـ/ 795م)

ولد الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري[2] عام 93هـ/ 712م، وأصله عربي يمني، عاش ومات في المدينة المنورة، ولم يرحل عنها إلا إلى مكة المكرمة حاجاً.

وهو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه ينسب المذهب المالكي الذي يعتمد على القرآن الكريم ثم السنّة، وهي عنده وافرة كثيرة، ثم يلجأ إلى الاجماع. وقد دون مذهبه في كتابه الموطأ ليسود في الحجاز، وخاصة في المدينة المنورة. وقيل أن الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور هو الذي طلب منه أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به، فصنف كتابه «الموطأ». وله أيضاً رسالة في «الوعظ» وكتاب في «المسائل» و «تفسير غريب القرآن».

ومما يذكر أن الإمام مالك بن أنس، وقف إلى جانب ثورة محمد النفس الذكية في المدينة المنورة، انطلاقاً من تدينه وحبه لآل محمد ﷺ، فأمر والي المدينة المنورة جعفر بن سليمان بضربه بالسياط حتى انخلعت كتفه[3].

وبذلك تركزت مدرسة الامام مالك الفقهية في المدينة المنورة ليصبح المذهب المالكي مذهب أهل الحجاز، بينما تركزت مدرسة الامام أبي حنيفة في الكوفة،

---

1 ـ عمر كحالة: أعلام النساء، ج 1 ص 416.

2 ـ ترجمة الامام مالك:

ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 2 ص 96.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج 1 ص 289 ـ 292.

الزركلي: الأعلام، ج 6 ص 128.

3 ـ نبيلة حسن محمد: في تاريخ الدولة العباسية، ص 284.

ليصبح مذهبه الحنفي مذهب أهل العراق.

توفى الإمام مالك في المدينة المنورة عام 179هـ/ 795م، في عهد الخليفة هارون الرشيد.

7 ـ تقسيم الدولة العباسية بين الأمين والمأمون (182هـ/ 798م)

كان الخطأ الكبير الذي ارتكبه الرشيد، بتقسيم الدولة العباسية بين ولديه المأمون الذي أنجبه من جارية فارسية تدعى «مراجل» في ربيع الأول 170هـ/ 786م، والأمين الذي أنجبه من زبيدة ابنة عمه، في شوال 170هـ/ 786م، أي بعد أربعة أشهر من ولادة أخيه. فقد رضخ الرشيد لضغط التيار العربي المتمثل في زوجته زبيدة والوزير الفضل بن الربيع، وعهد بولاية العهد من بعده لابنه الأمين عام 175هـ/ 791م[1]، وكان عمره خمسة أعوام فقط، وتمكن التيار الفارسي، وعلى رأسه البرامكة، من اقناعه، في جعله يعهد بولاية العهد الثانية إلى ولده المأمون بعد الأمين، عام 182هـ/ 798م، على أن يتولى المأمون ولاية المشرق بعد وفاة أبيه الرشيد[2]، وهذا يعني تقسيم الخلافة إلى خلافتين. وحينما حج الرشيد عام 186هـ/ 802م، سجلت هذه المواثيق وعلقت في الكعبة داخل مكة المكرمة حرصاً على قوة تنفيذها[3]. وجاء في نصها: «إن محمداً الأمين إذا غير ما ورد فيها فحقه يسقط في الخلافة»[4].

وهذه هي مشكلة ولاية العهد التي بدأت عملياً في عهد ثاني خلفاء بني العباس أبي جعفر المنصور الذي نكث ما أقدم عليه أخوه الخليفة العباسي الأول أبو

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 240.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 88.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 3 ص 352، 353. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 290.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 130.

4 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10 ص 73.

العباس السفاح بجعل ولاية العهد الثانية لابن عمه عيسى بن موسى، فأجبر هذا الأخير على أن يخلع نفسه من ولاية العهد، وبذلك أمَّن الخلافة من بعده لابنه محمد المهدي[1].

وازدادت مشكلة ولاية العهد تعقيداً عهد الخليفة الثالث محمد المهدي الذي استبعد عن ولاية العهد أولاده من زوجته الحرة ريطة بنت أبي العباس السفاح[2]، ليحصر ولاية العهد في ولديه من الجارية الخيزران التي أعتقها وتزوجها بعد أن تولى الخلافة، فجعل ابنه الأكبر موسى الهادي ولياً للعهد، ثم ابنه الثاني هارون الرشيد في ولاية العهد الثانية عام 166هـ/ 783م. وتعد مسألة ولاية العهد لشخصين سابقة في التاريخ العباسي، كما يعد استبعاد الأبناء من الزوجة الحرة ريطة سابقة أخرى، حيث كان لا يسمح مطلقاً لأبناء الجواري أن يصبحوا خلفاء، ولا يمكن أن يصل إلى الحكم إلا ابن المرأة الحرة. علماً أن سلامة البربرية هي أول جارية في الإسلام تتحول إلى أم لخليفة هو أبو جعفر المنصور.

فقد أدت مشكلة ولاية العهد عهد الخليفة محمد المهدي إلى محاولة الخيزُران إقناع زوجها بنقل ولاية العهد الأولى من ابنها الأكبر موسى الهادي إلى ابنها الأصغر هارون الرشيد، لكن موت محمد المهدي المفاجىء في 22 محرم 169هـ/ 4 آب 785م، جعل الخلافة من نصيب موسى الهادي الذي لم تدم خلافته أكثر من عام وشهرين فخلفه هارون الرشيد.

وتعقدت مشكلة ولاية العهد، في عهد الخليفة هارون الرشيد، الذي أحدث سابقة جديدة وخطيرة، تمثلت بجعل ولاية العهد في ثلاثة من أبنائه فجعل ابنه محمد الأمين ولياً للعهد عام 175هـ/ 791م، ثم إلى ابنه الآخرعبد الله المأمون بعد الأمين عام 182هـ/ 798م، ثم لابنه الثالث القاسم «المؤتمن» بعد المأمون عام

---

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 168.

2 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 12 ص 119.

187هـ/ 803م، وقسم الدولة العباسية بين أولاده الثلاثة، فجعل الغرب أي بلاد الشام ومصر والمغرب العربي الكبير إلى الأمين، وجعل الشرق أي خراسان والري وهمذان للمأمون، وجعل الجزيرة والثغور للمؤتمن، وهذا يعني أن الخليفة هارون الرشيد بذر بذور الفتنة والشر بين أولاده الثلاثة، في حياته وقبل وفاته بستة أعوام.

8 ـ مزار الإمام السابع موسى الكاظم في الكرخ (183هـ/ 799م)

يعد موسى ابن جعفر الصادق، الإمام السابع عند الشيعة الامامية الاثني عشرية، ولقب بـ «الكاظم» لأنه كان يحسن إلى من يسيء إليه، وقد اشتهر بزهده وورعه وكرمه. وقد سجن عهد الخليفة محمد المهدي ثم أطلق سراحه وعاد إلى منزله في المدينة المنورة.

تعرض الإمام موسى الكاظم للاضطهاد عهد الخليفة هارون الرشيد، بعدما كثر أتباعه في الحجاز وهم يؤمنون بإمامته، ويحملون إليه خمس أموالهم، فلما حج الرشيد عام 179هـ/ 795م، زار المدينة المنورة، وأمر بأخذ الإمام موسى الكاظم معه إلى بغداد، حيث وضعه في السجن.

وكثرت الآراء في سبب وفاته عام 183هـ/ 799م، فقيل أن الوزير يحيى ابن خالد البرمكي، له دور رئيسي في مقتله[1]، وقيل إن الخليفة هارون الرشيد أمر بقتله[2]. وقد تحول قبره في الكرخ إلى مزار، وحمل الحي حيث القبر اسم «الكاظمية» نسبة إليه، ليتحول بدوره إلى مدينة الكاظمية.

9 ـ قيام دولة الأغالبة في تونس (184هـ/ 800م)

1 ـ عبد الجبار الجومرد: هارون الرشيد، ص 144.

2 ـ عبد العزيز الدوري: العصر العباسي الأول، ص 150.

كان قيام دولة الأدارسة في المغرب الأقصى عام 172هـ/ 788م وهي تمثل أول خلافة للعلويين، دافعاً للخليفة العباسي هارون الرشيد لتأسيس دولة الأغالبة في تونس، من أجل الوقوف في وجه دولة الأدارسة قبل أن تتمكن من التوسع على حساب أراضي الدولة العباسية.

لذلك ولى هارون الرشيد على أفريقيا إبراهيم بن الأغلب في محرم 184هـ/ 800م واتخذ القيروان حاضرة له، ثم بنى على ثلاثة أميال منها، مدينة نقل إليها أهله وعبيده ورجال ثقته، وقد سماها «العباسية» لإظهار ولائه للخلافة العباسية[1]. وقيل أنها سميت أيضاً «القصر القديم»[2].

حاول إبراهيم بن الأغلب (184 ـ 196هـ/ 800 ـ 811م)، القضاء على دولة الأدارسة في المغرب الأقصى، لكنه عدل عن رأيه، نتيجة سياسة عدم العداء التي اتبعها إدريس الثاني.

ثم توالى على حكم دولة الأغالبة: عبد الله الأول بن إبراهيم عام 196هـ/ 811م، ثم أخوه زيادة الله الأول عام 201هـ/ 816م، ثم أخوه الآخر «أبو عقال» عام 223هـ/ 837م، ثم محمد الأول «أبو العباس» ابن أبي عقال عام 226هـ/ 840م، ثم خلفه ابنه أحمد عام 242هـ/ 856م، ثم ابنه الآخر زيادة الله الثاني عام 249هـ/ 863م. ثم ابنا أحمد: محمد الثاني عام 250هـ/ 864م، وإبراهيم الثاني عام 261هـ/ 874م، ثم عبد الله الثاني بن إبراهيم الثاني عام 289هـ/ 902م، وابنه زيادة الله الثالث عام 296هـ/ 909م.

10 ـ نكبة البرامكة (187هـ/ 803م)

ينسب البرامكة إلى برمك، وهو من أصل مجوسي فارسي، قوي نفوذهم مع

1 ـ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 6، ص 5.

2 ـ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 1، ص 84.

يحيى بن خالد بن برمك[1] مربي هارون الرشيد، يساعده ابنه الفضل، وابنه الآخر جعفر الذي عهد إليه الرشيد بمهام سياسية وإدارية، وأشركه معه في النظر في المظالم[2]، وكتب اسمه على الدنانير بجانب اسم الخليفة الرشيد[3]، وذلك بعد أن قلده الوزارة مكافأة له لوقوفه إلى جانبه حينما حاول أخوه موسى الهادي خلعه من ولاية العهد[4].

لم تستمر سلطة البرامكة المطلقة، أكثر من أربعة أعوام، فكانت وفاة الخيزران أم الرشيد عام 173هـ/ 790م، بداية لنهاية نفوذ البرامكة، ليتخلص منهم الرشيد بعد أربعة عشر عاماً وتحديداً عام 187هـ/ 803م. وهذا يعني أن الرشيد فوّض أمور البلاد من الناحية الإدارية للبرامكة منذ عام 170هـ/ 786م حتى عام 187هـ/ 803م، أي طيلة سبعة عشر عاماً.

ويعود سبب تخلص الرشيد من البرامكة، إلى نفوذهم الكبير في الإدارة والمجتمع واستبدادهم على الدولة واحتجابهم أموال الجباية، فكان جعفر البرمكي يتصرف وكأنه الخليفة الفعلي. وجمع البرامكة الثروات الكبيرة، ففاق سخاؤهم الكبير عطايا الرشيد رغم ما يعرف عنه من كرم[5]. وكان الرشيد يعتقد أن الجدال الديني يؤدي إلى الخلط والتشويه وخاصة على العامة من الناس، ما يسمح للمذاهب المعادية للعباسيين بالانتشار وتهديد أمن الدولة العباسية وسلامتها، بينما البرامكة على عكس الرشيد، يحبون النقاش والجدال في أمور السياسة والعقيدة، فكان ذلك

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10 ص 50.

2 ـ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 177، 178.

3 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1 ص 190.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 83.

5 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 281، 294. المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 173، 174.

سبباً في اتهامهم بالتشيع للعلويين[1].

وعلى الرغم من الأسباب التي أدت إلى نكبة البرامكة في عهد الرشيد، إلا أن ميل الوزراء البرامكة للعلويين كان من أهم هذه الأسباب فقد أطلق الوزير جعفر البرمكي سراح يحيى بن عبد الله بن الحميد العلوي الذي خرج على هارون الرشيد في بلاد الديلم، ثم طلب الأمان، ليستقبله الرشيد الذي ما لبث أن نقض الأمان وسجنه ظناً منه أنه يعمل على خلعه من الخلافة. وسلمه إلى وزيره جعفر ابن يحيى البرمكي فأطلقه[2]، فكان ذلك من أهم أسباب نكبة البرامكة[3].

وكانت زبيدة أم الأمين تشكو البرامكة، باستمرار إلى زوجها الرشيد[4]. فلا غرو، أخيراً، أن يأمر بالقبض عليهم ومصادرة أملاكهم وضياعهم، عام 187هـ/ 803م، كما أمر بقتل جعفر البرمكي وتعليق جثته على أحد جسور بغداد، وبسجن يحيى البرمكي، ما يؤكد المبالغة في تصوير نكبة البرامكة وكأنها مذبحة مأسوية، مع أن الرشيد لم يقتل منهما إلا جعفراً.

أما بالنسبة لقصة العباسة أخت الرشيد وزواجها الصوري من جعفر البرمكي وانجابها غلاماً منه، ما أثار غضب الرشيد، لينفذ نكبة البرامكة، بعد قتله جعفر[5]، فهي تدخل في باب الأسطورة، لأن العباسة تزوجت ثلاث مرات، ولم تبق دون زوج، والشريعة الاسلامية لا تقر زواجاً صورياً كما أوردته قصة العباسة، ولا يمكن للخليفة أن يوافق عليه، أو أن يتم مثل هذا الزواج والخليفة لا علم له. لذلك،

1 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1 ص 199، 200.

2 ـ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 189 ـ 190.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10، ص 80 ـ 81.

4 ـ الأصفهاني: الأغاني، ج 11 ص 8 ـ 9. المسعودي: مروج الذهب، ج 6 ص 272.

ابن النديم: الفهرست، ص 175.

5 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 215.

المسعودي: مروج الذهب، ج 3 ص 379.

يمكن بسهولة نفي أسطورة العباسة[1].

11 ـ تفقده الرعية وازدهار بغداد

بعد نكبة البرامكة، عام 187هـ/ 803م، تولى هارون الرشيد أمور الحكم بنفسه، وأخذ يتنقل في أرجاء دولته، ويتجول بين الناس في الأسواق، متستراً، ليستمع إلى شكواهم[2]، ويتفقد ما هم بحاجة إليه، حتى عرفت الدولة العباسية عصرها الذهبي معه. وما يشير إلى هذا العصر الذهبي، أن بغداد شهدت فترة من الجفاف، وهارون الرشيد يجلس في قصره، وقد مرت غيمة، فقال لها: «اذهبي أنّى شئت فإن خراجك سيأتي إليَّ».

أفاضت المصادر العربية في تناول أخبار هارون الرشيد، لدرجة أن أخباره قد امتزجت فيها حقائق التاريخ بخيال القصص، وبخاصة قصص ألف ليلة وليلة، فهو يظهر تارة بصورة الخليفة المسرف في الترف والملذات، ويظهر تارة أخرى بصورة الخليفة الورع المتدين المجاهد الذي أمضى معظم حياته بين حج وغزو، وهو أول خليفة قاد الغزو بنفسه ضد البيزنطيين.

وصلت الحاضرة بغداد، عهد هارون الرشيد، إلى قمة مجدها، وصار سكانها حوالى مليوني نسمة، ووصفت بأنها «عروس الدنيا»، وحاضرة أكبر دولة في الشرق العربي الإسلامي.

وكثر عدد العلماء في بغداد والبصرة والكوفة، نتيجة التقدم العلمي الذي مثَّل ثروة كبيرة في اللغة والأدب والترجمة[3].

---

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 112.

2 ـ ابراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 67.

3 ـ يوسف العش: تاريخ عصر الخلافة العباسية، ص 59.

وزادت ثروة أهل بغداد، مع رواج التجارة. وبنيت القصور الفخمة، والأسواق والجوامع والحمامات.

وزادت ثروة الدولة، فكان يرد على الخليفة في بغداد ما يبقى من خراج الأقاليم، بعد أن تقضى جميع حاجاتها، فقدر بعض المؤرخين ذلك بنحو أربعمائة ألف ألف درهم يدخل كله بيت المال الذي امتلأ بنحو 380 ألف ألف دينار.

وصارت بغداد قبلة طلاب العلم من جميع الأقطار التابعة للخلافة العباسية. وكان هارون الرشيد يفيض المال الكثير على العلماء من كبار المحدثين والقراء والفقهاء وحفاظ اللغة وآداب العرب[1].

وكان هارون الرشيد، كل يوم، يتصدق من صلب ماله، بألف درهم، سوى العطايا التي كان يهبها للناس والشعراء والمادحين له، فقد أعطى مردان بن أبي حفص خمسة آلاف دينار، وأمر له بعشرة من رقيق الروم، بعد مدحه الخليفة[2].

ويعد هارون الرشيد أول خليفة لعب بالصولجان في الميدان[3] وهي لعبة فارسية قديمة، تستخدم فيها كرة خفيفة تلقى في أرض الميدان، فيتسابق الفرسان بعصى يطلق عليها الصولجان، ويرسلون الكرة بها في الهواء وهم على خيولهم. وهو أول خليفة رمى بالنشاب إلى البرجاس[4]، والبرجاس عبارة عن غرض يرمى في الهواء، أو يكون على رأس رمح يطلب إصابته بالنشاب. وقيل أنه مارس أيضاً لعبة الشطرنج.

---

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 131.

2 ـ عصام الحاج علي: الأساس في تاريخ بني العباس، ص 254.

3 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 225.

4 ـ عصام الحاج علي: الأساس في تاريخ بني العباس ص 260، 270.

12 ـ تطور القضاء والاقتصاد

(أ) أبو يوسف أول قاضي قضاة في الإسلام

يعد الخليفة العباسي هارون الرشيد، أول من استحدث منصب قاضي القضاة، لأول مرة في الإسلام، وقلده إلى أبي يوسف[1]، في محاولة لفصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية، معتمداً في ذلك على النظم الفارسية، ومن بينها المنصب القضائي «موبذان موبذ» وتعريبه رئيس القضاة أو قاضي القضاة، وهو أعلى الوظائف الدينية رتبة.

وبذلك، أخذ القضاء يأخذ شكل سلطة يتولاها قاضي القضاة، يليه وظائف قضائية مختلفة: القاضي، خليفة القاضي[2]، مساعدو القاضي (أمين، كاتب، خادم)، الشهود العدول[3]، ثم الوكيل على أبواب القضاة[4].

نظم أبو يوسف القضاء، فجعل مذهب أستاذه الإمام أبي حنيفة المذهب الرسمي للدولة العباسية. وهو أول من ابتكر زياً خاصاً بالقضاة، عبارة عن «عمامة

---

1 ـ أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري (ت 182هـ/ 798م): ولد في الكوفة عام 113هـ/ 731م من أسرة فقيرة، ومع ذلك تعلق بالعلم وملازمة الإمام أبي حنيفة، ثم ترك الكوفة وقصد بغداد أيام هارون الرشيد الذي طلب فقيهاً يستفتيه، فجيء بأبي يوسف الذي تحسنت أحواله بعدما أخذ الخليفة يستفتيه في أموره الخاصة، وارتفعت مكانته حتى أصبح اول من تقلد منصب قاضي القضاة.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 6 ص 378 ـ 390،

ابن النديم: الفهرست، ص 203.

عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص 151 ـ 161.

2 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص 103 و جـ 9 ص 335.

3 ـ ابن العماد: شذرات الذهب ج 2 ص 275.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 3 ص 54، 58.

4 ـ الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 8 ص 430.

سوداء وطيلسان»[1].

وكان يوجد قاضي قضاة واحد في بغداد زمن الدولة العباسية، وحينما اتسعت الدولة، أصبح لأمصار الأقاليم التي غدت حواضر لدول مستقلة قاضي قضاة أسوة ببغداد. فكان قاضي قضاة القاهرة على المذهب الاسماعيلي عهد الدولة الفاطمية، وعلى المذهب الشافعي عهد الدولة الأيوبية، وأصبح لكل مذهب من المذاهب الأربعة عند أهل السنة، قاضي قضاة سواء في القاهرة أو دمشق عهد دولة المماليك. أما في الأندلس والمغرب، فكان قاضي القضاة، يعرف باسم «قاضي الجماعة»[2].

(ب) كتاب الخراج والنهضة الاقتصادية

يعد كتاب الخراج الذي وضعه قاضي القضاة أبو يوسف خير دليل على أهمية الوضع الاقتصادي عهد هارون الرشيد الذي طلب من قاضي القضاة وضع رسالة تنظم جباية الخراج وغيره من موارد بيت المسلمين على النمط المشروع الذي سنه النبي محمد ﷺ والخلفاء الراشدون، حتى لا يقع حيف على الرعية. فكانت الرسالة العظيمة التي سميت بكتاب الخراج[3].

وعلى الرغم من تسميته بـ «الخراج»، إلا أن هذا الكتاب يبحث في الواقع في أهم أبواب مالية الدولة، فهو لا يكتفي بالخراج الذي يعني ضريبة الأرض، بل تطرق أيضاً في ضرائب الرؤوس مثل الزكاة المفروضة على المسلمين في أموالهم، والجزية المفروضة على أهل الذمة، ويتوسع في قسمة الغنائم التي يحرزها جيش المسلمين، وفي شؤون الري، والأرض الموات...

---

1 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 6 ص 379.

2 ـ عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص 10.

3 ـ راجع كتاب الخراج لأبي يوسف.

13 ـ غزوه الأراضي البيزنطية (190هـ/ 806م)

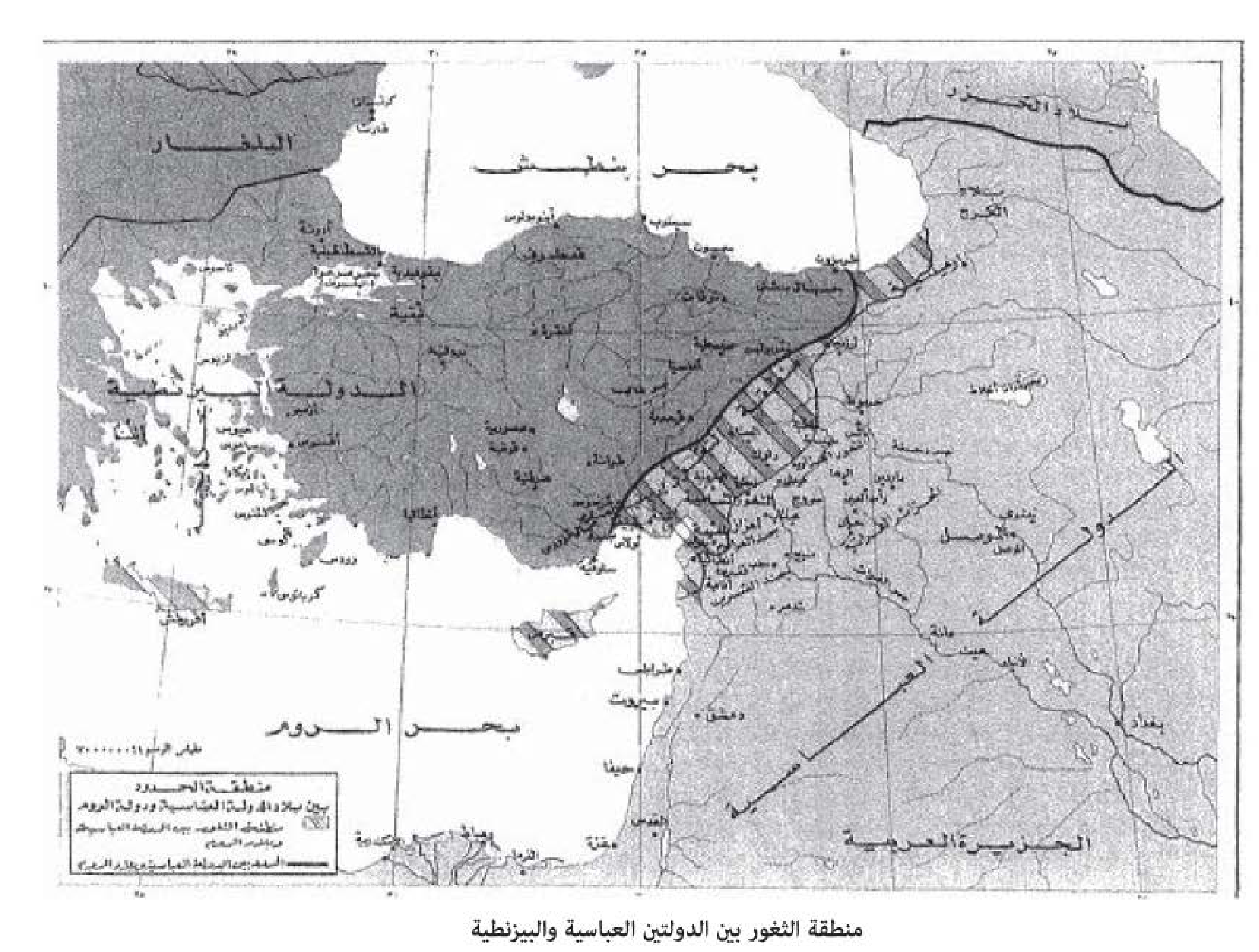
اشـتهر هـارون الرشـيد بغـزوه الأراضي البيزنطيـة قبل توليـه الخلافة، لكسـب شرف الجهاد. فقاد حملـة ضخمـة وهـو أمـير ضـد الامبراطـورة إيرين التـي كانـت تحكم كوصيـة على ابنها قسـطنطين السـادس، فاخـترق آسـيا الصغرى حتـى بلغ مضيق البوسـفور، فاضطـرت الامبراطـورة لطلب الصلح عـام 165هــ/ 782م وتعهدت بدفع الجزية السـنوية.

ومـا لبـث الامبراطـور نقفـور الأول، أن نقـض الهدنة طالباً من هارون الرشـيد أن يـرد إليه الجزية التـي دفعتهـا الامبراطـورة مـن قبـل، فاستشـاط الرشـيد غضبـاً، لينطلـق عـلى رأس جيـش كبـير من مائـة وخمسـة وثلاثـين ألفـاً، وتوغـل في الأراضي البيزنطيـة داخـل آسـيا الصغـرى حتـى بلـغ مدينـة هرقلـة فحاصرهـا واسـتولى عليهـا عـام 190هــ/ 806م. ثم أرسـل حملات أخـرى بقيادة كبـار قادته عرفـت بالغـزوات الصائفـة، فاضطـر الامبراطـور نقفـور لطلـب الصلح ودفـع الجزيـة مجدداً[1].

فـما أن تـولى محمـد الأمـين الخلافـة بعـد وفـاة ابيـه هـارون الرشـيد، حتى عـزم على خلـع أخيه المأمـون مـن ولايـة العهـد ومبايعـة ابنـه البكـر مـوسى. وكان الوزير الفضل بـن الربيـع يحث الأمين عـلى خلـع أخيـه المأمـون، ونكـث العهـد، ونصحـه بـأن يسـتدعي أخـاه المأمـون إلى بغـداد حتـى يظفـر بـه كرهينـة، ويفصـل بينـه وبـين جنـده في خراسـان. في حـين وقف الفضـل بن سـهل بجانب المأمـون وحثـه عـلى البقـاء في خراسـان، ورفـض طلـب الأمـين بالعـودة إلى بغـداد، فأخـذ يسـعى لايصـال المأمـون إلى الخلافـة، أمـلاً في أن تكـون مـرو في خراسـان حـاضرة لهـذه الخلافـة بـدلاً مـن بغـداد، حتـى تعـود لخراسـان عظمتهـا. وبالفعـل التف الخراسـانيون حـول المأمون الـذي يعتبرونه ابـن اختهـم مراجـل الفارسـية. في حـين التـف العـرب حول الأمـين وانتهى الأمـر بمقتل الأمـين وتولى المأمـون الخلافة.

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 268. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 118.السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 288.



منطقة الثغور بين الدولتين العباسية والبيزنطية

حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 105

الفصل الخامس.

الصراع العربي ـ الفارسي (الأمين والمأمون)

(193 ـ 218هـ/ 809 ـ 833م)

1 ـ الخليفة السادس محمد الأمين والصراع مع أخيه عبد الله المأمون

(193 ـ 198هـ/ 809 ـ 813م)

اعتـبر ابـن الأثـير السياسـة التـي اتبعهـا هـارون الرشـيد في تقسـيم الدولـة العباسـية بـين أولاده الثلاثـة، سياسـة خاطئـة[1]. فـما إن توفي هارون الرشـيد في 3 جمادي الثانية 193هــ/ 809م، حتى بدأ الخـلاف بـين الأمـين والمأمـون، دون أن تنفـع المراسـلات بينهما لإنهـاء الخلاف[2].

بويـــع محمـــد الأمـــين[3] بالخلافـــة في بغـــداد واســـتمر إلى أن قتـــل في 25 محـــرم 198هــ/

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 165.

2 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 294 ـ 295.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 388 ـ 389.

3 ـ محمد الأمين (193 ـ 198هـ/ 809 ـ 813م)، أبو عبد الله محمد الأمين بن هارون الرشيد، سادس خلفاء بني العباس، أمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور. ولد في الرصافة عام 170هـ/ 786م، وقام الصراع بينه وبين أخيه عبد الله المأمون، حتى مقتله ليلة الأحد 4 صفر 198هـ/ 813م.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 150 ـ 165.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 236 ـ 241.

5 أيلـول 813م، فكانـت مـدة خلافتـه ثلاثـة أعـوام وثمانية أشـهر. وهو هاشـمي أبـاً وأمـاً، ولم يتفق ذلـك لغـيره مـن الخلفـاء إلا للامـام علي ابـن أبي طالـب ولابنه الحسـن عليهما السـلام[1].

كان مـن الطبيعـي، أن يحـاول الأمـين حـصر ولايـة العهـد في ابنـه موسى، بـدلاً من أخيـه المأمون، عـلى غـرار مـا يفعلـه الخلفـاء عـادة. وكان يحظـى بدعـم كبـير مـن أمـه زبيـدة ووزيـره الفضـل بـن الربيـع اللذيـن كانـا يمثـلان الحـزب العـربي الـذي يخـشى مـن عـودة النفـوذ الفـارسي إثـر نكبة البرامكـة. في حـين اعتمـد المأمـون على وزيره الفضل بن سـهل وأهل خراسـان الذيـن يمثلون الحزب الفارسي.

أخطـأ الأمـين والمأمـون، في جعـل الـصراع بينهـما يبـدو وكأنـه صراع بـين العـرب والفـرس، وزاد الخطـأ حينـما أعلـن الأمـين البيعـة لابنه موسى بولايـة العهـد ولقبه «الناطـق بالحق» عـام 195هـ/ 811م، ومـزق الـشروط التـي وضعهـا والـده الرشـيد في الكعبـة بشـأن ولايـة العهد، فـأسرع المأمون وأعلـن نفسـه خليفـة في 10 شـعبان 195هــ/ آذار 811م، وبويـع في خراسـان.

ثـم أخطـأ الأمـين في تقليـد إمـرة الجيـش إلى عـلي بـن عيـسى بـن ماهـان الـذي كان واليـاً عـلى خراسـان عهـد الرشـيد[2]، وكان مكروهـاً مـن الخراسـانيين بسـبب ظلمـه وقسـوته. وقـد تقـدم نحـو منطقـة الـري عـلى حـدود خراسـان، حيـث جهز المأمون جيشـاً كبيراً حشـده في هـذه المنطقة، وولى عليـه طاهـر بـن الحسـين الـذي أثبت مقدرة عسـكرية في إنـزال الهزيمـة بجيش الأمين وقتـل قائده عـلي بـن عيسى بـن ماهان وأرسـل رأسـه إلى المأمون عام 195هــ/ 811م[3].

ظهـر جيـش الأمـين ضعيفـاً، أثنـاء حصـار بغـداد، فقاسـت هـذه الحـاضرة مـن الحصـار مـا لم يكـن يخطـر عـلى بـال أحـد مـن الهـدم والحريـق وسـفك الدمـاء والجـوع. فقـد أخطـأ الأمـين مـرة أخـرى، حينـما اسـتعان أثنـاء الحصـار بالعياريـن والشـطار

---

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 152 ـ 153.

2 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 143.

3 ـ المصدر نفسه، ج 5 ص 146، 147.

والمسـجونين مـن أهـل بغـداد، فـكان الـشر الـذي أصـاب المدينـة منهـم أشـد مـما أصابهـا مـن جيـش المأمـون الـذي يحاصرهـا.

وعلى الرغـم مـن بطولـة أهل بغـداد[1] في الدفـاع عـن مدينتهم، فقد اضطـر الأمين لطلـب الأمان والتسـليم، لكـن جيـش المأمـون نقـض العهـد، فوقع الأمـين في الأسر، وقتـل في 25 محـرم 198هـ/ 5 أيلـول 813م، وأرسـل رأسـه إلى أخيـه المأمـون. وبذلـك انتهـى الـصراع بـين الأخويـن محمـد الأمـين وعبـد اللـه المأمـون بقتـل الأول ومبايعـة الثـاني بالخلافة.

وهكـذا لم تنفـع خطـوة الأمـين مـن جعل ولايـة العهـد في ابنه الأكبر مـوسى الذي سـماه «الناطق بالحـق»، وأمـه تدعـى فطـم. وبمقتـل الأمين بويع أخـوه المأمـون بالخلافة. وعاش مـوسى عند جدته زبيـدة حتـى وفاتـه عـام 209هــ/ 824م، وعمـره دون العشريـن. وكان للأمـين ابن آخـر يدعى عبد الله[2].

2 ـ مبايعة الخليفة السابع عبد الله المأمون[3]

(25 محرم 198هـ/ 5 أيلول 813م)

بويــع عبــد اللــه المأمــون بالخلافــة في 25 محــرم 198هــ/ 5 أيلــول 813م، واســتمرت

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 457، 458.

2 ـ زاهدة عبد الله عبد الرزاق: الخليفة العباسي محمد الأمين، ص 34.

3 ـ عبد الله المأمون (198 ـ 218هـ/ 813 ـ 833م)، أبو جعفر عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، سابع خلفاء بني العباس، ولد في ربيع الأول 170هـ/ 786م، وأمه مراجل. وتولى الخلافة عام 198هـ/ 813م، وفي عام 212هـ/ 827م، أظهر القول بخلق القرآن الكريم، لتبدأ محنة هذا القول. توفي عام 218هـ/ 833م وكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 179 ـ 196 ـ 219 ـ 227.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10، ص 279 ـ 293.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 243 ـ 250 ـ 264 ـ 274.

خلافتـه حتـى وفاتـه في 19 رجـب 218هــ/ 10 آب 832م، أي طيلـة عشريـن عامـاً وخمسـة أشـهر وثلاثـة أيام.

استمرت إقامـة المأمـون في مدينـة مـرو بخراسـان طيلـة سـتة أعـوام، بسـبب خشـيته مـن أهـل بغـداد أنصـار أخيـه الخليفـة المقتـول، أو لعل وزيره الفضل بن سـهل هـو الذي أقنعـه بذلك، حتى يكـون مركـز الدولـة العباسـية بـين الفرس في خراسـان. وهـذا ما جعلـه يتريث في المجـيء إلى بغداد حتـى منتصـف صفـر 204هــ/ 819م. وفي تلـك الأثناء ثـار العلويون في الكوفة ومكـة واليمن، وتمت مبايعـة محمـد بـن جعفـر الصـادق بالخلافة، وبعـد القضاء على هذه الثـورة أقـدم الخليفة المأمون عـلى مبايعـة الإمـام الثامن عـلي الرضا بولايـة العهد.

3 ـ مبايعة الإمام الثامن علي الرضا بولاية العهد (201هـ/ 816م)

كان عـلى المأمـون أن يبـت بأمـر ولايـة العهـد، بعـد مقتـل أخيـه الأمـين عـام 198هــ/ 813م، ومبايعتـه بالخلافـة. ولكنـه لم يبـت بهـذا الأمـر، وبقيـت الدولـة العباسـية بـلا ولي عهد طيلـة ثلاثة أعـوام، مـا يعنـي تعريـض الدولـة للخطر في حـال وفاته بدون ولي عهـد، فتقوم الفـتن والصراع حول وراثـة الخلافـة. علـماً أن المأمـون ليـس عقيماً، فعنـده ولده العبـاس، ومع ذلك لم يعلنـه ولياً للعهد.

أدرك المأمـون أنـه ورث دولـة كبـيرة مترامـية الأطراف، تبـدو في الظاهر متماسـكة متوحدة، وهي في الواقـع تنطـوي عـلى مكامـن الضعـف والتفـكك والتمـزق. لذلـك، لم يـر في ابنـه العبـاس كفـاءة القائـد القـادر عـلى إدارة الدولـة، كـما لم يـر في أحـد إخوتـه مثل هـذا القائـد المنقذ[1].

يعتـبر انتصـار عبـد اللـه المأمـون ومبايعتـه بالخلافـة، ضربـة شـديدة لبنـي العبـاس

1 ـ حسن الأمين: الرضا (ع) والمأمون وولاية العهد، ص 125.

أخـوال محمـد الأمـين الذيـن يمثلـون العنـصر الهاشـمي العربي المهـزوم أمـام العنصر الفـارسي الذي اعتمـد عليـه المأمـون في صراعـه مـع أخيـه. لذلـك حـاول المأمـون كسـب تأييـد الفرع «الهاشـمي» العـربي الآخـر أي العلويـين، حتـى يتمكـن مـن السـيطرة قبـل العـودة مـن مـرو إلى بغداد.

أثـار المأمـون اسـتغراب معظـم المؤرخين، حينما قـام بحركة سياسـية غريبة، احتاروا في تفسـيرها، فقـد أرسـل رجـاء بـن الضحـاك عـام 200هــ/ 815م، إلى علي بن مـوسى الكاظم بن جعفـر الصادق، وهـو الامـام الثامـن عنـد الشـيعة الاثنـي عشرية، ليـأتي بـه مـن المدينـة المنـورة إلى مـرو في بـلاد فـارس[1]، حيـث يقيـم المأمـون الـذي ولاه ولايـة العهـد يـوم الاثنـين 7 رمضـان 201هــ/ آذار 816م[2]، ولقبـه بالرضـا مـن آل محمـد ﷺ [3]، فأصبـح يعـرف بالإمـام عـلي الرضـا عليه السـلام.

وقـد كتـب المأمـون عهـده للرضـا بولايـة العهـد، بخطـه وانشـائه، وكتـب الرضـا على ظهـر العهد موافقتـه بخـط يـده. وشـهد عـلى هـذا العهد الفضل بن سـهل وسـهل بـن الفضل ويحيى بـن أكتم وعبـد اللـه بـن طاهـر بـن الحسـين وثمامة بـن أشرس وبشر بـن المعتمـر وحماد بـن النعمان.

ولم يكتـف المأمـون بذلـك، بـل زوج الإمام علي الرضـا من ابنته أم حبيبة عـام 202هـ/ 817م، كما قـام بتزويـج ابنتـه الأخـرى أم الفضـل إلى ابـن الإمـام علي الرضا وهـو الإمـام محمد الجـواد، تأكيداً عـلى وحـدة فرعـي بني هاشـم العلـوي والعباسي. ثـم اتخذ شـعار العلويين في الرايـات والخلع وهو اللـون الأخضر بدلاً من اللون الأسـود شـعار العباسـيين.

---

1 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 3 ص 413.

الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص 435.

2 ـ الذهبي: دول الإسلام، ص 113.

3 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 247.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10، ص 243.

فهل كان هدف الخليفة المأمون الاعتراف بحق العلويين وأفضليتهم على العباسيين؟ وهو يدرك أن الإمام علي الرضا الذي ولد في المدينة المنورة عام 148هـ/ 765م، وقد ناهز الثالثة والخمسين، وشهرته واسعة في الورع وميادين العلم، وكان معرضاً عن الدنيا، وتجمع فيه كل صفات رجل الدولة من إيمان وسيرة نقية وإرادة صلبة، وعزم وحزم وعلم.

وكان التطبيق العملي لولاية العهد، مع ضرب درهم بمدينة أصبهان، كتب على أحد جانبيه، في سبعة سطور[1]: «الله. محمد رسول الله. المأمون خليفة الله. مما أمر به الأمير الرضا. ولي عهد المسلمين علي بن موسى. بن علي بن أبي طالب. ذو الرياستين».

يتفق المؤرخون «الشيعة والسنة» على ثلاث مسائل لا شك في صحتها، وهي أن الخليفة العباسي السابع المأمون جعل ولاية عهده للإمام الثامن علي الرضا، وأنه لبس الخضرة شعار العلويين، وأنه زوجه ابنته أم حبيبة عام 202هـ/ 817م.

ثم احتار المؤرخون، في خطوة المأمون لجعل ولاية عهده للإمام علي الرضا. فهل كان حقاً يحمل شعوراً دينياً بأن العلويين أحق بالخلافة من العباسيين؟ أم أن هذا الشعور الديني يخفي وراءه مشروعاً سياسياً يرمي إلى اكتساب المأمون ولاء أهل خراسان الميالين بشدة إلى العلويين، علماً أن أمه هي خراسانية أيضاً؟ وهل هذا المشروع السياسي هو الذي أدى في النهاية إلى انقلاب المأمون على وزيره الفضل بن سهل واغتياله في مرو بخراسان ثم التخلص من الإمام علي الرضا بدس السم له وهو في طريقه إلى بغداد؟ فهل هذا يعني أن المأمون لم يكن مخلصاً في تحويل الخلافة إلى العلويين، وأن ما فعله من جعل ولاية العهد للإمام علي الرضا، لم يكن إلا سياسة دعت إليها الضرورة وسياسة الملك، وحينما سنحت الفرصة تخلص من الوزير والإمام؟

1 ـ حسن الأمين: الرضا (ع) والمأمون وولاية الهد، ص 133 ـ 134.

كان المأمـون أكـثر خلفـاء بنـي العبـاس ميـلاً للعلويـين[1]، وقـد اسـتوزر الفضـل بـن سـهل بـن زاد نفـروخ، وهـو مـن أبنـاء ملـوك فـارس، وكان عـلى غـرار الـوزراء البرامكـة، يميـل بـدوره إلى العلويين لاعتقـاده أنهـم أحـق بالخلافـة، لأنهـم يجمعـون بـين أشرف دم عـربي، وهـو دم النبـيr، وأشرف دم فـارسي وهـو دم الأكاسرة الفـرس لأن أولاد الحسـين بـن عـلي عليهـما السـلام هـم من إبنـة يزد جرد الثالـث. لذلـك عمـل الفضـل بـن سـهل، عـلى تحويـل الخلافـة العباسـية إلى العلويـين[2]، حينما وجد الخليفـة المأمـون ميـالاً إلى إسـناد ولايـة العهـد إلى الإمـام الثامـن علي الرضـا ابن موسى بـن جعفر[3].

رفـض أهـل بغـداد قـرار الخليفـة المأمـون بمبايعـة الإمـام عـلي الرضـا بولاية العهـد، وبايعـوا عم الخليفـة إبراهيـم بـن المهدي بالخلافـة[4]، في 5 محرم 202هـ/ 817م، ولقب بــ «المبارك»، وذلك حتى لا تخـرج مـن ولـد العبـاس إلى ولـد علي، متمسـكين بالشـعار الأسـود، وبايعـوا من بعـده لابن أخيه إسـحاق بـن مـوسى بـن المهدي[5]، ومـا لبث المأمون أن أرسـل جيشـاً حـاصر بغداد.

ومــن أجــل تهدئــة ثــورة أهــل بغــداد وأفــراد البيــت العبــاسي ضــده، لجــأ المأمــون إلى التخلــص مــن الإمــام عــلي الرضــا والفضــل بــن ســهل، ليصفــو لــه الجــو، ويدخــل بغــداد، دون أن يقــف أهلهــا في وجهــه. وقيــل أن الفضــل بــن ســهل، دخــل الحــمام، في مــرو، فقبــض عليــه جماعــة مــن الرجــال واغتالــوه، فثــار أنصــاره وتجمعــوا ببــاب

---

1 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 205.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10، ص 295.

2 ـ القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 221 ـ 223.

3 ـ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 312.

4 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 555.

5 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 184.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 247.

المأمـون وهمـوا بإحراقـه، فطلـب المأمـون النجـدة مـن الإمـام عـلي الرضـا لمحبـة أهـل خراسـان له فهـدأ ثائرهـم ونجـا الخليفـة مـن الخطـر المحدق بـه، ولم يبق أمامه سـوى التخلص مـن الإمام علي الرضـا نفسـه، وهـو في طريقـه إلى بغداد، فكانت وفاته في طـوس وفي 17 صفر 203هـ/ 818م، فصلى عليـه المأمـون ودفنـه قـرب ضريـح والـده هـارون الرشـيد، حيث قامـت حـول مقامه مدينـة جديدة هـي «مشـهد» التـي حلـت مكان مدينـة طوس القديمـة، وهي تعتبر اليـوم من أبرز الأماكن الشـيعية المقدسـة بعـد كربـلاء[1]، والنجـف الأشرف، ويجمـع المؤرخـون الشـيعة على اتهـام المأمون بقتـل الإمام عـلي الرضـا بـدس السـم[2]، في العنب أو عصـير الرمان[3]، فمات لسـاعته.

إن انتهـاء أمـر البيعـة بولايـة العهـد للعلويـين بوفاة الإمـام علي الرضـا، وهرب إبراهيـم ابن المهدي الـذي اختـاره أهـل بغـداد خليفـة، أدى إلى عـودة الأحـوال إلى طبيعتهـا في بغداد، حيـث لم يعد هناك مـن دافـع للمقاومـة، فاستسـلمت بغـداد في 17 ذي الحجـة 203هــ/ 818م، ليدخلهـا المأمـون في 22 صفـر 204هــ/ 819م، وأقبـل أهـل بغـداد عـلى مبايعتـه والترحيـب بقدومه، وأمـر بالعودة إلى شـعار العباسـيين «السواد»[4].

4 ـ وفاة الإمام الشافعي (204هـ/ 820م)

الإمـام محمـد بـن إدريـس بـن العبـاس بـن عثـمان بـن شـافع[5]، هـو عـربي قـرشي

1 ـ الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص 371.

2 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 568.

3 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلانية، ص 218.

4 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 2، ص 156.

5 ـ ترجمة الإمام الشافعي

السبكي: طبقات الشافعية، ج 1 ص 284.

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 2 ص 56 ـ 73.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 6 ص 367 ـ 398

عصام شبارو: القضاء والقضاة في الإسلام، ص 132 ـ 134.

النسب من جهة الأب، وأمه من الأزد من اليمن، وكان أبوه خرج في حاجة إلى بلاد الشام، فولدت له الشافعي بغزة أو عسقلان عام 150هـ/ 767م. ثم توفى أبوه، فحملته أمه إلى مكة المكرمة وهو طفل في الثانية، فنشأ فقيراً.

أخذ يتردد على مجالس العلم والفقه، ثم رحل إلى المدينة المنورة وسمع «الموطأ» من الامام مالك، ولازمة إلى أن مات مالك عام 179هـ/ 795م. ثم خرج إلى اليمن، وقدم بغداد عام 195هـ/ 811م وأقام بها سنتين، ثم عاد إلى مكة المكرمة، ومنها إلى بغداد للمرة الثانية عام 198هـ/ 813م ليقيم فيها أشهراً ثم خرج منها إلى مصر عام 199هـ/ 814م وبقي فيها إلى وفاته عام 204هـ/ 820م. فساد مذهبه في مصر.

ويعد مذهب الإمام الشافعي ثالث المذاهب الأربعة عند أهل السنة، وهو مذهب أهل الحديث والرأي والقياس. وقد دون الإمام الشافعي مذهبه في كتابه «الأم» وله تصانيف أخرى مثل: المسند، أحكام القرآن، والسنن. لذلك يعد المذهب الشافعي، وسطاً بين المذهب الحنفي والمذهب المالكي لأنه كان يأخذ بطريقة أهل الحديث أحياناً، وبطريقة الرأي والقياس (الاجتهاد) أحياناً أخرى.

5 ـ قيام الإمارة الطاهرية «الفارسية» في خراسان (205هـ/ 820م)

لم يتخلص المأمون من النفوذ الفارسي، بقضائه على أسرة الوزير الفضل بن سهل[1]، فقد اعتمد على أسرة فارسية أخرى، حينما ولى طاهر بن الحسين منصب صاحب الشرطة في بغداد عام 204هـ/ 819م، ثم أصبح والياً على خراسان عام 205هـ/ 820م. وذلك مكافأة على المساعدة العسكرية التي قدمها في سبيل نصرة المأمون على أخيه الأمين. وبذلك قامت الدولة الطاهرية «الفارسية» في خراسان برغبة الخلافة العباسية وتأييدها، وهي تدرك طموح طاهر بن الحسين الذي نجح

1 ـ الجهشياري: الوزراء والكتاب، ص 316.

فعلاً في تثبيت مركزه في خراسان[1] واتخاذ نيسابور قاعدة له.

وتـوالى عـلى حكـم الدولـة الطاهريـة في خراسـان، طاهـر بـن الحسـين، ثـم ابنـه طلحـة، ثـم ابنه الآخـر عبـد اللـه ثـم حفيـده طاهـر بـن عبـد اللـه، وكان محمد بـن طاهر آخر حـكام هـذه الدولة التـي حلـت مكانهـا الدولـة الصفاريـة التي أسسـها يعقـوب بن الليث الصفـار بعد دخوله نيسـابور عـام 259هــ/ 872م[2]، مخالفـاً أوامـر الخلافة العباسـية بعدم التعـرض للطاهريين.

6 ـ الثورة العلوية في اليمن (207هـ/ 822م)

قـاد عبـد الرحمـن بـن عبـد اللـه بـن محمد بـن عمر بن عـلي بـن أبي طالـب، الثـورة العلوية في اليمـن عـام 207هــ/ 822م، بسـبب ظلـم الـولاة العباسـيين، فانضم إليـه عدد من العشـائر[3].

أرسـل الخليفـة عبـد اللـه المأمـون قائـده دينـار بـن عبـد اللـه إلى اليمـن عـلى رأس جيـش كبير، وأوصـاه باعطـاء الأمـان للثائـر العلـوي، تفاديـاً للقتـال، فوافـق عبـد الرحمـن وخرج بصحبـة دينار بـن عبـد اللـه إلى بغـداد، وانتهـت الثورة.

نجحت ثورة عبد الرحمن بن أحمد العلوي، في عودة المأمون إلى المعاملة الحسنة للعلويين.

7 ـ زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل (210هـ/ 825م)

تـزوج المأمـون ابنـة عمـه موسى الهـادي، وتسـمى أم مـوسى، ثـم تـزوج بـوران. وقـد

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 162.

2 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 119.

3 ـ سميرة مختار الليثي: جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول، ص 375.

فـاق والـده هـارون الرشـيد في كرمـه وإسرافـه، بمـا أنفقـه عـلى زواجه من بـوران[1] بنت الحسـن بن سـهل، فقـد أمهـر بـوران مائة ألـف دينار وخمسـين مليون درهـم، أي أكثر من نصف مليـون دينار. وأمـر لأبيهـا الحسـن بـن سـهل، لما خرج إلى فـم الصلح[2] للـزواج منهـا[3]، بعشرة ملايين درهـم ومنحه خـراج اقليـم فـم الصلـح، وأعطاه خـراج اقليم فـارس والأهواز سـنة واحدة[4].

وأكـدت السـيدة زبيـدة، أن نفقـات زواج المأمـون ابـن زوجهـا هـارون الرشـيد مـن بـوران بنـت الحسـن بـن سـهل، في رمضـان 210هــ/ 825م، تراوحـت بين خمسـة وثلاثين وسـبعة وثلاثـين مليون درهـم، وقيـل إن النفقـات بلغـت فقـط خمسـة وعشرين مليـون درهم[5].

ويذكــر ابـــن الأثـــير والطـــبري، أن المأمـــون عقـــد عـــلى بـــوران في محـــرم 202هــ/ 817م في خراســـان، وهـــي مـــع أبيهـــا في العـــراق، فـــكان هـــذا التزويـــج الأول مجـــرد الأمـــلاك عليهـــا، ثـــم بنـــى بعـــد الأمـــلاك بثمانيـــة أعـــوام حينـــما جـــاء مـــن خراســـان إلى

1 ـ بوران بنت الحسن بن سهل (ت 271هـ/ 884م): اسمها خديجة، ولدت سنة 191هـ/ 807م، وهي أكمل النساء أدباً وأخلاقاً، أنفق والدها في زفافها من المأمون سنة 210هـ/ 825م، مبالغ عظيمة. وورثت عنه القصر الحسني الذي أهدته للمعتمد. وتوفت سنة 270هـ/ 884م.

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1 ص 302 ـ 303. ج 6 ص 174.

المسعودي: مروج الذهب، ج 2 ص 348.

الزركلي: الأعلام، ج 2 ص 56.

2 ـ فم الصلح: بكسر فسكون، كورة فوق واسط، لها نهر يستمد من دجلة على الجانب الشرقي، يسمى فم الصلح، وهو نهر كبير عليه عدة قرى، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون، وفيه بنى المأمون بوران.

ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3 ص 413، 917.

3 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1 ص 302. ج 6 ص 174.

4 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1 ص 16.

5 ـ ابن طيفور: تاريخ بغداد، ص 210، 211.

العراق وذلك عام 210هـ/ 825م[1].

8 ـ القصر الحسني

لم يكتف المأمون بمنح الحسن بن سهل عشرة ملايين درهم، وخراج اقليم فم الصلح، بل قدم إليه القصر الجعفري، ليقيم فيه عندما جاء إلى العراق وزيراً له. وهذا القصر يقع في الجانب الشرقي من بغداد، بناه جعفر البرمكي وزير الخليفة هارون الرشيد، فسمي الجعفري. ولما قتل جعفر، أقام فيه المأمون، ثم وهبه إلى الحسن بن سهل فأضاف إليه ما حوله، وسمي بالقصر الحسني، نسبة إلى الحسن بن سهل الذي ورثته عنه ابنته بوران بعد وفاته سنة 236هـ/ 850م. وفي عهد المعتمد بالله، أصلحت بوران القصر الحسني، وجددته وفرشته، وزخرفته، ورتبت في ما يحتاج إليه الخليفة من الجواري والخدم، وأهدته للمعتمد، ثم ورثه المعتضد بالله، وأقام حوله سوراً[2]، ولكنه لم يقم فيه حفل زواجه من أسماء بنت خمارويه «**قطر الندى**»، بل أقام الحفل في قصر صاعد[3].

9 ـ النهضة الفكرية وحركة الترجمة

قامت النهضة الفكرية عهد المأمون، بسبب اهتمامه بجمع تراث الأمم القديمة، وخاصة التراث اليوناني. وأنشأ «بيت الحكمة»[4] في بغداد، ونقل إليه نفائس الكتب العلمية من القسطنطينية وقبرص. فقوي نفوذ العلماء في عهده، وأشهرهم: ابراهيم النظام (ت 220هـ/ 835م)، أبو الهذيل العلاف (ت 235هـ/ 849م)،

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 35.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 7 ص 150.

2 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 8 ص 20، 21.

3 ـ ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1 ص 806.

4 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 216.

وأبـو عثـمان الجاحـظ (ت 254هــ/ 868م). وشـجع مجالـس المناظـرة بـين العلـماء، مـا أدى إلى ظهـور أكـثر مـن مذهـب مـن المذاهـب الفكريـة المختلفـة، وفي طليعتهـا المعتزلـة التـي كان المأمـون يميـل إلى آرائهـا.

والمعتزلـة التـي نشـأت أول الأمـر كطائفـة دينيـة لا علاقـة لهـا بالسياسـة، سرعان مـا تطرقت إلى السياسـة، بعـد أن طرحـت مسـألة «خلق القرآن» التي تحولـت إلى «محنة». فكانـت المعتزلة تقول بـأن القـرآن الكريـم مخلـوق لأنـه مجموعـة من الحـروف والأصـوات يخلقهـا الله، فتصـل إلى النبي العـربي محمـد ﷺ عـن طريـق مـلاك هـو جبريـل عليـه السـلام، ومـن المحـال بنظرهـم أن يكـون القـرآن الكريـم صفـة من صفـات الله.

عـارض أهـل الحديـث أفـكار المعتزلـة التـي حظيـت بدعـم كامـل مـن الخليفـة المأمـون الـذي جعلهـا المذهـب الرسـمي للدولـة العباسـية، حتـى سـيطر أهـل الحديـث عهـد المتوكل الـذي أبطل المناقشـة في مسـألة خلـق القـرآن الكريـم[1].

أدى اختـلاط العباسـيين بالفـرس، إلى طمـوح العباسـيين بالاطـلاع عـلى أعـمال العلـماء والحكـماء والفلاسـفة الفـرس واليونـان، وذلـك عن طريق الترجمـة. وكان أبو جعفر المنصور المؤسـس الحقيقي للدولـة العباسـية، هـو أول مـن عنـي بترجمـة الكتب عـن طريق طبيبـه جرجس بـن جبرائيل الذي ترجـم كتبـاً كثـيرة مـن اليونانيـة إلى العربيـة، وعـن طريـق ابـن المقفـع الـذي ترجـم كتـاب كليلـة ودمنـة مـن الفهلويـة إلى العربيـة. وقويـت حركـة الترجمـة عهـد هارون الرشـيد بفضـل البرامكة.

وعرفـــت حركـــة الترجمـــة عصرهـــا الذهبـــي عهـــد المأمـــون الـــذي أرســـل جماعـــة إلى القســـطنطينية، بعـــد مراســـلات مـــع الامبراطـــور البيزنطـــي، فاختـــاروا الكثـــير مـــن العلـــوم القديمـــة المخزونـــة وســـلموها إلى بيـــت الحكمـــة، وكان الغالـــب عليهـــا الهندســـة والحيـــل

1 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1 ص 236.

والحـركات والموسـيقى والنجـوم والطـب. فـبرز اسـم حنـين بـن اسـحاق في صناعـة الطـب وذاعـت شـهرته في الترجمـة، فقـد كان فصيحـاً باللغـات اليونانيـة والسريانيـة والعربيـة والفارسـية. كـما برز اسـم حبيـش بـن الحسـن، وثابـت بن قـرة، ومحمد بن مـوسى الخوارزمـي، ويحيى بـن أبي منصور[1].

وهكـذا ازداد نشـاط بيـت الحكمـة، فأصبحـت بغـداد، عـن طريـق الترجمـة، ملتقـى القانـون الرومـاني والطـب الاغريقـي والفلسـفة اليونانيـة والتصـوف الهنـدي وحكمـة فـارس. وأصبـح بيـت الحكمـة بمنزلـة معهـد علمي يضم مكتبة لنسـخ الكتـب، وداراً لترجمتها إلى العربيـة، وكان له مدير ومسـاعدون ومترجمـون ومجلـدون للكتـب[2].

وكان المأمـون يكـرم العلـماء ويجمعهم في مجالـس للمناظرة، لعلهم من خـلال البحث والمناظرة، يتفقـون على رأي، فيحمـل العامة عليه[3].

1 ـ أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون، ج 1 ص 375.

2 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 108.

3 ـ أبو زيد شبلي: الدولة العباسية، ص 344، 345.

الفصل السادس

الخليفة الثامن المعتصم بالله والاعتماد على الأتراك

(218 ـ 227هـ/ 833 ـ 842م)

تـوفي المأمـون وهـو يجاهـد ضـد البيزنطيـين، قـرب مدينـة طرسـوس في آسـيا الصغـرى، في 19 رجـب 218هــ/ 10 آب 833م، وهـو في الثامنـة والأربعـين[1]، وقيـل في التاسـعة والثلاثـين[2]، وكان أوصى بالخلافـة مـن بعـده، لأخيـه المعتصـم باللـه[3] الـذي رفـض الجيـش مبايعته أول الأمـر، لأنهم أرادوا مبايعـة العبـاس بـن المأمـون الـذي حسـم الوضـع، احترامـاً لوصيـة والـده، فـأسرع إلى مبايعـة عمـه المعتصـم، وحـذا الجيـش حـذوه، لتسـتمر خلافتـه حوالى ثمانيـة أعوام وثمانية أشـهر

---

1 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 419.

2 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 586.

3 ـ المعتصم بالله (218 ـ 227هـ/ 833 ـ 842م): محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، ثامن خلفاء بني العباس. ولد عام 180هـ/ 796م، أمه ماردة، توفي يوم الخميس 18 ربيع الأول 227هـ/ 842م، ودفن بسامراء، وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية أشهر وسبعة عشر يوماً، وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وشهرين.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 265 ـ 267.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 333 ـ 340.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج 2، ص 63، 64.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 11، ص 7 ـ 9.

وسبعة عشر يوماً[1].

1 ـ ثورة «الزيدية» بقيادة محمد بن القاسم في طالقان بخراسان (219هـ/ 834م)

تولى المعتصم بالله الخلافة عام 218هـ/ 833م، فسار على خطى من سبقه من الخلفاء العباسيين، في التخلص من أئمة العلويين وقادتهم خشية مطالبتهم بالخلافة التي يعتبرونها حقاً شرعياً لهم.

خرج على المعتصم بالله من الزيدية عام 219هـ/ 834م، محمد بن القاسم ابن علي بن عمر بن علي بن الحسين، بعد أن أعلن الدعوة إلى «الرضا من آل محمد»، في طالقان بخراسان. فأرسل عبد الله بن طاهر والي خراسان حملة عسكرية حلت بها الهزيمة في الجولة الأولى، وما لبثت أن انتصرت في الجولة الثانية، في حين تمكن محمد بن القاسم من الفرار إلى نيسابور، حيث تم أسره عام 219هـ/ 834م، بسبب خيانة بعض أصحابه، بعدما خصص عبد الله بن طاهر مكافأة مقدارها عشرة آلاف درهم لمن يرشد إليه[2]، وسيق إلى المعتصم بالله الذي أمر بسجنه في سامراء. ثم نجح محمد بن القاسم في الهرب من سجنه[3] بمساعدة بعض أصحابه، ليستتر في واسط حتى وفاته، ما جعل معظم أتباعه «الزيدية» يزعمون أنه حي لم يمت وأنه المهدي المنتظر الذي سيخرج ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتوزع هؤلاء الزيدية في ناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم، وكثير من كور خراسان، واستمر اعتقادهم به حتى عام 232هـ/ 846م[4].

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 239.

2 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 1، ص 265.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 464.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 231، 232.

4 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 227.

2 ـ بناء مدينة سر من رأى «سامراء» (220هـ/ 835م)

كان المعتصم بالله عسكرياً محترفاً ورجل حرب شديداً، تميز عهده بإكثاره من استخدام الأتراك وتفضيلهم على سائر العناصر من عرب وفرس وخوارزمية وبخارية[1].

لم يهتم العرب بإسلام شعوب البلاد المفتوحة، وأطلقوا على من أسلم منهم اسم «الموالي» ومفردها «مولى»، أي الخاضعين لقبائل العرب. وأصبح المولى مرتبطاً بنوع من الولاء للخليفة أو للقبيلة، كما أصبح العديد من القادة العسكريين في جيش الخليفة هارون الرشيد، من الموالي، وقد منح بعض المقربين إليه لقب «الخادم» مثل: «مسرور السياف». وكثر عدد العبيد والخدم عهد الأمين والمأمون، سواء في البلاط أو في الجيش العباسي، بعدما تحضروا على غرار العرب، ومالوا إلى الزراعة والتجارة والمهن بعيداً عن الحرب والقتال.

لذلك، عمد المعتصم بالله إلى اتخاذ تدابير عسكرية جديدة، باعتماده على عنصر الأتراك الذين كانوا لا يزالون بدواً ميالين إلى أمور الحرب والقتال بعيداً عن أمور الحضارة وتقاليدها في الزراعة والتجارة والمهن. فجمع ما لا يقل عن سبعين ألفاً من الأتراك الذين لا تربطهم صلة بقبيلة أو شخص الخليفة، ما يجعل إخلاصهم وولاءهم له وحده، وذلك بعد أن ألح في طلبهم من مواطنهم[2] في أقاليم ما وراء النهر (نهر جيحون) مثل: سمرقند، فرغانة، أشروسنة، الشاش، وخوارزم. وقد حصل على هذا العدد الكبير من الأتراك عن طريق الشراء، وعن طريق الأسر في الحروب، أو عن طريق ولاة الأقاليم الذين يرسلون إليه الرقيق كهدايا.

تحول الأتراك إلى كتلة مسلحة كبيرة داخل الحاضرة بغداد، لا يمكن أن تتعايش مع الكتلة المسلحة السابقة من أهل بغداد وهي الكتلة التي وقفت إلى جانب الأمين

---

1 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 335.

2 ـ اليعقوبي: البلدان، ص 332.

في صراعه مع أخيه المأمون ودافعت عن بغداد، وهي لا تقل عن خمسين ألفاً من الفرسان والمشاة، بسبب الفارق الحضاري[1] والاجتماعي بينهما، وبسبب تزايد عدد الأتراك مع ضيق بغداد[2]، وسوء تصرفهم في أسواقها، ليتكرر التصادم بين هاتين الكتلتين[3].

ومنعاً للتصادم بين أهل بغداد والأتراك، اختار المعتصم بالله موضعاً على نهر دجلة يبعد مائة كيلو متر شمالي بغداد، وشرع في بناء مدينة جديدة أسماها سُرَّ من رأى عام 220هـ/ 835م، فوضع أولاً أساساً لقصره، ثم نقل الجند الأتراك إليها، وهم الذين أصبحوا يشكلون جيشه الذي قسمه إلى وحدات تسكن كل منها في ناحية خاصة من نواحي سامراء، وجعل قائداً لكل وحدة. ثم اختصر اسم المدينة، فقيل: سامراء[4]. وقد اتخذها المعتصم بالله داراً ومعسكراً[5].

ولعل اعتماد المعتصم بالله على العنصر التركي، يعود إلى كون أمه تركية تدعى ماردة، وإلى نيته التخلص من النفوذ الفارسي والعربي معاً سواء في الجيش أو الإدارة[6]، اعتقاداً منه بأن الأتراك مجردون من الطموح الذي اتصف به الفرس ومن العصبية التي عرف بها العرب، لكنه أخطأ في اعتقاده، فقد بلغ بعض القادة الأتراك درجة كبيرة من النفوذ مثل: الأفشين الذي أصابه الغرور وحاول أن يستقل في بلاده أشروسنة فسجنه المعتصم بالله إلى أن مات[7]، وايتاخ،

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10 ص 311.

2 ـ مجهول: العيون والحدائق، ص 5. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 210.

3 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 3 ص 465، 466.

4 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 335، 336.

5 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 587.

6 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 117.

7 ـ الطبري: تاريج الرسل والملوك، ج 9 ص 104 ـ 114. مجهول: العيون والحدائق، ص 63 ـ 67. الذهبي: دول الاسلام، ج 1 ص 98.

وأشناس[1]. وقد أدت سياسة الاعتماد على العنصر التركي، إلى تكريس نفوذ الأتراك بعد سبعة وعشرين عاماً على وفاة المعتصم بالله، وتحديداً عام 247هـ/ 861م، حينما قتل ابنه الخليفة المتوكل على أيديهم ليتدخلوا في شؤون الدولة، حتى صار الخليفة العباسي ألعوبة بأيديهم.

3 ـ سجن وتعذيب الإمام أحمد بن حنبل (220هـ/ 835م)

ولد الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني[2] في بغداد عام 164هـ/ 780م، وهو عربي الأصل. وقد صحب الإمام الشافعي وأخذ عنه.

والإمام أحمد بن حنبل هو أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وقد دون مذهبه الحنبلي بيده في كتابه «المسند» الذي جمع فيه حوالى ألف حديث، إذ كان الحديث الضعيف أحب إليه من الرأي، لذلك تميز مذهبه بشدة المحافظة والتقيد بالحديث والسنّة، دون الأخذ بالاجتهاد.

وتعد مسألة خلق القرآن الكريم، وأن كلام الله مخلوق، التي طرحتها المعتزلة من أكثر الموضوعات التي أثارت اختلافاً عنيفاً بين المعتزلة من جهة، وبين أهل السنة من جهة أخرى، وهي أساس محنة خلق القرآن الكريم التي بدأت عهد المأمون عام 218هـ/ 833م، لتصل إلى حدّ إراقة الدماء، وتعذيب كل من عارض المعتزلة، حتى وصل الأمر إلى القبض على الامام أحمد بن حنبل وسجنه عهد المعتصم بالله عام 220هـ/ 835م، وضرب بالسياط حتى سال منه الدم[3]. ومع ذلك أصر الإمام أحمد بن حنبل على رأيه بأن القرآن الكريم هو كلام الله

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 125.

2 ـ ترجمة الإمام أحمد بن حنبل: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ4 ص 412 ـ 423 ابن أبي يعلى: طبقات الحنابلة، ص 3 ـ 11.

3 ـ التميمي: المحن، ص 444.

وكلام الله غير مخلوق[1]، فارتفعت مكانته لدى أهل بغداد.

وقد حرض قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد على قتل الإمام أحمد بن حنبل، لكن المعتصم بالله أطلق سراحه خشية وقوع الفتنة، وبعد أن أعجب بشجاعته وثباته على ما يعتقد أنه الحق[2].

استمر نفوذ المعتزلة عهد الواثق بالله، لتبدأ نكبة المعتزلة عهد المتوكل على الله الذي ابتعد عن المعتزلة وحرم القول بخلق القرآن الكريم[3]، وتقرب من أهل السنة، وكرم الإمام أحمد بن حنبل إكراماً زائداً، وعزل قاضي القضاة أحمد بن أبي دؤاد عام 237هـ/ 851م[4]. مما أدى إلى ضعف نفوذ المعتزلة بعد أن كان الاعتزال هو المذهب الرسمي للدولة العباسية في خلافة المأمون، وأصبحت المعتزلة مجرد مذهب قائم انقسم إلى فرق مختلفة، لا نفوذ لهم بسبب موقف المتوكل ضده.

توفي الإمام أحمد بن حنبل في بغداد عام 241هـ/ 855م.

4 ـ بناء قصر الجوسق في سامراء

يعد قصر الجوسق الذي بناه المعتصم بالله داخل مدينة سامراء، المركز الجديد للخلافة العباسية في عهده. وقد زينت جدران القصر بلوحات ملونة، أبرزها لوحة لراقصتين.

---

1 ـ المصدر نفسه، ص 439.

2 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10 ص 342.

3 ـ عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص 241.

4 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 6 ص 101.



راقصتان في لوحة جدارية ملونة

داخل قصر الجوسق في سامراء

ثروت عكاشة: موسوعة التصوير الاسلامي، لوحة رقم 9.

5 ـ هزيمة البيزنطيين في عمورية (223هـ/ 838م)

أغـار الامبراطـور البيزنطـي تيوفيـل عـلى الحصون العباسـية القريبة مـن حدود الدولة العباسـية، فدمـر مدينـة أزوبطـرة وأحرقهـا، بعـد أن أبـاد المئات من سـكانها، في مذبحة رهيبة[1]. ثـم تقدم نحو سـمياط وأحرقها.

غضـب المعتصـم باللـه، لأن أزوبطـرة هـي مسـقط رأس والدته التركيـة ماردة، كما بلغـه أن امرأة هاشـمية وقعـت في الأسر وهـي تسـتغيث به: وامعتصـماه. هذا في الوقت الـذي كان فيه الامبراطور البيزنطـي يتابـع اغاراتـه على ملطيـة وغيرها من الحصون العباسـية.

كان المعتصـم باللـه رجـل حـرب وقائداً عسـكرياً من الطـراز الأول، لذلك كان رده سريعـاً، فأعلن الجهـاد[2]، ليقـود بنفسـه جيشـاً كبـيراً لم يجهـز مثلـه خليفـة قـط مـن السـلاح وآلـة النـار والنفـط[3]، وقيـل إن اسـم عموريـة كان منقوشـاً عـلى درع كل جنـدي من جنـوده، حينما اختـار عمورية، لأنها مسـقط رأس والـد الامبراطـور البيزنطـي تيوفيـل، وهـي أمنع الحصـون البيزنطيـة في الأناضول. وقد جعـل عـلى مقدمـة الجيـش القائـد جعفر بن دينـار، وعلى القلب عجيف بن عنبسـة، وتـولى القائد افشـين مناوشـة البيزنطيـين قبـل بدء المعركـة الفاصلة.

تـولى ياطـس قيـادة الجيـش البيزنطـي، لأن الامبراطـور تيوفيـل اضطر للعـودة إلى القسـطنطينية التـي شـهدت اضطرابـات عسـكرية، فلـم يتمكـن مـن مواجهـة الحصـار العبـاسي لمدينـة عموريـة، وبخاصـة بعـد إحـداث ثغـرة في السـور، نفـذ منهـا الجنـد العباسـيون، واقتحموهـا عنوة.

---

1 ـ مجهول: العيون والحدائق، ص 28.

اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 3 ص 129.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 14.

3 ـ مجهول: العيون والحدائق، ص 30، 31.

انتقم المعتصم بالله على مذابح أزوبطرة، فخرب عمورية، وقتل وأسر من فيها[1]. ويبدو أنه كان ينوي متابعة زحفه نحو القسطنطينية[2]، لذلك أسرع الامبراطور تيوفيل يطلب النجدة من غرب أوروبا، لكن المعتصم بالله عاد إلى سامراء، بعدما علم بمؤامرة تدبر لخلعه، فاستقبل استقبال كبار الفاتحين[3].

6 ـ القضاء على حركة العباس بن المأمون (223هـ/ 838م)

كان المعتصم بالله يريد مواصلة تقدمه في الأراضي البيزنطية، بعد انتصاره في عمورية، حتى يصل إلى القسطنطينية، لكنه اضطر للعودة سريعاً إلى سامراء، بعد اكتشافه المؤامرة التي أعدها القائد العربي عجيف ابن عنبسة الذي استاء من نفوذ القادة الأتراك، لينضم إليه ابن أخيه العباس بن المأمون مطالباً بالخلافة. وتعد هذه المؤامرة بمثابة حركة عربية للتخلص من النفوذ التركي في عهده، كادت أن تنجح حينما استغلت فرصة انشغال المعتصم بالله في حربه ضد البيزنطيين، لكن افتضاح أمرها عجل بالقضاء عليها، وتم القبض على العباس بن المأمون وعجيف بن عنبسة، ومنع عنهما الماء إلى أن ماتا[4].

وكان فشل هذه الحركة العربية، حافزاً إلى إمعان الأتراك في إقصاء العرب والفرس تدريجياً عن المناصب الكبيرة ومراكز النفوذ، حتى دانت لهم السيطرة الكاملة على الخلافة العباسية، خاصة أن المعتصم بالله، توفي بعد ثلاثة أعوام من وقعة عمورية، وذلك في 8 ربيع الأول 227هـ/ 5 كانون الثاني 842م، وهو في

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 57.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 3 ص 373، 374.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 247 ـ 250.

4 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 71. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 251.

التاسعة والثلاثين[1] وقيل في السابعة والأربعين[2]، فخلفه ابنه الواثق بالله.

7 ـ الخليفة التاسع الواثق بالله واستمرار الاعتماد على الأتراك

(227 ـ 232هـ/ 841 ـ 846م)

تميزت خلافة الواثق بالله، التي استمرت خمسة أعوام وتسعة أشهر وخمسة عشر يوماً، بأنها فترة هدوء نسبي، تمكن خلالها من القضاء على الثورات الداخلية المناوئة للخلافة، مثل ثورة القيسية في دمشق، وتمرد القبائل العربية مثل بني سليم في المدينة المنورة، وبني نمير في اليمامة، معتمداً على قائده التركي أبغا الكبير.

وفي عام 231هـ/ 845م، وافق الواثق بالله على عملية تبادل الأسرى مع البيزنطيين، فوق جسرين على نهر اللامس قرب طرسوس، أقام العباسيون أحدهما، وأقام البيزنطيون الجسر الآخر، فكان العباسيون يرسلون الأسرى البيزنطيين على جسرهم، ويرسل البيزنطيون الأسرى العباسيين على جسرهم، حتى تم فداء 4600 أسير. وقد اعتمد الواثق بالله على الخادم التركي «خاقان» في تنفيذ هذه العملية التي تعد أهم حدث في سياسته الخارجية.

اتبع الخليفة الواثق بالله، سياسة أبيه المعتصم بالله، في الاعتماد على الأتراك الذين تزايدت أعدادهم، وشغلوا المناصب الكبيرة في الدولة ليبدأ معهم مرحلة عباسية جديدة، هي المرحلة الثالثة التي تمثل حقبة النفوذ التركي، مع عهد الخليفة المتوكل على الله.

ويعد قصر الهاروني الذي بناه الواثق في مدينة سامراء من أجمل قصور

---

1 ـ الدينوري: الأخبار الطوال، ص 595.

2 ـ ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج 6 ص 524.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 7 ص 315.

الخلفـاء العباسـيين. ويضـم الرواق الأوسـط فيـه قبة مرتفعة في السـماء كأنها بيضة فيـما ترى العين حولهـا، وتسـمى قبـة المنطقـة، وفي وسـطها سـاج منقـوش مغـشى بالـلازورد والذهـب[1]. وقـد عرف هـذا القـصر بقـصر الهـاروني نسـبة إلى اسـم الخليفة الواثـق بالله وهـو هارون بـن محمد.

تـوفى الواثـق باللـه في 6 ذي الحجـة 232هــ/ 846م، وكان في السادسـة والثلاثـين، وقـد مـر قـرن كامـل عـلى قيـام الدولـة العباسـية، انتهـى معـه دور الخلفاء العباسـيين «العسـكريين» الذيـن كانوا يقـودون الجيـوش بأنفسـهم لتبـدأ مرحلـة جديـدة، تـولى فيهـا القـادة الأتـراك غـير العـرب قيـادة الجيـوس والسـيطرة عـلى مقاليـد الأمور.

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك ج 11 ص 10.

المرحلة الثالثة

النفوذ التركي

(232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م)

1 ـ المتوكل على الله، جعفر بن المعتصم	(232هـ/ 846م)
2 ـ المنتصر بالله، محمد بن المتوكل	(247هـ/ 861م)
3 ـ المستعين بالله، أحمد بن المعتصم	(248هـ/ 862م)
4 ـ المعتز بالله، أحمد بن المتوكل	(252هـ/ 866م)
5 ـ المهتدي بالله، محمد بن الواثق بن المعتصم	(255هـ/ 869م)
6 ـ المعتمد على الله، أحمد بن المتوكل	(256هـ/ 870م)
7 ـ المعتضد بالله، أحمد بن الموفق بن المتوكل	(279هـ/ 892م)
8 ـ المكتفي بالله، علي بن المعتضد	(289هـ/ 902م)
9 ـ المقتدر بالله، جعفر بن المعتضد	(295هـ/ 908م)
10 ـ القاهر بالله، محمد بن المعتضد	(320هـ/ 932م)
11 ـ الراضي الله، أحمد بن المقتدر	(322هـ/ 934م)
12 ـ المتقي لله، إبراهيم بن المقتدر	(329هـ/ 940م)
13 ـ المستكفي بالله، عبد الله بن المكتفي	(333 ـ 334هـ/ 944 ـ 945م)

الفصل السابع

تلاعب القادة الأتراك بالخلافة في فترة الفوضى العسكرية

(232 ـ 256هـ/ 846 ـ 870م)

مهـد المعتصـم باللـه وابنـه الواثـق باللـه لنفـوذ القـادة الأتـراك، بالاعتـماد على هـذا العنصر غير العـربي، علـماً أن جميـع أمهـات خلفـاء هـذه المرحلـة الثالثـة هن غـير عربيات.

وأصبحـت سـامراء حيـث نفـوذ القـادة الأتـراك، مركـزاً للخلافـة العباسـية بـدلاً مـن بغـداد. وقد حـاول المتـوكل عـلى اللـه التخلـص مـن نفوذ القـادة الأتـراك، فلم يفلـح، وانتهـى قتلاً عـام 247هـ/ 861م.

بمقتـل المتـوكل عـلى اللـه، ومبايعـة ابنـه المنتـصر باللـه بالخلافـة، دخلـت الدولـة العباسـية فترة تلاعـب القـادة الأتـراك بالخلافـة، وهي فترة الفوضى العسـكرية التي بـرز فيها بعض القـادة الأتراك مثـل: بغـا الكبـير، وصيـف، أتاقـش، باغـر، ومـوسى ابـن بغـا الذيـن اسـتضعفوا الخلفـاء، وأصبـح الخليفـة في يدهـم كالأسـير إن شـاؤوا أبقـوه، وإن شـاؤوا خلعـوه، وإن شـاؤوا قتلـوه[1].

وهكــذا تخلــص الأتــراك مــن المنتــصر باللــه قبــل أن يتخلــص منهــم[2]، وأخــذوا

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 243.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 134.

يسـوقون الخلافـة مـن خليفـة إلى خليفـة، دون أن يتورعـوا عـن خلـع ثم قتـل من لم يأتمـر بأمرهم. فقتلـوا المنتـصر باللـه عـام 248هــ/ 862م، والمسـتعين بالله عام 252هــ/ 866م[1]، والمعتـز بالله عام 255هــ/ 869م[2]، والمهتدي بالله في السـنة التاليـة 256هـ/ 870م[3].

1 ـ الخليفة العاشر المتوكل على الله

(232 ـ 247هـ/ 846 ـ 861م)

أ ـ سقوط المعتزلة (234 ـ هـ/ 848م)

سـيطرت المعتزلـة سياسـياً، عهـد الخليفـة المأمـون الـذي حـاول تكريـس مذهـب رسـمي، يكون سـنياً بطبيعتـه معتزليـاً بتفسـيره، أي مذهب وسـط بين أهـل الحديث «السـنة» والشـيعة العلوية. لكـن المأمـون ومـن بعـده المعتصـم باللـه ثم الواثـق باللـه، أخطـأوا بإتباع سياسـة العنف والشـدة ضـد المخالفـين لمذهـب الدولـة الرسـمي أي «الاعتـزال»، وهـي السياسـة التـي بلغـت الـذروة مـع تعذيـب الإمـام أحمـد بـن حنبـل عهـد المعتصـم باللـه، وهو أحـد الأئمـة الأربعـة عند أهل السـنة.

لذلـك أصـدر المتـوكل عـلى الله، مرسـوماً عام 234هــ/ 848م، أعلن فيـه إنهاء المحنة[4]، فسـقطت المعتزلـة سياسـياً، دون أن تتعـرض للاضطهـاد، كـما فعلـت هــي في العهـود الثلاثة التي سـبقت عهد المتوكل عـلى الله.

ب ـ اضطهاد الامام العاشرعلي الهادي العسكري (237هـ/ 851م)

خـشي المتـوكل عـلى اللـه مـن قـوة العلويـين، فأمـر بهـدم قـبر الحسـين بـن عـلي عليهـما

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل واللوك، ج 9 ص 348 ـ 354.

2 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 341، 342.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 456 ـ 469.

المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 97.

4 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10، ص 215.

السلام في كربلاء، عام 237هـ/ 851م، وهدم ما حوله من المنازل والدور[1].

كما عمد إلى اضطهاد الإمام العاشرعلي الهادي، فاستدعاه من المدينة المنورة إلى سامراء المعروفة بمدينة العسكر، وأجبره على الإقامة فيها ليحمل لقب «العسكري» نسبة إليها.

وقد أقام الإمام علي الهادي العسكري في سامراء حتى وفاة المتوكل على الله عام 247هـ/ 861م.

جـ ـ شجاع أم المتوكل

كانت شجاع أم المتوكل، جارية خوارزميه، تزوجها المعتصم، لتصبح أم ابنه المتوكل. وكانت تعطف على النصارى، فجعلت سلمة بن سعيد كاتباً لها[2]، وهو نصراني أصله من الأنبار. وتكاثر النصارى في خدمة شجاع وفي بطانة الخليفة المتوكل وأقاربه، وفي الدواوين، حتى زاد عددهم على الحد.

وتابعت مخارق أم المستعين بالله وأصلها جارية صقلبية، سياسة شجاع أم المتوكل في الاعتماد على النصارى[3]، وجعلت أيضاً سلمة بن سعيد كاتباً لها.

وبدعم من شجاع ابتدع المتوكل نوعاً من القصور يسمى الحيري له بابان صغيران يتوسطهما الباب الكبير.

د ـ الشواعر والمغنيات

كان عدد الجواري الشواعر أكثر من عدد الحرائر الشواعر. وتعود غلبة الجواري على الحرائر في الشعر والغناء، إلى التنافس بين النخاسين حول صقل أذهان الجواري وتعليمهن صنوف الآداب والفنون، حتى يكتمل الجمال مع الفن

---

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 237.

2 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 3 ص 100 ـ 104.

3 ـ ابن العبري: تاريخ الزمان، ص 42.

والشعر، لتصل أخبارهن إلى أسماع الخلفاء والأمراء، فيشرونهن بأغلى الأثمان.

وقيل إن حريم الخليفة هارون الرشيد، ضم أكثر من ألفي جارية[1]، في حين اشتمل حريم ابنه عبد الله المأمون على مائتي جارية فقط[2]، وترك المعتصم بالله ثمانية آلاف جارية، في حين ضم حريم ابنه المتوكل على الله أربعة آلاف جارية[3]، وأشهر جواري المتوكل ثلاث، هن: فضل اليمامية، سعاد، بنان، ومحبوبة.

ولدت فضل في اليمامة، ونشأت في البصرة، وقد اشتراها محمد بن الفرج الزخجي، وأهداها إلى المتوكل[4]. وهي سمراء، حسنة الوجه، أديبة، فصيحة، مطبوعة في قول الشعر، والقدرة على كتابة الرسائل[5].

أما سعاد، فهي من مولدات اليمامة أيضاً، اشتراها المتوكل عن طريق وزيره الفتح بن خاقان. وكثيراً ما اجتمعت الشواعر الثلاث: فضل وسعاد وبنان في مجلس المتوكل، يقارضن الشعراء بحضرته.

وأهدى عبد الله بن طاهر إلى المتوكل، الشاعرة محبوبة التي نشأت في الطائف، وكانت حسنة الوجه والغناء[6].

أما فريدة المحسنة، فقد عرفت كذلك لأنها كانت محسنة، وكانت حسنة الوجه والغناء، أهداها المغنى عمرو بن بانة، إلى الخليفة الواثق، ويبدو أن أخاه المتوكل، كان يميل إليها، قبل توليه الخلافة، فلما مات الواثق، زاد اعجاباً بها، فتزوجها، وولدت له ابنه أبا الحسن[7].

---

1 ـ الأصفهاني: الأغاني، ج 10 ص 172.

2 ـ السيوطي: المستظرف في أخبار الجواري، ص 69.

3 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 30.

4 ـ الأصفهاني: الاماء الشواعر، ص 49 ـ 71.

5 ـ الأصفهاني: الأغاني، ج 18 ص 167.

6 ـ المصدر نفسه، ج 19 ص 311.

7 ـ السيوطي: المستظرف في أخبار الجواري، ص 49

ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص 100.

هـ ـ دور قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز

تعتبر قبيحة[1] (ت 264هـ/ 877م) أول امرأة في البلاط العباسي الثاني، أدت دوراً سياسياً، فهي من ربات السياسة والدهاء والنفوذ والسلطان.

والمتوكل على الله هو الذي سمى زوجته «قبيحة» لجمال صورتها، ما يعني أن اسمها من أسماء الأضداد، لا يعكس صورتها الحقيقية، فهي من أجمل نساء عصرها[2].

وقد برز دورها السياسي حينما تمت البيعة بولاية العهد لابنها المعتز. فقد كان المتوكل في بداية عهده، يؤثر ابنه المنتصر على غيره من أبنائه فولاه اليمن والحرمين والطائف عام 233هـ/ 847م[3]. وحاول تكريس البيعة والخلافة في نسله، فجعل ولي عهده الذي يليه ابنه الأكبر المنتصر، ثم ابنه أبا عبد الله الزبير ولقبه المعتز بالله، ثم ابراهيم ولقبه المؤيد بالله، وقسم بينهم أقاليم الدولة[4].

ويبدو أن الدور السياسي الذي أدته قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز بالله، غلب على دور سائر النساء في عهد المتوكل، باستثناء أم المتوكل، وهي خوارزمية يقال لها شجاع.

وما لبث الخلاف أن دب بين الخليفة المتوكل وابنه المنتصر، بسبب ميله إلى

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 341. ابن الجوزي: المستظرف في أخبار الجواري، ص 57.

ابن الساعي: نساء الخلفاء، ص 125 ـ 127.

2 ـ الثعالبي: لطائف المارف، ص 46.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 162ـ 163.

ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج 11 ص 195.

4 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 487. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 175 ـ 180.

ابنـه الآخـر المعتـز، نتيجـة حبه الشـديد لزوجته قبيحـة أم المعتز التـي ظلت تؤثر عليـه حتى يقدم ابنهـا المعتـز في ولايـة العهـد عـلى ابنـه الأكـبر المنتـصر[1]. ومهـد المتـوكل لذلـك، اثنـاء مرضـه، فقـدم المعتـز ليصـلي بالناس[2].

وبذلـك نجحـت قبيحـة في جعـل المتـوكل يميـل إلى ابنهـما المعتـز، مسـتغلة تـردي العلاقـة بـين المتـوكل وابنـه المنتـصر، بسـبب الخـلاف المذهبـي. لقـد كان المنتـصر محسـناً للعلويين أتبـاع الامام عـلي بـن أبي طالـب، في حـين كان ندمـاء المتـوكل، وفي طليعتهـم عُبـادة المخنـث، يسـتهزئون بالإمام عـلي. وعندمـا هـدد المنتـصر ندمـاء أبيـه، عمد المتـوكل إلى شـتم ابنه والاسـتخفاف بـه[3]. ولم يكتف بذلـك، بـل أمـر وزيـره الفتـح بـن خاقان بلطمـه، ثم قـال: اشـهدوا أني قد خلعتـه من ولايـة العهد.

و ـ قتل المتوكل على الله (4 شوال 247هـ/ 11 كانون الأول 861م)

حـاول المتـوكل عـلى اللـه، الوقـوف في وجه النفـوذ التركي، بنقل العاصمة من سـامراء إلى دمشـق، لكـن الأتـراك أرغمـوه على العودة إلى سـامراء[4]. كما بنى مدينة جديدة سـميت باسـمه «الجعفرية» و «المتوكليـة»، قـرب سـامراء التـي كادت تخـرب، عـلى أثـر انتقـال المتـوكل إلى مدينتـه الجديـدة، بهـدف تقليـص نفوذ القـادة الأتراك.

وقـد أمـر المتـوكل، والي بغـداد بسـجن القائـد الـتركي ايتـاخ بعـد عودتـه مـن الحـج،

---

1 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج 1 ص 350.

الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 2 ص 290.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 350.

2 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 222، 223.

ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج 11 ص 356.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 225.

4 ـ ابن طباطبا: الفخري الآداب السلطانية، ص 237.

ليموت في السجن عام 235هـ/ 849م وفشلت محاولته لقتل القائد بغا الكبير والحاجب وصيف، بعد أن شكل فرقة عسكرية جديدة خالية من العنصر التركي، بقيادة ابنه المعتز ووزيره عبد الله بن يحيى بن خاقان، وتضم اثني عشر ألفاً من العرب والصعاليك[1].

شعر القادة الأتراك بخطورة السياسة التي اعتمدها المتوكل على الله تجاههم، فاستغلوا النزاع القائم بينه وبين ابنه المنتصر بالله، لتدبير مؤامرة قتله، وتولي ابنه المنتصر بالله الخلافة حتى يعود إلى سامراء معقل الأتراك. وشارك المنتصر بالله[2] في المؤامرة التي أعدها الأتراك لقتل أبيه، ليلة الأربعاء 4 شوال 247هـ/ 11 كانون الأول 861م، بعدما استمر عهد المتوكل طيلة خمسة عشر عاماً.

2 ـ الخليفة الحادي عشر المنتصر بالله (247 ـ 248هـ/ 861 ـ 862م)

وهكذا دبر القادة الأتراك بالاتفاق مع المنتصر، مؤامرة قتل المتوكل وهو في مجلس لهو وشرب، وقتل معه وزيره الفتح بن خاقان، وبويع المنتصر بالله بالخلافة ليلة مقتل أبيه في 4 شوال 247هـ/ 11 كانون الأول 861م.

أ ـ قيام الدولة اليعفرية في صنعاء (247هـ/ 861م)

تنسب الدولة اليعفرية (247 ـ 387هـ/ 861 ـ 997م) إلى يعفر بن عبد الرحيم الذي كان والده عبد الرحيم بن إبراهيم والياً للمعتصم بالله على نجد واليمن وصنعاء، فلما توفى قام يعفر مكانه، وما لبث أن أعلن استقلاله في صنعاء عام 247هـ/ 961م، ليستمر ملك صنعاء في ذريته حتى عام 387هـ/ 997م[3]، أي

---

1 ـ ابراهيم أيوب: التاريخ العباسي السياسي والحضاري، ص 105.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 32.

3 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 253.

طيلة مائة وأربعين سنة.

بعد وفاة يعفر بن عبد الرحيم، تعاقب على ملك صنعاء سبعة، هم: محمد بن يعفر عام 259هـ/ 872م، عبد القادر أحمد بن يعفر عام 279هـ/ 892م، إبراهيم بن محمد عام 279هـ/ 892م، أسعد بن إبراهيم للمرة الأولى عام 285هـ/ 898م، وسيطر أئمة صنعاء والقرامطة على الحكم طيلة خمس عشرة سنة (288 ـ 303هـ/ 900 ـ 915م)، عاد بعدها أسعد بن إبراهيم ليتولى الحكم للمرة الثانية عام 303هـ/ 915م، ثم خلفه محمد بن إبراهيم عام 332هـ/ 943م، وعبد الله بن قحطان عام 352هـ/ 963م.

ب ـ وفاة المنتصر بالله (5 ربيع الثاني 248هـ/ 7 حزيران 862م)

إذا كانت قبيحة، قد نجحت في جعل زوجها المتوكل يخلع ابنه الأكبر من ولاية العهد لتجعل ابنها المعتز بالله، ولياً للعهد، إلا أنها فشلت، في جعل ابنها خليفة، إثر مقتل أبيه المتوكل، حيث آلت الخلافة إلى الابن الأكبر لزوجها، أي المنتصر بالله، عام 247هـ/ 861م.

لم يحكم المنتصر بالله سوى ستة أشهر[1]، وقد تندم على اشتراكه مع الأتراك في مؤامرة قتل أبيه المتوكل، فعزم على تفريق جمع القادة الأتراك، وأخذ يهددهم، قائلاً: هؤلاء قتلة الخلفاء[2]. وبذلك، خاف الأتراك على أنفسهم منه، فوجدوا الفرصة سانحة لقتله عند مرضه.

فعلى الرغم من وقوف حبشية، وهي رومية تزوجها المتوكل، إلى جانب ابنها

---

1 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 293. الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 254.

المسعودي: التنبيه والاشراف، ص 330، ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 319.

2 ـ ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج 12 ص 16.

الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 2 ص 289. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 357.

المنتصر بالله اثناء مرضه، كما وقفت في مواجهة ضرتها قبيحة حتى أمنت الخلافة له، إلا أنها لم تستطع الوقوف في وجه الأتراك الذين أوعزوا إلى طبيبه الخاص ابن الطيفوري، فسممه.

وقال المنتصر بالله لأمه حبشية، عندما اشتد عليه مرضه: «ذهبت والله مني الدنيا والآخرة[1]، عاجلت أبي، فعوجلت»[2]. وهكذا تخلص الأتراك من المنتصر بالله قبل أن يتخلص منهم، وأصبح ابن عمه المستعين بالله خليفة في 5 ربيع الآخر 248هـ/ 7 حزيران 862م، وذلك بتدبير من القادة الأتراك، لكي لا يتولى الخلافة أحد من أبناء المتوكل، فيأخذ بثأر أبيه منهم[3]. وبذلك لم يستمر عهد المنتصر بالله سوى ستة أشهر فقط، دون أن تنفعه المؤامرة التي عجلت بقتل أبيه المتوكل.

3 ـ الخليفة الثاني عشر المستعين بالله بن المعتصم (248 ـ 252هـ/ 862 ـ 866م)

تولى المستعين بالله[4] الخلافة في 5 ربيع الآخر 248هـ/ 7 حزيران 862م، واستمرت خلافته ثلاثة أعوام وثمانية أشهر وثمانية وعشرين يوماً، إلى أن تم خلعه يوم الجمعة 4 محرم 252هـ/ 25 كانون الثاني 866م.

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 252. ابن كثير: البداية والنهاية، ج 10 ص 353.

2 ـ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج 2 ص 289.

المسعودي: التنبيه والاشراف، ج 2 ص 494.

3 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 9 ص 256.

4 ـ المستعين بالله (248 ـ 252هـ/ 862 ـ 866م): أبو العباس أحمد بن المعتصم بالله، وأمه مخارق، ولد عام 221هـ/ 835م، تولى الخلافة بعد وفاة المنتصر بالله عام 248هـ/ 862م، ثم خلع نفسه من الخلافة عام 252هـ/ 866م وبايع المعتز بالله، واقام المستعين بالله في البصرة.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 358، 359.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 11، ص 146 ـ 150.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج 2، ص 124، 125.

وفي عهد المستعين بالله، خرج على الخلافة إثنان من الزيدية، هما: يحيى بن عمر والحسن بن زيد.

أ ـ ثورة يحيى بن عمر (250هـ/ 864م)

ظهر يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في الكوفة، عام 250هـ/ 864م، واجتمع عليه الناس، وتولاه العامة. وتمكن العباسيون من القضاء على حركته، وقتله[1].

وجلس أمير بغداد محمد بن عبد الله بن طاهر، يتقبل التهنئة، فدخل عليه أبو هاشم الجعفري، قائلاً: إنك لتهنأ بقتل رجل، لو كان رسول الله ﷺ حياً، لعزي به[2].

ب ـ إقامة الدولة الزيدية في طبرستان (250هـ/ 864م)

كان الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن ابن علي، مقيماً بالري حينما تمكن محمد بن عبد الله بن طاهر من الانتصار على يحيى بن عمر بالري في الكوفة وكافأه المستعين بالله بجملة قطائع منها قطيعة قرب ثغرى طبرستان من نواحي الديلم حيث ضجر أهلها من عمال طبرستان، فاتفقوا على الحسن بن زيد، فبايعه رؤساء الديلم وطردوا العمال.

زحف الحسن بن زيد على مدينة آمل وهي حاضرة طبرستان، واستولى على بلاد طبرستان[3] وكذلك الري، عام 250هـ/ 864م، وبذلك أسس الدولة الزيدية في طبرستان لتستمر أكثر من قرن كامل بنحو خمس سنوات (250 ـ 355هـ/ 864 ـ 965م).

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 126.

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 2، ص 240.

2 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 126.

3 ـ المصدر نفسه، ج 5، ص 316، 317.

وبوفاة الحسن بن زيد عام 270هـ/ 883م، تولى الحكم محمد بن زيد القائم بالحق، الذي قتل على يد الدولة السامانية عام 249هـ/ 892م، فحكمت طبرستان اثنتين وعشرين سنة حتى استردها الحسن الأطروش بن علي بن عمر بن زين العابدين عام 301هـ/ 913م، وخلفه الحسن بن القاسم بن علي بن عبد الرحمن عام 304هـ/ 916م، ونازعه الحكم أولاد الحسن الأطروش حتى انتهى الحكم الزيدي في طبرستان عام 355هـ/ 965م[1].

4 ـ الخليفة الثالث عشر المعتز بالله بن المتوكل (252 ـ 255هـ/ 866 ـ 869م)

انقسم القادة الأتراك بين مؤيد للخليفة المستعين بالله في بغداد، وبين المعتز بالله الذي أخرج من الحبس في سامراء، وبويع بالخلافة[2]، لتندلع الحرب بينهما. ورجحت كفة المعتز بالله بعد انضمام كبار القادة الأتراك إليه.

تم خلع المستعين بالله من الخلافة يوم الجمعة 4 محرم 252هـ/ 25 كانون الثاني 866م. وسار إلى واسط ومعه أمه مخارق وسائر أهله ليجعلها مقامه. وعندما بويع المعتز في سامراء صادر أموال المستعين وأملاك أمه[3].

ويبدو أن قبيحة أم المعتز بالله، أرادت حصر الخلافة في أبنائها من زوجها المتوكل. فحرضت ابنهما المعتز بالله على إدخال أخيه إبراهيم المؤيد إلى السجن، ليخلعه من ولاية العهد في سامراء في 7 رجب 252هـ/ 866م[4]، ثم أعلن عن موته خلال أيام، وجعل المعتز أخاه لأمه قبيحة وأبيه المتوكل، وهو اسماعيل،

---

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 266.

2 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 284. المسعودي: مروج الذهب، ج 2 ص 540. ابن العماد: شذرات الذهب، ج 2 ص 124.

3 ـ ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج 12 ص 45.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 333.

محل إبراهيم المؤيد في ولاية العهد[1].

وأخذت قبيحة تحرض ابنها المعتز بالله على الأتراك انتقاماً لمقتل زوجها المتوكل على الله عام 247هـ/ 861م، فكانت تقول له: يا بني أقتلهم في كل مكان. وقيل أنها أخرجت إلى المعتز قميص أبيه المتوكل مخضباً بدمائه، فقال لها المعتز: يا أماه ارفعيه وإلا صار القميص قميصين. فعند ذلك أمسكت ولم تعد تطالبه[2] بالايقاع بقتلة أبيه. بعدما أدركت أن ابنها كان من المغلوبين على أمرهم، مستضعفاً من القادة الأتراك، لشدة شوكتهم.

تحكمت قبيحة أم المعتز بأمور الدولة، على غرار القادة الأتراك، فكانت تملك من الأموال والجواهر الكثير. ويستغرب المرء عدم وقوفها إلى جانب ابنها، حينما هجم الأتراك عليه مطالبين بأرزاقهم، وأرسل إلى أمه لكي تمده بالمال اللازم، وهو لا يزيد عن خمسين ألف دينار، فأجابت: ما عندي شيء، مع أنها كانت تملك مليوناً وثمانمائة ألف دينار. وعندما عجز المعتز عن الدفع، ولم يجد الأتراك شيئاً في بيت المال، جروه برجليه وقميصه، وأقاموه في حر الشمس، وهو يرفع قدماً ويضع أخرى، وكتبوا عليه كتاباً بخلع نفسه[3]، في 27 رجب 255هـ/ 11 تموز 869م، ومات بعد ستة أيام فقط من خلعه وتعذيبه ومبايعة محمد بن الواثق «المهتدي بالله» بالخلافة.

وحينما علمت قبيحة بمقتل ابنها المعتز بالله، اختبأت في سرب لها، فبحث عنها الأتراك فلم يظفروا بها. ثم شعرت أن الذي تختفي عنده يطمع في مالها وفي نفسها، ويتقرب بها إلى صالح بن وصيف الذي سبّها قائلاً: عرضت ابنها للقتل في خمسين ألف دينار وعندها هذه الأموال كلها. فقيل أن صالح بن وصيف أخذ

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 362.

2 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1 ص 478، 479.

3 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 9 ص 388 ـ 392.

جميع أموالها، كما قيل أن قبيحة أخذت أموالها وخرجت إلى مكة المكرمة، وأن الذي أخرجها هو المعتز[1].

أقامت قبيحة مدة في مكة المكرمة، ثم عادت إلى سامراء، وتوفت عام 264هـ/ 877م، اي بعد تسع سنوات من مقتل ابنها المعتز.

وهكذا استمرت خلافة المعتز بالله ثلاثة أعوام وستة أشهر وثلاثة وعشرين يوماً انتهت بخلعه ثم وفاته.

5 ـ الخليفة الرابع عشر المهتدي بالله بن الواثق

(255 ـ 256هـ/ 879 ـ 870م)

تولى المهتدي بالله بن الواثق الخلافة بعد خلع المعتز بالله في 27 رجب 255هـ/ 11 تموز 869م، وانتهى بدوره خلعاً على يد الأتراك في 14 رجب 256هـ/ 17 حزيران 870م، فكانت مدة خلافته أحد عشر شهراً وستة أيام فقط، وتوفي بعد أربعة أيام من خلعه.

---

1 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 2 ص 505.

الفصل الثامن

محاولة إعادة هيبة الخلافة العباسية

(256 ـ 295هـ/ 870 ـ 908م)

بـدأ المعتمـد عـلى اللـه محاولـة جديـة لاعـادة هيبـة الخلافـة العباسـية، معتمـداً في ذلـك عـلى أخيـه طلحـة الـذي عهـد إليـه بولايـة العهـد الثانيـة مع لقـب «الموفـق»، ونجـح الموفـق في القضاء عـلى محاولـة الدولـة الطولونيـة نقـل مقر الخلافة العباسـية من سـامراء إلى مصر، وقـضى على ثورة الزنـج، فأعـاد هيبـة الخلافة العباسـية.

وتابـع الخليفـة المعتضـد باللـه هذه السياسـة، وأمر بنقـل مقر الخلافة العباسـية من سـامراء إلى بغـداد التـي عـادت إلى عـز ازدهارهـا، لتنعـدم هيبـة الخلافـة مجـدداً مع نهايـة عهد ابنـه المكتفي باللـه، وعهد المقتـدر بالله.

1 ـ الخليفة الخامس عشر المعتمد على الله ودور أخيه الموفق

(256 ـ 279هـ/ 870 ـ 892م)

بويـع المعتمـد عـلى اللـه بـن المتـوكل بالخلافـة، مـن غـير عهـد سـابق، يـوم الثلاثـاء 16 رجـب 256هــ/ 19 حزيـران 870م، واسـتمرت خلافتـه طيلة ثلاثـة وعشرين عاماً وثلاثة ايـام انتهت بوفاته ليلـة الاثنـين 19 رجـب 279هــ/ 15 تشريـن الأول 892.

كان المعتمد على الله ضعيفاً أمام نفوذ القادة الأتراك على غرار الخلفاء الأربعة الذين سبقوه، ومن حسن حظه أن دب الخلاف بين القادة الأتراك أنفسهم، فاتفقوا على أن يتولى أمرة الجيش أحد أخوة الخليفة، دون أن يتولاها أحد من الأتراك، فاستدعى المعتمد على الله أخاه طلحة من مكة المكرمة، وعهد إليه بولاية العهد الثانية مع لقب «الموفق»، بعد أن جعل ولاية العهد الأولى لابنه جعفر المعتمد[1]. فكان ذلك من حسن حظ الخلافة العباسية، لأن الموفق كان أقوى شخصية من أخيه المعتمد، فاستبد بالأمور.

أ ـ قيام الدولة الصفارية «الفارسية» في خراسان (259هـ/ 872م)

تنسب الدولة الصفارية إلى يعقوب بن الليث الصفار الذي راوده حلم إحياء دولة الفرس القديمة، منذ أن أصبح والياً على إقليم سجستان والمناطق المجاورة، ليقضي على الدولة الطاهرية في خراسان، حينما دخل نيسابور عام 259هـ/ 872م، متحدياً الخليفة العباسي المعتمد على الله الذي كان يعتمد على الطاهريين، واحتل فارس[2].

اشتد ضغط يعقوب بن الليث الصفار على الخليفة العباسي المعتمد على الله، حينما احتل الأهواز، واستعد لدخول العراق مطالباً أن يصدر تقليداً بحكم خراسان وكرمان وسجستان والسند والشرطة ببغداد[3]، فأجابه إلى مطلبه. وبذلك أوشك أن يؤسس دولة فارسية مستقلة في معظم أرجاء فارس، تصل حدودها إلى داخل العراق، وهذا ما دعا الخليفة العباسي المعتمد على الله إلى دعم قوة فارسية ناشئة في اقليم ما وراء النهر وهي الدولة السامانية التي كانت تابعة لولاة خراسان، فاعترف بها كدولة مستقلة استقلالاً ذاتياً عام 261هـ/ 874م، ليهدد بها الدولة

---

1 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 363.

2 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 243.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 368، 369.

الصفارية. فتحرك يعقوب بن الليث نحو بغداد لإخضاع الخلافة العباسية، فخرج الخليفة المعتمد على الله لقتاله ومعه أخوه الموفق الذي يتولى قيادة الجيش. وحينما التقى الجيشان، انضم جنود يعقوب بن الليث إلى الخليفة، فحلت الهزيمة بيعقوب[1]، وفر إلى سجستان في نفر قليل .

استمرت الدولة الصفارية، حتى تمكن أحمد بن إسماعيل الساماني من القضاء عليها نهائياً عام 298هـ/ 904م، لتحل دولة فارسية أخرى مكانها، هي الدولة السامانية[2].

ب ـ قيام الدولة السامانية «الفارسية» في إقليم ما وراء النهر (261هـ/ 874م)

تنسب الدولة السامانية إلى سامان خدات الفارسي أحد أشراف مدينة بلخ الذي أسلم على يد والي الأمويين في خراسان أسد بن عبد الله القسري، فسمى ابنه أسداً تيمناً باسمه. ثم ولى الخليفة العباسي المأمون أبناء أسد بن سامان الأربعة على بعض ولايات إقليم ما وراء نهر جيحون، عام 204هـ/ 819م، مثل سمرقند التي تولاها نوح بن أسد، وفرغانة التي تولاها أحمد بن أسد، والشاش وأشروسنة اللتين تولاهما يحيى بن أسد، وهراة التي تولاها إلياس بن أسد.

وأصبحت هذه الولايات في إقليم ما وراء النهر، تابعة للدولة الطاهرية. وقد خلف نصر أباه أحمد بن أسد على سمرقند، وما لبث الخليفة العباسي المعتمد على الله أن ولاه على إقليم ما وراء النهر بأكمله منفصلاً عن خراسان عام 261هـ/ 874م، بهدف الوقوف في وجه الدولة الصفارية بعد أن دخل مؤسسها يعقوب بن

---

1 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2، ص 316.

2 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 178.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1، ص 321.

الليث إلى حاضرة الدولة الطاهرية نيسابور عام 259هـ/ 872م.

وبوفاة نصر بن أحمد الساماني عام 279هـ/ 892م خلفه أخوه إسماعيل بن أحمد الساماني، فأنزل الهزيمة بالدولة الصفارية وضم أراضيها في خراسان وسجستان، كما ضم طبرستان، وأصبحت بخارى حاضرة الدولة السامانية[1].

حرصت الدولة السامانية على التمسك بطاعة الخلافة العباسية، ما جعلها تستمر نحو من 125عاماً، وكان آخر حكامها عبد الملك الثاني بن نوح الثاني الذي زالت الدولة السامانية في عهده على يد الدولة الغزنوية «التركية»[2].

ج ـ غيبة الإمام الثاني عشر «محمد المهدي المنتظر» (265هـ/ 879م)

توفي الإمام الحادي عشر الحسن العسكري عام 260هـ/ 874م[3]، فأصبح ابنه محمد الإمام الثاني عشر الذي غاب عام 265هـ/ 879م، ليطلق عليه الشيعة الاثنا عشرية اسم المهدي المنتظر وصاحب الزمان الذي سيظهر ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً بعد أن يعجل الله ظهوره بعد غيبته.

د ـ محاولة الدولة الطولونية نقل مقر الخلافة العباسية إلى مصر (269هـ/ 882م)

ولد أحمد بن طولون[4] في مدينة سامراء في عهد المعتصم عام 220هـ/ 835م،

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 583.

2 ـ المصدر نفسه، ج 9، ص 54 ـ 56.

3 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 110.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 373.

4 ـ أحمد بن طولون (220 ـ 270هـ/ 835 ـ 884م):

تركي مستعرب، تفقه وتأدب عند الخليفة المتوكل إلى أن ولي إمرة دمشق ثم مصر عام 254هـ/ 868م. مرض في أنطاكية، وتوفي في مصر.

الزركلي: الإعلام، ج 1 ص 140.

وقيـل أن طولـون تبنـاه ولم يكـن ابنـه. وقـد نشـأ نشـأة عسـكرية في سـامراء، كـما درس العلـوم الدينيـة والفقهيـة في بغـداد وطرسـوس، وهـما مـن أهـم المراكـز العلميـة في ذلـك الوقـت.

وبعـد وفـاة والـده طولـون تزوجـت أمـه الأمير باكبـاك الذي عينـه الخليفـة العباسي المتـوكل بن المعتصـم واليـاً عـلى مـصر. فأرسـل باكباك أحمد بـن طولون ليتولى باسـمه حكم مصر عـام 254هـ/ 868م، وبعـد فـترة قصيرة قتـل باكبـاك وحـل محلـه في ولايـة مـصر أمـير تـركي آخـر اسـمه ياركوخ. ورأى أحمـد بـن طولـون، لتأمـين مركـزه، أن يتـزوج ابنـة هـذا الـوالي الجديـد، وكانـت نتيجـة هـذا الـزواج أن أقـره صهـره عـلى مصر.

وهكـذا أتيحـت الفرصـة لأحمـد بـن طولـون كي يقيـم في مـصر دولـة مسـتقلة، ولم يكـن يربطـه بالخلافـة سـوى بعـض المظاهر الشـكلية مثـل الدعـاء للخليفة في الخطبـة يوم الجمعة ونقش اسـم الخليفـة عـلى السـكة (النقـود)، وذلك في الفـترة (254 ـ 292هــ/ 868 ـ 905م).

في خـلال حكـم ابـن طولـون وقـع نـزاع بـين الخليفـة العبـاسي المعتمـد وبـين أخيـه وولي عهـده أحمـد الموفـق الـذي اسـتبد بالحكم وسـيطر عـلى أخيه الخليفـة. وفكـر الخليفة المعتمـد في الهرب إلى مـصر للتخلـص مـن سـيطرة أخيـه. ورحـب ابـن طولـون بمـشروع نقـل الخلافـة إلى مـصر لأنـه سـيعود عليـه بالخير والنفـع سـواء مـن الناحيـة السياسـية أو الأدبيـة أو الاقتصاديـة.

لهـذا أرسـل ابـن طولـون إلى الخليفـة المعتمـد عـام 268هــ/ 881م، رسـالة مـع رسـول متخـف يحرضـه فيهـا عـلى القـدوم إلى مـصر ويعـده بالعمـل عـلى حمايتـه ونصرتـه.

انتهــز الخليفــة المعتمــد فرصــة اشــتغال أخيــه الموفــق بإخــماد ثــورة الزنــج، وخــرج مــن مدينــة ســامراء عــام 269هــ/ 882م، متظاهــراً بأنــه يريــد الصيــد وهــو في الواقــع

يريد مصر. غير أن الموفق علم بأمر هذه المحاولة وأمر عامل الموصل برد الخليفة إلى بغداد والقبض على جميع من معه من القواد. وبذلك فشل مشروع نقل الخلافة إلى مصر.

غضب الموفق على أحمد بن طولون، لكنه لم يتمكن من محاربته لانشغاله بحرب الزنج. ولعل سياسة التقرب التي اتبعها أحمد بن طولون نحو الأمويين في الأندلس، كانت من باب الكيد للأمير الموفق وأتباعه العباسيين.

خلف أبو الجيش خمارويه[1]، في عام 270هـ/ 883م، أباه أحمد بن طولون في ولاية مصر والشام وامتد حكمه إثنتي عشرة سنة.

ثم عقد خمارويه صلحاً مع الموفق والخليفة العباسي المعتمد عام 273هـ/ 886م، وتضمن هذا الصلح أن تترك مصر والشام لخمارويه وأولاده من بعده ثلاثين سنة. وبمقتضى هذا الصلح كف خمارويه عن لعن الموفق على المنابر وأمر بالدعاء له مع الخليفة.

ثم ساعدت الظروف خمارويه بموت الموفق عام 278هـ/ 891م، وبموت أخيه الخليفة المعتمد بعده عام 279هـ/ 892م، فخلا له الجو وتوطد سلطانه في مصر والشام.

هـ ـ القضاء على ثورة الزنج (270هـ/ 883م)

الزنج هم من الرقيق السود الذين كلفوا باستصلاح الأراضي في جنوب العراق،

---

1 ـ أبو الجيش خمارويه (270 ـ 282هـ/ 883 ـ 895م): ولد في سامراء عام 250هـ/ 864م، وخلف أباه أحمد بن طولون في حكم مصر والشام عام 270هـ/ 883م، وهو ابن عشرين سنة، وامتدت مملكته من الفرات إلى حدود النوبة. وقتل على يد غلمانه في دمشق عام 282هـ/ 895م، وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة.

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 2 ص 37 ـ 39، 312 ـ 315.

ابن الجوزي: المنتظم، في اخبار الملوك والأمم، ج 5 ص 155.

دون أجور يومية، ومقابل قليل من الطحين والتمر.

وقد أدرك علي بن محمد، الذي لم يكن زنجياً أسود، سوء أوضاع الزنج الاجتماعية والاقتصادية، فادعى الانتساب إلى أحمد بن علي بن عيسى بن زيد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب[1]، وأعلن أنه مرسل من الله لإنقاذ العبيد البائسين والمحرومين، فاستمال قلوب العبيد من البصرة ونواحيها، حتى عظم شأنه وقويت شوكته، ليعرف باسم «صاحب الزنج»، حينما بدأت حركته عام 255هـ/ 869م.

اتبع صاحب الزنج سياسة العنف والرعب بعد سيطرته على البصرة ونواحيها، ليمتد نفوذه إلى الأهواز وعبادان والأبلة وواسط، حيث عمد إلى السلب والنهب وضرب المدن التي احتلها وقتل الكثير من أهلها[2]، فانضم إليه العرب من آل المهلب وآل همدان بهدف الحصول على الغنائم. كما انضمت إليه فرقة العبيد السود في الجيش العباسي، بسبب الانتصارات التي حققها على الجيش العباسي. وتمكن من بناء حاضرة جديدة أطلق عليها اسم «المختارة».

لم يكن صاحب الزنج علوياً، رغم ادعائه النسب إلى الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد دحض المؤرخون هذا النسب ووصفوه بأنه «دعي آل أبي طالب»[3]، ونسبوه إلى قبيلة عبد القيس، وقيل أنه فارسي الأصل.

لم يتحرك الموفق فعلياً، إلا عام 265هـ/ 879م، حينما تحسن وضع الدولة العباسية، فأقام معسكراً للجيش العباسي إزاء المختارة، تحول إلى مدينة سماها «الموفقية» ليحكم الحصار حول المختارة التي ما لبثت وأن سقطت عام 267هـ/ 281م وقتل صاحب الزنج نفسه، وانتهت حركته عام 270هـ/ 883م.

---

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 250.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5، ص 346 ـ 350.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4، ص 208.

3 ـ اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج 3 ص 229.

2 ـ الخليفة السادس عشر المعتضد بالله (279 ـ 289هـ/ 892 ـ 902م)

أ ـ إعادة مركز الخلافة من سامراء إلى بغداد

(279هـ/ 892م)

توفي الموفق عام 278هـ/ 891م، بعد أن أعاد هيبة الخلافة العباسية، في الوقت الذي كان فيه أخوه الخليفة المعتمد على الله ضعيفاً، فتمكن ابنه أبو العباس أحمد ابن الموفق من كسب ثقة الجيش العباسي وإجبار عمه الخليفة المعتمد على مبايعته بولاية العهد ليحمل لقب «المعتضد بالله»، فآلت إليه الخلافة بعد وفاة المعتمد في 19 رجب 279هـ/ 15 تشرين الأول 892م، واستمرت خلافته طيلة تسعة أعوام وتسعة أشهر وثلاثة أيام انتهت بوفاته في 22 ربيع الأول 289هـ/ 15 نيسان 902 م.

حاول المعتضد بالله، ولعله بتأثير من أمه الرومية «ضرار»، إصلاح الخلافة في فترة خلافته التي استمرت تسع سنوات وتسعة أشهر وثلاثة عشر يوماً (279 ـ 289هـ/ 892 ـ 902م). فأصلح نظام جباية الخراج، واهتم بتوسعة المسجد الحرام طيلة ثلاث سنوات (281 ـ 284هـ/ 894 ـ 897م).

كما أمر بنقل مركز الخلافة من سامراء إلى بغداد عام 279هـ/ 892م، ما يعني أن سامراء استمرت عاصمة للخلافة العباسية طيلة ثمان وخمسين سنة هجرية/ ست وخمسين سنة ميلادية، خربت بعدها. وعادت بغداد إلى عز ازدهارها، وأوشكت الخلافة العباسية أن تستعيد قوتها ومجدها، بعدما بنى المعتضد فيها دار الخلافة.

ب ـ زواج المعتضد بالله من أسماء «قطر الندى» بنت خمارويه الطولوني

(281هـ/ 894م)

كان هدف خمارويه بن أحمد بن طولون، من زواج ابنته أسماء المعروفة بقطر

الندى[1] بالخليفة العباسي المعتضد بالله عام 281هـ/ 894م، هو ترسيخ حكمه في مصر وبلاد الشام، بعد فشل محاولة والده أحمد بن طولون في نقل مقر الخلافة العباسية من بغداد إلى مصر عهد الخليفة المعتمد على الله[2]. في حين كان هدف المعتضد بالله من هذا الزواج، إضعاف حكم خمارويه في مصر وارهاق خزينته[3]،

تجلى في هذا الزواج، بذخ العباسيين في بغداد والطولونيين في القطائع.

أقيمت في قصر خمارويه، في القطائع بمصر، الحفلات والمآدب، فارتدت قطر الندى ثوباً من الحرير الأبيض، ووضع على رأسها أكليل من الذهب وطرحة مرصعة بالجوهر، وعلى أذنها قرط ثقيل الوزن على شكل حلقة من الذهب، وفي معصمها سوار من الذهب المرصع بالجوهر. وجلست قطر الندى في صدر القاعة، وجلست أمها عن يمينها، وجدتها مياس عن يسارها[4].

وعندما تحرك موكب قطر الندى من القطائع نحو بغداد، كان خمارويه قد بنى القصور والاستراحات على جانبي الطريق، حتى تشعر ابنته وكأنها لا تزال في قصر أبيها أثناء سفرها[5]. واخترق موكب قطر الندى مدينة القطائع التي اشترك أهلها في توديع ابنة خمارويه الذي تقدم الموكب وهو ممتط فرسه الأشهب.

1 ـ أسماء بنت خمارويه بن أحمد بن طولون (ت 287هـ/ 900م): ولقبها «قطر الندى»، من شهيرات النساء عقلاً وأدباً وجمالاً. تزوجها المعتضد بالله سنة 281هـ/ 894م، وصرف والدها الأموال الطائلة لتجهيزها وسفرها من القطائع في مصر إلى بغداد في العراق. وأسهم الجوهري ابن الجصاص في هذا الاسراف.

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 2 ص 315. ابن الجوزي: المنتظم، ج 5 ص 155.

الزركلي: الاعلام، ج 1 ص 299.

2 ـ سوزي حمود: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني، ص 227.

3 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 2 ص 249، 250.

4 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج 3 ص 466.

5 ـ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 3 ص 61، 62.

وصلت قطر الندى إلى بغداد في ذي الحجة 281هـ/ 894م، فنزلت في قصر صاعد، فأقيم حفل زواج من أفخم حفلات الزواج التي عرفها خلفاء بني العباس، فقد مدت موائد من الذهب مرصعة بأصناف الجوهر، والخدم يقدمون الآنية المملوءة بالدنانير والدراهم، ويضعونها بين أيدي المدعوين، وهم يصيحون: «إن أمير المؤمنين، يقول لكم: ليأخذ من شاء، ما شاء»[1].

وقدم الخليفة المعتضد بالله، مهراً لقطر الندى بلغ مليون درهم، فضلاً عن المتاع والطيب[2]. وولى خمارويه جميع البلاد الممتدة من الفرات إلى برقة، وجعل إليه الصلاة والخراج والقضاء، وخلع عليه اثنتي عشرة خلعة وسيفاً وتاجاً ووشاحاً[3].

ج ـ بدعة الكبرى

عرفت بدعة بالكبرى، لتمييزها عن بدعة الحمدونية التي عرفت ببدعة الصغيرة[4].

كانت بدعة الكبرى جارية عُريب المأمونية، وقد بذلوا فيها مائة ألف دينار، فخيرتها عُريب، فاختارت البقاء معها، فأعجبت بها، وأعتقتها.

وقد حظيت بدعة الكبرى لدى الخليفة المعتضد بالله، وخلفت بعد وفاتها عام 302هـ/ 914م، مالاً كثيراً وضياعاً[5].

وعادت مصر إلى حكم الدولة العباسية عهد الخليفة المكتفي بالله عام 293هـ/ 905م.

---

1 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 327.

الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 8 ص 607، 608.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 4 ص 248، 249.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1 ص 174.

3 ـ ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة، ج 3 ص 53، 61، 63.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، ج 3 ص 466.

4 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 2، ص 66.

5 ـ ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج 6 ص 129.

3 ـ الخليفة السابع عشر المكتفي بالله

(289 ـ 295هـ/ 902 ـ 908م)

بوفاة المعتضد بالله في 22 ربيع الآخر 289هـ/ 15 نيسان 902م، تولى الخلافة ابنه المكتفي بالله، وتعتبر خلافته التي استمرت ستة أعوام (289 ـ 295هـ/ 902 ـ 908م)، بمثابة فترة انتقال من عهد الصحوة المؤقتة الذي حاول خلاله الموفق إعادة هيبة الخلافة العباسية في فترة حكم أخيه الخليفة المعتمد، ليتابع الخليفة المعتضد هذه المحاولة التي انتهت مع نهاية عهد المكتفي بالله، لتنعدم هيبة الخلافة مجدداً، مع قيام حكم النساء برئاسة السيدة شغب عهد ابنها المقتدر بالله.

فقد توفى المكتفي بالله في 12 ذي القعدة 295هـ/ 908م فخلفه أخوه المقتدر بالله.

الفصل التاسع

الخليفة الثامن عشر المقتدر بالله وتدخل أمه شغب والنساء في الحكم

(295 ـ 320هـ/ 908 ـ 932م)

يعتبر وصول المقتدر بالله إلى منصب الخلافة عام 295هـ/ 908م، بدعم كامل من أمه السيدة شغب[1] التي عرفت كيف تنسق مع القادة الأتراك، بمثابة تحول في مسار الخلفاء العباسيين. فقد كان المقتدر بالله أصغر الخلفاء العباسيين الذين تولوا الخلافة حتى ذلك الحين، وكان عمره لا يتجاوز ثلاث عشرة سنة وشهرين وهو يعبر عن المواصفات الضعيفة التي أرادها الأتراك لكل خليفة جديد، حتى يظل ألعوبة في أيديهم.

ويعود طول خلافة المقتدر بالله التي استمرت أربعة وعشرين عاماً وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً أي حوالى ربع قرن (295 ـ 320هـ/ 908 ـ 932م)، إلى أن هذا الخليفة الصغير السن، شكل نقطة تلاق بين مصالح القادة الأتراك والوزراء على اختلافهم وخلافهم، دون إغفال دور السيدة شغب مع أختها والقهارمة الذي ما لبث أن تحول إلى ما يشبه حكم النساء عهد المقتدر بالله الذي يديره أيضاً القادة الأتراك.

---

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة ج 1 ص 242، ج 2 ص 76 ـ 78.

مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 13، 84، 117، 164.

1 ـ دولة السادة

أ ـ المقتدر بالله وأمه شغب

أطلق التنوخي عبارة «دولة السادة»، ويعني دولة الرباعي: الخليفة المقتدر بالله، والسيدة شغب أمه، وخاطف خالته، ودستنبويه أم ولد المعتضد بالله. وهذا يؤكد أهمية التفاهم بين دستنبويه أم ولد المعتضد بالله، وشغب أم المقتدر ابن المعتضد بالله، أي تفاهم الضرتين دستنبويه وشغب، وهو التفاهم الذي أدى إلى مبايعة المقتدر بالله بالخلافة، وفتح المجال أمام الثلاثي النسائي: شغب وأختها خاطف وضرتها دستنبويه، للسيطرة والنفوذ.

ب ـ خاطف (خالة المقتدر)

تعتبر خاطف[1] خالة المقتدر بالله، واحدة من الثلاثي النسائي الذي كان يدير أمور الدولة في أيام الخليفة المقتدر بالله، إلى جانب أختها السيدة شغب أم المقتدر بالله، ودستنبويه أم ولد المعتضد بالله. وكانوا يلقبون بالسادة حسب تعبير أبي الحسن هلال بن المحسن الصابىء[2] (ت 448هـ/ 1056م)، والقاضي التنوخي[3].

وكانت دار خاطف في الرصافة، تعرف بدار الخالة[4]، لأنها خالة الخليفة المقتدر بالله، وكان يدخل إليها بدهليز، يؤدي إلى دار أولى، على عظمتها، فارغة، تنتهي إلى سرداب، يصعد منه إلى درجة طويلة، تفضي إلى دار في نهاية الحَسن والسرور، وفيها من الفرش والآلات كل شيء حسن. وكانت خاطف، تتدخل في

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 37، 38. ج 5 ص 52.

الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 45. ج 4 ص 37، 38، 40.

2 ـ الصابىء: تاريخ الوزراء، ص 119.

3 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 8 ص 39.

4 ـ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 4 ص 37.

تعيين الوزراء[1].

ج ـ دستنبويه أم ولد المعتضد بالله

تعتبر دستنبويه[2] أم ولد المعتضد بالله، واحدة من الثلاثي النسائي الذي سيطر على أمور الدولة عهد المقتدر بالله. وكانت تأخذ الرشى وتنصب الوزراء[3]. وعندما تطلق كلمة السادة، فإنها تعني الخليفة المقتدر بالله، ووالدته شغب وخالته خاطف ودستنبويه أم ولد المعتضد بالله[4].

ومما يذكر أن شغب استعانت أيضاً بأخيها غريب الخال[5]، الذي عرف بـ «الخال» أي خال المقتدر بالله، وإبن أخيها هارون بن غريب الخال، وهما معاً من القادة العسكريين الكبار، كما استعانت بالحرة زوجة المقتدر بالله وهي ابنة الأمير بدر، وعرفت بالحرة منذ أن تزوجها المقتدر[6].

2 ـ حبس المقتدر أخاه القاهر عند أمه شغب (317هـ/ 929م)

خرج مؤنس الخادم أمير الجيوش على الخليفة المقتدر عام 317هـ/ 929م، بسبب نقمة الجند مما يصرف من أموال على الخدم والنساء داخل دار الخلافة، في الوقت الذي تفرد فيه المقتدر للذاته مع الجلساء والمغنين وعاشر النساء، وأفرط وزيره ابن الفرات في تبذير المال[7].

1 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 90، 143.

2 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 5 ص 52.

الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 45، 46، 48.

3 ـ الصابىء: تاريخ الوزراء، ص 287، 288.

4 ـ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 45، 46، 48.

5 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 8 ص 54، 181.

6 ـ المصدر نفسه، ج 5 ص 12.

7 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 2 ص 75.

لذلك اتفق مؤنس الخادم والقائد نازوك وأبو الهيجاء الحمداني على خلع المقتدر، فهجموا عليه وأخرجوه مع والدته شغب وخالته وحرمه إلى دار مؤنس، ونهبت أموال السيدة شغب، فحملت إلى بيت المال، ونهبت دار الخلافة وجاؤوا بمحمد ابن المعتضد وأقاموه خليفة ولقبوه القاهر بالله[1].

وتمكن بعض رجال المقتدر بالله، من قتل نازوك، وإخراج المقتدر من دار مؤنس، قبل أن يتوجهوا إلى دار الخلافة، فقتلوا أبا الهيجاء الحمداني الذي كان يدافع عن القاهر. وأعيد المقتدر إلى الخلافة بعد يومين فقط من خلعه[2].

ويتبين نفوذ شغب، مرة أخرى، عندما أوكل ابنها الخليفة المقتدر حبس أخيه القاهر عندها، دون أن يطاله سوء أو مكروه. فقد أحسنت شغب إلى القاهر وأكرمته، ووسعت عليه النفقة، واشترت له السراري والجواري للخدمة، وبالغت في إكرامه والاحسان إليه[3].

3 ـ دور القهرمانات

القهرمان، كلمة يونانية دخيلة في اللغة العربية، وجمعه قهارمة، وهو مدبر البيت، أو أمين الدخل والخرج[4]. ومؤنث الكلمة قهرمانة وجمعها قهرمانات. واصل عمل القهرمانة في بلاط الخليفة العباسي، أن تؤدي الرسائل عن الخليفة، ولكن ضعف الخلفاء، في المرحلة العباسية الثالثة، واحتجابهم في قصورهم، أمام

---

1 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11 ص 159.

الذهبي: دول الإسلام، ج 23 ص 377.

2 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 197 ـ 199.

ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم، ج 13 ص 67.

3 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 199.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11 ص 175.

4 ـ طوبيا العنيسي: تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، ص 59.

تسلط القادة الأتراك، وتسلط النساء، أدى إلى سيطرة القهرمانات.

كان للمكتفي بالله (289 ـ 295هـ/ 902 ـ 908م)، داية اسمها فارس، نصبها قهرمانة لما استخلف. فلم تكتف القهرمانة فارس بنقل الرسائل من الخليفة إلى الوزراء والقادة، بل أخذت تتدخل في تعيين الوزير وعزله[1] ولعلها أول قهرمانة، في هذه المرحلة، تصل إلى مثل هذا النفوذ والسيطرة، ما فتح الباب واسعاً، لسيطرة القهرمانات في عهد المقتدر بالله (295 ـ 320هـ/ 908 ـ 932م)، وهو عملياً عهد حكم النساء، حيث أصبح للقهرمانة سيطرة تامة على أمور الدولة، بحكم صلتها بالخليفة المقتدر وبأمه السيدة شغب. فكانت القهرمانة تتدخل في ترشيح الوزراء وكبار العمال وفي عزلهم واعتقالهم ويعهد إليها الخليفة أحياناً بتعذيب من يريد تعذيبه، أو يعتقل لديها من يريد اعتقاله[2].

ومن شهيرات القهرمانات عهد المقتدر بالله: فاطمة، أم موسى الهاشمية، ثمل الدلفية، زيدان، ونظم.

أ ـ فاطمة (295 ـ 299هـ/ 905 ـ 911م)

تعتبر القهرمانة فاطمة، أول من برز من القهرمانات بجانب السيدة شغب أم الخليفة المقتدر بالله. فاستمر نفوذها طيلة السنوات الأربع الأولى من عهد المقتدر بالله، أي منذ توليه الخلافة، وهو في الثالثة عشرة، عام (295هـ/ 908م)، حتى وفاتها عام (299هـ/ 911م).

وما يشير إلى مدى نفوذها وسلطانها، أنها كانت توقع على مراسيم الخلافة، باسم الخليفة المقتدر بالله، قبل أن يوقع الوزير في آخر المرسوم، ويأمر بتنفيذه[3].

---

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 3 ص 269.

2 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 21، 24، 84، و ج 4 ص 40.

3 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 90.

ومـما يذكـر أن القهرمانـة فاطمـة ماتـت غرقـاً في نهـر دجلة، حينما غـرق بها طيارهـا في يوم ريح عاصـف، تحـت جسر بغداد عـام (299هـ/ 911م).

ب ـ أم موسى الهاشمية (299 ـ 310هـ/ 911 ـ 922م)

تعتـبر القهرمانـة أم مـوسى الهاشـمية[1]، إحـدى السـيدات المسـيطرات عـلى أمـور الدولـة، في عهد المقتـدر باللـه. وقـد قهرمتهـا السـيدة شـغب أم المقتـدر عـام (299هــ/ 911م)، عـلى أثـر غـرق القهرمانـة فاطمـة.

وكانـت أم مـوسى الهاشـمية تنقـل رسـائل السـيدة شـغب، ورسـائل الخليفـة المقتـدر باللـه إلى الوزيـر، فـازداد نفوذهـا، وأثـرت إثـراء فاحشـاً.

سـيطرت القهرمانـة أم مـوسى الهاشـمية سـيطرة عظيمـة، بحيـث أن صاحبتهـا فـرج النصرانيـة كانـت تحمـل خاتـم الخليفـة لمـن يعـده بتوليتـه الـوزارة[2]. وقد توسـطت أم مـوسى لابـن أبي البغل حتـى يـولى الـوزارة، فتصـدى لـه الوزيـر محمـد بـن عبيـد اللـه ابـن خاقـان أثنـاء وزارتـه (299 ـ 301هــ/ 911 ـ 913م)، وقبـض عليـه، فأنقذتـه أم مـوسى، وأعيـد إلى منصبـه في أصبهـان.

ويبـدو أن القهرمانـة أم مـوسى الهاشـمية، حاولـت إقامـة تكتـل نفـوذ خـاص بهـا، وكأنهـا تنافس السـيدة شـغب أم المقتـدر، بعـد أن أثـرت إثـراء فاحشـاً. فقـد كان لها أخ اسـمه أحمد بـن العباس، يجلـس، فيلقـاه النـاس ويأخـذ رقاعهـم وقصصهـم إلى أختـه أم مـوسى. وزادت مكانتـه مـع ارتفـاع مكانـة أم مـوسى، فـكان الخليفـة المقتـدر يرسـله في أمـوره التـي يحـرص عـلى كتمانهـا، وبلـغ راتبـه الشـهري سـبعة آلاف دينـار. وولاه المقتـدر إقامـة موسـم الحـج عام 309هــ/ 921م.

---

1 ـ حول أخبار أم موسى الهاشمية «القهرمانة» أنظر: التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1 ص 122، 242، 243. ج 2 ص 110، 152. ج 4 ص 179. ج 5 ص 51. ج 8 ص 85، 86.

الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 43، 44، 46، 363. ج 4 ص 370. ج 5 ص 58.

2 ـ الصابئ: تاريخ الوزراء، ص 293.

وبلـغ نفـوذ القهرمانـة أم مـوسى الهاشـمية حـداً كبـيراً، حاولت معه السـيطرة تماماً عـلى الخلافة، بتعيـين خليفـة تابـع لهـا بعـد خلع المقتـدر باللـه. فقد أقدمت عـلى تزويج ابنـة أخيها بأحد سـادة بنـي العبـاس، واسـمه أبـو العبـاس محمـد بـن إسـحاق بـن المتـوكل، وأخـذت تجمـع لـه الأمـوال الكثـيرة. لكـن السـيدة شـغب أم الخليفـة المقتـدر كشـفت أمرهـا، واتهمتهـا بأنها تسـعى إلى إزاحة المقتـدر عـن الخلافـة ونقلهـا إلى صهرهـا أبي العبـاس محمد بن إسـحاق ابن المتوكل. فسـخط عليها المقتـدر باللـه، وقبـض عليهـا مع أخيها أحمد بـن العباس وأختهـا، وأمر بمصادرة أموالهـم وأملاكهم. وقيـل أن أم مـوسى الهاشـمية صـودرت وحدهـا عـلى مليون دينار، مـا اضطر الوزير عـلي ابن عيسى إلى تشـكيل ديـوان خـاص حمـل اسـمها هـو «ديـوان المقبوضـات من أم مـوسى»، حتـى يتمكن من حـصر أموالهـا ومجوهراتها[1].

ج ـ زيدان والإشراف على دار اعتقال الوزراء

كان في دار الخلافـة، دار لاعتقـال الـوزراء وكبار رجال الدولة، تشرف عليهـا القهرمانة زيدان[2]. وفي يـوم الاثنـين 8 ذي الحجـة 304هـ/ 916م، اعتقل في هذه الدار، الوزير علي بن عيسى[3] بسـبب خلافه مـع القهرمانـة أم مـوسى الهاشـمية حـول نفقـات نسـاء القصر. كـما اعتقـل الوزير علي بـن الفرات، في هـذه الـدار، يـوم الخميـس 27 جـمادى الأولى 306هــ/ 918م نتيجـة مؤامـرة دبرهـا لـه قسـيم

1 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 83، 84.

الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23 ص 49.

2 ـ حول ترجمة القهرمانة زيدان، أنظر:

ابن الجوزي: المنتظم، في أخبار الملوك والأمم، ج 6 ص 70.

مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 38، 40، 50، 66، 68، 104، 149، 184.

القفطي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 249.

عمر كحالة: أعلام النساء، ج 2 ص 43.

3 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ص 40.

الجوهـري الـذي كان يـشرف عـلى ضياع السـيدة شـغب في واسـط، بهـدف تولية حامد بـن العباس للـوزارة. وبقـي الوزيـر عـلي بـن الفـرات في دار القهرمانـة زيـدان طيلـة خمـس سـنوات (306 ـ 311هـ/ 918 ـ 923)، وهـي الفـترة التـي تـولى فيهـا الـوزارة حامـد بـن العبـاس.

ومـا يشـير إلى ارتفـاع مكانـة القهرمانـة زيـدان، أنهـا عينـت طبيبهـا الخـاص عيـسى البغـدادي، ليحمـل إليهـا رقـاع الوزيـر، قبـل أن تعرضهـا عـلى الخليفـة المقتـدر باللـه[1].

وكان الوزيـر عـلي بـن الفـرات، مقربـاً مـن القهرمانـة زيـدان، فعندمـا يكتـب إليهـا، يضيـف إلى الدعـاء كلمـة: يـا أختي[2].

وقـد أشـار القـاضي التنوخـي إلى سـجن الوزراء وكبـار رجال الدولـة، في دار الخليفـة المقتدر الذي عـرف بـدار القهرمانـة زيدان، في أكثر مـن موضع[3].

د ـ نظم النصرانية (ت 298هـ/ 910م)

ذكـر القـاضي التنوخـي اسـم نُظـم القهرمانـة[4] موضحـاً أنهـا كانـت داية عند أبي القاسـم يوسـف بـن يحيـى بـن عـلي[5]، قبل أن تعمل في خدمة السـيدة شـغب أم المقتـدر بالله، واختصـت بها، حتى صـارت إحـدى القهرمانـات لديهـا، التـي تجري عـلى يديها الصغـير والكبير[6].

ويتضـح دور القهرمانـة، مــن خـلال نظـم التــي لم تنــس أبــا القاســم يوســف بــن يحــي

1 ـ القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء، ص 249.

2 ـ الصابىء: تاريخ الوزراء، ص 172.

3 ـ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 43، 44، 46، 48، 49، 52، 54.

4 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4، ص 145، 149.

5 ـ حول ترجمة أبي القاسم يوسف بن يحيى بن علي، أنظر:

الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج 14 ص 322.

ابن الجوزي: المنتظم، في أخبار الملوك والأمم، ج 6 ص 75.

6 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 145.

ابن علي، فأصبح من كبار الأغنياء، بعد أن قدمته إلى السيدة شغب ليعمل في خدمتها[1].

وعندما أراد أبو القاسم يوسف «تطهير» ابنه، والتطهير اصطلاح بغدادي لا يزال مستعملاً ويعني الختان، أنفق في وليمة ألوف الدنانير. كما جاءته القهرمانة نظم من عند السيدة شغب أم المقتدر بالله بأموال عظيمة، معونة له على التطهير، وحملت له من عندها، من الفرش والآنية، والثياب[2].

والقهرمانة نظم هي نصرانية، توفت عام 298هـ/ 910م.

هـ ـ ثمل صاحبة المظالم (306هـ/ 918م)

كان القضاء في الإسلام، محصوراً في الرجل دون المرأة، وقد أفرد للنظر في المظالم ديوان خاص إلى جانب القضاء. وديوان المظالم هو النظر في كل «حكم يعجز عنه القاضي، فينظر من هو أقوى منه يداً»[3]، ولكن اختصاص كل من هذين القضاءين لم يحدد تحديداً دقيقاً. وفي الباب السابع من كتابه «الأحكام السلطانية» يحدد الماوردي الفروقات بين ناظر المظالم والقاضي[4].

تدهورت خطة المظالم إلى حد أن السيدة شغب أم الخليفة المقتدر عينت قهرمانتها ثمل صاحبة للمظالم عام 306هـ/ 918م، وكانت موصوفة بالشر والإسراف في العقوبة[5]. وكانت تجلس في مكان بنته السيدة شغب في الرصافة، للنظر في المظالم كل يوم جمعة، حيث يحضر الوزير والكاتب والقضاة وأهل

---

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 146.

2 ـ المصدر نفسه، ج 4 ص 145.

3 ـ المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، ج 2 ص 207.

4 ـ الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص 66 ـ 71.

عبد الرزاق الأنباري: منصب قاضي القضاة في الدولة العباسية. ص 76، 77.

عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام. ص 116.

5 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 84.

العلم وتصدر عنها التوقيعات[1].

وتعتبر ثمل (ت 317هـ/ 929م)[2] من ربات النفوذ والسلطان، في عهد المقتدر بالله، بفضل نفوذ السيدة شغب أمه التي اعتمدت عليها في إدارة سياسة الدولة وشؤونها، وجعلتها تجلس للمظالم. فكانت أول إمرأة في الإسلام تجلس للقضاء، والنظر في رقاع الناس، لتخرج التوقيعات باسمها. وقد أنكر الناس جلوس ثمل للنظر في المظالم، واعتبر البعض هذا الواقع الجديد بمثابة تدهور واضح للقضاء، في ظل سيطرة النساء برئاسة السيدة شغب والقهرمانات. فكان من أثر تعيينها القهرمانة صاحبة المظالم، أن استهتر العامة بالخلافة ونظروا إليها نظرة الاحتقار والإزدراء[3].

وعندما غضبت السيدة شغب أم المقتدر بالله على قهرمانتها أم موسى الهاشمية، بعدما اتهمتها بالعمل على خلع ابنها المقتدر بالله لتولية صهرها محمد بن إسحاق ابن المتوكل العباسي، سلمتها مع أخيها وأختها إلى ثمل[4] التي أذاقت الثلاثة صنوف العذاب واستخرجت منهم الأموال والجواهر الكثيرة[5] عام 316هـ/ 928م، أي قبل سنة واحدة من وفاة ثمل.

---

1 ـ ابن الجوزي: المنتظم، في أخبار الملوك والأمم، ج 6 ص 148.

2 ـ حول ترجمة ثمل القهرمانة (ت 317هـ/ 929م)، أنظر:

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 381، الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 21 ص 24، 25.

عمر كحالة: أعلام النساء، ج 1 ص 83، 84.

3 ـ حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، ج 3، ص 456.

4 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 83، 84.

الذهبي: تاريخ الإسلام ج 23 ص 49م.

5 ـ مسكويه، تجارب الأمم، ج 1، ص 83.

4 ـ تدخل النساء في تعيين الوزراء وعزلهم

كانت الوزارة تُنال بالرشوة، ودخل في أمر عملية التعيين النساء والخدم والحاشية. ولم يكن الوزير الصالح يبقى في وزارته طويلاً، لأن طول المدة وقف على رضى السيدة شغب والقهرمانات بشكل خاص، وهن معاً لا يوافقن على تعيين الوزير، إلا إذا قدم لهن الأموال الكثيرة التي بها تفسد مالية الخلافة وتختل موازنتها. فمتى حصل التقصير في دفع الأموال لهن، وقدم طامح آخر للوزارة الرشوة، فسرعان ما يقبض على الأول ويصادر، ويعين الثاني وزيراً.

وانعكس هذا الوضع على عدد وزراء عهد المقتدر بالله، الذي بلغ اثني عشر وزيراً، في خمس عشرة عملية تعيين، خلال أربع وعشرين سنة وأحد عشر شهراً وستة عشر يوماً (295 ـ 320هـ/ 908 ـ 932م).

أ ـ عزل الوزير حامد بن العباس وقتله (311هـ/ 923م)

تعتبر وزارة حامد بن العباس[1] أطول الوزارات عمراً عهد المقتدر بالله، فقد استمرت حوالى الخمس سنوات (306 ـ 311هـ/ 918 ـ 923م)، على الرغم من أن الوزير حامد بن العباس هو أفشل وزراء المقتدر، وقد وصفه القاضي التنوخي بأنه سفيه اللسان، و«كان لا يرد لسانه عن أحد البتة، وكان إذا غضب شتم»[2].

لم يستطع الوزير حامد بن العباس، مداراة أم موسى الهاشمية القهرمانة، عندما قصدته في مجلسه، مطالبة بنفقات الخليفة والسيدة شغب والأمراء والقهرمانات.

---

1 ـ حامد بن العباس (ت 311هـ/ 923م): وزير المقتدر بالله. كان يتولى أعمال السواد، وكان كريماً، متجملاً، سريع الطيش والحدة، إلا أن كرمه كان يغطي على ذلك. وزر للمقتدر سنة 306هـ/ 918م، ولما بانت قلة خبرته، ضم إليه علي بن عيسى لمساعدته. ثم عزله المقتدر، وأعاد الوزير علي بن محمد بن الفرات، وسلم إليه حامد بن العباس، فقتله سنة 311هـ/ 923م.

ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 268.

2 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1 ص 22 ـ 24، 43، 162، 164.

فعندما ذكرته بأن الوزير الأسبق علي بن محمد ابن الفرات كان يحمل إلى الخليفة المقتدر بالله ألف دينار كل يوم، وإلى السيدة شغب عشرة آلاف دينار في الشهر، وإلى الأمراء والقهرمانات خمسة آلاف دينار في الشهر. ثم أعلمته بأنه تأخر عن الدفع منذ أربعين يوما، فكان جوابه، كعادته في سفه اللسان[1].

وتكفي هذه القصة، لتوغر أم موسى الهاشمية صدر السيدة شغب أم المقتدر بالله، التي أسرعت بدورها لتخاطب ابنها المقتدر في شأن هذا الوزير الذي تأخر عن دفع نفقات الخليفة والسيدة والقادة. فقد تعرض الوزير حامد بن العباس للتعذيب بعد القبض عليه عام 311هـ/ 923م، وتولي علي بن محمد بن الفرات الوزارة، فقتله بدس السم له.

ب ـ القبض على الوزير علي بن محمد بن الفرات وقتله (312هـ/ 924م)

تبقى قصة السيدة شغب أم المقتدر بالله مع الوزير علي بن محمد بن الفرات[2]، الدليل الواضح على تدخل النساء في تعيين الوزراء وعزلهم والقبض عليهم، ثم قتلهم.

فقد استمرت وزارة علي بن محمد بن الفرات الأولى طيلة ثلاث سنوات وثمانية أشهر وأربعة عشر يوماً، انتهت بعزله ونهب داره ودور أولاده وأهله، ومصادرته على مليون وستمائة ألف دينار عام 299هـ/ 911م.

وعندما تعهد الوزير ابن الفرات بإطلاق نفقات النساء والخدم، وأن يحمل إلى الخليفة المقتدر بالله كل يوم ألف دينار، وإلى السيدة شغب والأمراء خمسمائة

1 ـ التنوخي: المصدر نفسه، ج 8، ص 85.

2 ـ أبو الحسن علي بن محمد بن الفرات (241 ـ 312هـ/ 855 ـ 924م): وزير المقتدر بالله، داهية، فصيح، أديب، جواد. اتصل بالمعتضد بالله، فولاه ديوان السواد. ثم وزر للمقتدر ثلاث مرات. وقبض عليه المقتدر بالله عام 312هـ/ 924م وقتله، وهو في الواحدة والسبعين.

الزركلي: الأعلام، ج 5، ص 41.

دينـار، أعيـد إلى الـوزارة عـام 304هــ/ 916م. ومـا لبثت النسـاء برئاسـة السـيدة شـغب أن انقلبت عليـه، بتحريـض مـن نـصر الحاجـب، فتـم القبض عليـه يـوم الخميـس 27 جـمادى الأولى 306 هـ/ 918م، بعـد أن اسـتمرت وزارتـه الثانيـة سـنة وخمسـة أشـهر وتسـعة عـشر يوماً.

وكانـت المأسـاة، في وزارتـه الثالثـة التـي لم تسـتمر أكـثر من عـشرة أشـهر وثمانية عشر يومـاً، منذ أن تقلدهـا في ربيـع الثـاني 311هــ/ 923م. فقـد كان ابنـه المحسـن يعاونـه في هـذه الـوزارة الثالثة، فألـب النـاس عليه، نتيجة السياسـة الفاسـدة التـي اتبعها لجمع الأمـوال عن طريق مصـادرة الناس وتعذيبهـم. فاسـتغل نـصر الحاجـب هـذا الأمـر، لتصفيـة حسـابه مـع الوزيـر ابـن الفـرات، فأوغـر صـدر السـيدة شـغب، وسـائر المتضرريـن مـن أعـمال الوزيـر ابـن الفـرات وابنـه المحسـن، ليصـدر الخليفـة المقتـدر باللـه الأمـر بالقبـض عليهـما في 8 ربيـع الأول 312هــ/ 924م، ثم أمـر بضرب عنق كل منهـما، وحمـل الرأسـين إلى المقتـدر بالله[1].

ج ـ القبض على الوزير علي بن عيسى (316هـ/ 928م)

يعتـبر الوزيـر عـلي بـن عيـسى[2] أفضـل الـوزراء عهـد المقتـدر باللـه، حـاول إصلاح أمـور الدولـة، منذ توليه الوزارة للمرة الأولى في 10 محرم 301هـ/ 913م. لكنه، لم يعرف كيف يرضي نساء القصر اللواتي بحاجـة إلى نفقـات دائمـة، على الرغـم من الثروات التي جمعتها السـيدة شـغب والقهرمانات. لذلك اعتقل الوزير علي ابن عيسى بسـبب خلافه مع أم موسى الهاشـمية قهرمانة السـيدة. حول النفقات

1 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 132، 138.

2 ـ علي بن عيسى بن داود الجراح «أبو الحسن» (ت 334هـ/ 945م): وزير المقتدر، شيخ من شيوخ الكتاب، كان محمود السيرة. قال عنه الصولي: ما أعلم أنه وزر لبني العباس وزير يشبهه في زهده وتعففه ومعرفته وصفاته. توفي عام 334هـ/ 945م.

الزركلي: الإعلام، ج 5 ص 133.

المخصصة لنساء القصر، وذلك يوم الاثنين 8 ذي الحجة 304هـ/ 916م. وانتهى به الأمر في مكة المكرمة بعد الإفراج عنه[1].

وعندما تولى علي بن عيسى الوزارة للمرة الثانية عام 315هـ/ 927م حاول أيضاً إصلاح الوضع المالي، عن طريق تقليص نفقات النساء والجند والخدم، ولا سيما نفقات السيدة شغب أم المقتدر بالله، وتغلبت النساء والحاشية في أمره، فأمر المقتدر بالقبض عليه وعلى أخيه عبد الرحمن في منتصف ربيع الأول 316هـ/ 928م.

5 ـ ازدهار البيمارستانات في بغداد

البيمارستان كلمة فارسية معربة[2]، ومركبة من كلمتين: بيمار وتعني «مريض» وستان وتعني «دار» أي دار المرضى أو المستشفى، ثم اختصرت الكلمة فصارت مارستان، والاصطلاحان معتمدان في المصادر التاريخية.

يعتبر الخليفة هارون الرشيد، أول من أنشأ البيمارستان في بغداد على يد الطبيب جبرائيل بن بختيشوع[3]. أما البيمارستان الثاني، فقد تأسس على يد البرامكة، وعرف ببيمارستان البرامكة[4].

بدأ ازدهار المارستانات في بغداد وسائر الأقاليم في عهد المكتفي بالله الذي أسند إدارة مارستان الري ثم مارستان بغداد إلى أبي بكر الرازي أشهر أطباء عصره. لتتابع ازدهارها عهد المقتدر بالله، حينما افتتح «المارستان الشغبي»

---

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 222 ـ 223.

الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 378 ـ 380.

2 ـ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، ج 2 ص 863.

3 ـ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 1 ص 174.

4 ـ ابن النديم: الفهرست، ص 400.

نسبة إلى السيدة شغب، عام 306هـ/ 918م[1]، ما دعا ابنها الخليفة المقتدر بالله إلى بناء مارستان آخر في بغداد في ذلك العام، ليحمل اسمه «المارستان المقتدري»[2]. ثم عهدت السيدة شغب إلى سنان بن ثابت الصابئ رئيس أطباء بغداد، بناء ثلاثة مارستانات أخرى في بغداد. وكان الوزير علي بن عيسى هو الذي شجع السيدة شغب وابنها المقتدر على بناء المارستانات، حينما عهد إلى طبيبه أبي عثمان الدمشقي إنشاء المارستان الذي حمل اسمه عام 302هـ/ 915م[3].

6 ـ ثروات النساء

لعل الخيزران زوجة المهدي وأم الهادي والرشيد، هي أول إمرأة تصل إلى الثروة والغنى في المرحلة العباسية الثانية، لأنها أول إمراة إستبدت بالحكم في الإسلام. دون إغفال السيدة زبيدة[4] زوجة الرشيد وأم الأمين.

وفي المرحلة العباسية الثالثة، صودرت قبيحة زوجة المتوكل وأم المعتز بالله على مليون وثمانمائة ألف دينار[5]، في حين صودرت السيدة شغب أم المقتدر بالله في المرة الأولى عام 317هـ/ 929م على ستمائة ألف دينار[6] وذلك حينما نصب محمد بن المعتضد خليفة ولقب بالقاهر[7]، لمدة يومين فقط، أعيد بعدها المقتدر بالله إلى الخلافة.

---

1 ـ ابن الجوزي: المنتظم، في أخبار الملوك والأمم، ج 13 ص 178.

2 ـ الذهبي: تاريخ الإسلام، ص 205.

3 ـ سوزي حمود: دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني، ص 243.

4 ـ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 2 ص 120، 121.

5 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 5 ص 341.

6 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 443.

7 ـ التنوخي: الفرج بعد الشدة، ج 3 ص 195.

وقيل أن واردات السيدة شغب من ضياعها بلغت مليون دينار سنوياً[1].

وكانت القهرمانة زيدان، متمكنة من جواهر الخلافة، فأخذت سبحة لم ير مثلها، فيقال سبحة زيدان، وقيمتها ثلاثمائة ألف دينار[2].

وقد أثرت القهرمانة أم موسى الهاشمية إثراء فاحشاً، وحاولت السيطرة على الحكم، فتم القبض عليها عام 310هـ/ 922م وصودرت على مليون دينار، ما جعل الوزير علي بن عيسى يشكل ديواناً خاصاً يحمل اسمها هو «ديوان المقبوضات من أم موسى» حتى يتمكن من حصر أموالها ومجوهراتها وأملاكها[3].

7 ـ نقش صورة المقتدر بالله على النقود

لعل السيدة شغب، هي التي استعانت ببعض الرسامين لنقش صورة لابنها المقتدر بالله، على النقود التي سكت في عهده، فظهر وهو يمسك بقدح في يده اليمنى وبسلاح في يده اليسرى، كما يظهر عازف عود.

سك العباسيون عملة خاصة بهم، لأنها تعد من أبرز مقومات السيادة. فقام أبو العباس السفاح بضرب السكة وكتب عليها السكة العباسية[4]، واستمر أبو جعفر المنصور بسك النقود على هذا النحو. وأصبحت العملة مدورة عهد محمد المهدي، واستمر هارون الرشيد على العملية ذاتها إلى عام 178هـ/ 794، حيث كان الخليفة يشرف بنفسه على سك النقود، فأعطى الرشيد حق الاشراف على سك النقود إلى وزيره جعفر بن يحيى البرمكي. وكان مركز السك في بغداد ومرو،

---

1 ـ ابن الجوزي: المنتظم، ج 6 ص 253.

التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 1 ص 293.

2 ـ ابن الجوزي: المنتظم، ج 6 ص 70.

3 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 83، 84.

ابن الجوزي: المنتظم، ج 6 ص 166.

4 ـ المقريزي: شذرات العقود في ذكر النقود، ص 65.

وبذلك يعد هارون الرشيد أول خليفة يعطي حق سك العملة إلى غيره[1]. ثم سكّت العملة بالمخراط كما تنقش الخواتم عهد المأمون، واستمرت هكذا في عهد كل من المعتصم والواثق والمتوكل.

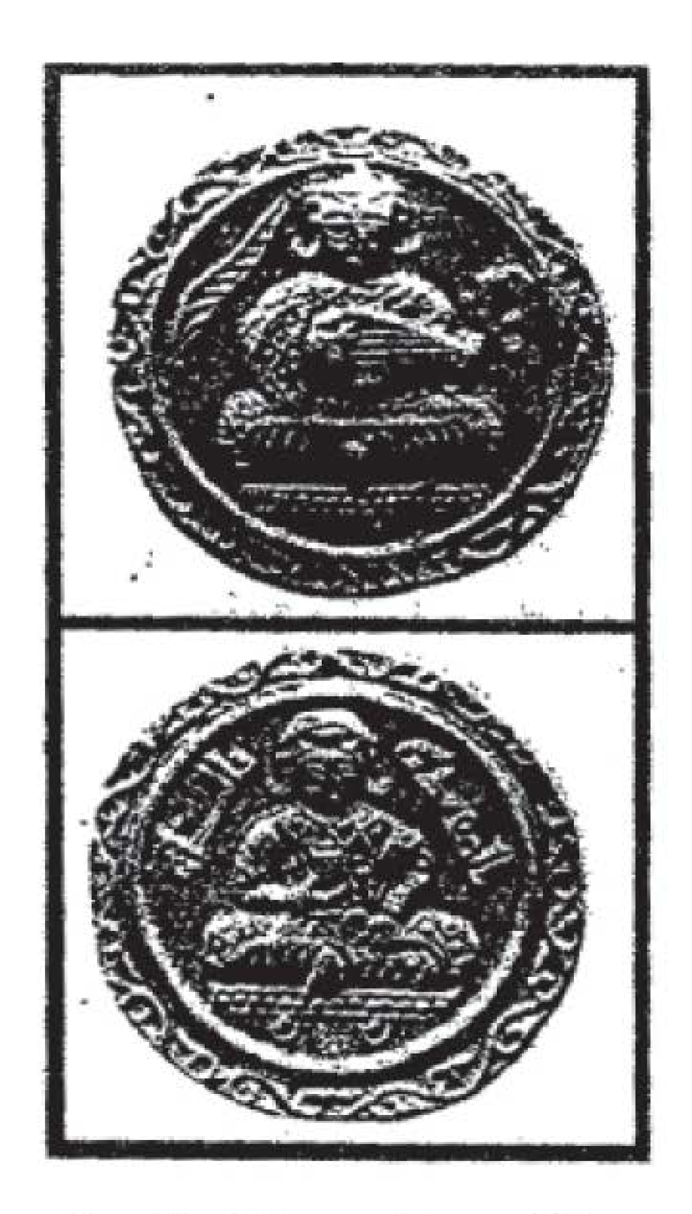
وكتب على الوجه: لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له. محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. في حين كتب على الظهر: محمد رسول الله، بسم الله ضرب هذا الدينار سنة ...؟. وعندما سيطر البويهيون على الخلافة العباسية، وضعوا أسماءهم وألقابهم الكثيرة على النقود، في مركز الوجه، بينما يذكر اسم الخليفة في مركز الظهر، وتلاعب البويهيون بقيمة النقود، بسبب حاجتهم المستمرة للأموال، مع قلة المعدن من الذهب والفضة، فانخفضت قيمة النقود[2].

لذلك، يبقى المقتدر بالله أول خليفة عباسي تنقش صورته على النقود التي سكّت في عهده.

---

1 ـ المقريزي: شذرات العقود في ذكر النقود، ص 66.

2 ـ المصدر نفسه.



عملة نقدية تحمل نقش صورة الخليفة المقتدر بالله[1]

1 ـ ثروت عكاشة: موسوعة التصوير الاسلامي، لوحة رقم 63.

8 ـ قيام الخلافة الفاطمية «الاسماعيلية» في المغرب

(297هـ/ 909م)

كان أخطر تفتت في الدولة العباسية، ما حدث مع قيام الخلافة الفاطمية «الإسماعيلية» في المغرب عام 297هـ/ 909م، ليزداد الوضع خطورة مع إعلان الخلافة الأموية في الأندلس عام 316هـ/ 929م، وهاتان الخلافتان ضد الخلافة العباسية، وقد قام الصراع بينهما تمهيداً لمواجهة الخلافة العباسية.

تتفق الإمامية الإسماعيلية مع الإمامية الاثني عشرية، بأنها تسوق الخلافة بعد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (ت 41هـ/ 661م) إلى ولديه الحسن (ت 50هـ/ 670م) ثم الحسين (ت 61هـ/ 680م) عليهما السلام من ابنة النبي محمد ﷺ السيدة فاطمة عليها السلام، ثم إلى علي زين العابدين بن الحسين (ت 94هـ/ 712م)، ثم محمد الباقر (ت 113هـ/ 731م)، ثم جعفر الصادق (ت 148هـ/ 765م) وهو الإمام السادس. وتخالفها في ابنه موسى الكاظم الذي يعد الإمام السابع عند الاثني عشرية، فتسوق الخلافة إلى ابنه الآخر إسماعيل الذي توفي في عهده (138هـ/ 755م) ثم إلى أبناء إسماعيل حتى عبيد الله المهدي أول خلفاء الدولة الفاطمية في المغرب التي قامت على أساس المذهب الإسماعيلي أو السبعي لأن اسماعيل بن جعفر الصادق هو الإمام السابع بنظرهم وإليه ينتسب الفاطميون.

واتخذ عبيدالله المهدي رقادة الحاضرة الخاصة للأغالبة حاضرة له عام 297هـ/ 909م. وتعتبر رقادة التي تبعد ستة كيلومترات جنوب القيروان، أول حاضرة للفاطميين في المغرب.

يعد الإمام عبيد الله ولقبه المهدي (297 ـ 322هـ/ 909 ـ 933م) أول خلفاء الدولة الفاطمية في المغرب، وقد ظهر بعد مائة وتسع وخمسين سنة على وفاة الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق الذي ينسب إليه المذهب الإسماعيلي، وهي

الفـترة التـي عرفـت بمرحلـة السـتر الغامضة التي بـدأت سرية بمحمـد المكتوم بن إسـماعيل وتنتهي بظهـور عبيـد اللـه المهـدي. فقد عمد الأئمـة الإسـماعيليون إلى الاختفاء ونشر دعوتهـم سراً، واتخذوا مـن قريـة سـلمية، قـرب حمـص مركـزاً لهـم، ومنهـا كانـوا يوجهـون دعـاة الإسـماعيلية إلى مختلف أنحـاء الدولـة العباسـية. وهـذا مـا أدى إلى مثـار خـلاف حـول نسـب الفاطميـين، وخاصـة أن الذي مهـد لقيـام الدولـة الفاطميـة في المغـرب هـو الداعـي أبـو عبد اللـه الذي ينتمـي إلى الدعـاة الذين بـذروا بـذور الدعـوة الإسـماعيلية بالتعاون مع الأئمة المسـتورين الذين لم تظهر أسـماؤهم منذ وفاة محمـد المكتـوم بن إسـماعيل حتـى ظهور عبيداللـه المهدي أول خلفـاء الدولة الفاطميـة في المغرب عام 197هـ/ 909م.

أدرك الخليفـة عبيـد اللـه المهـدي، مـدى قـوة الداعـي أبي عبـد الله، فتخلـص منه قتلاً، ليسـيطر على الدولـة[1]. ثـم بنـى حـاضرة جديـدة على شـاطىء البحر حملت لقبـه وهي المهدية عـام 300هــ/ 912م[2] وقيـل عـام 305هـ/ 917م، لينتقـل إليها عام 308هــ/ 920م[3].

اهتـم الخليفـة عبيـد اللـه المهـدي ببنـاء أسـطول فاطمـي، حيـث أنشـأ على سـاحل المهديـة داراً كبـيرة لصناعـة السـفن نقـرت في الجبـل وتسـع مائـة سـفينة حربية كبيرة، هـذا إلى جانـب صهاريج الميـاه ومخـازن الأقوات والمسـجد والقـصر والدواوين والأسـوار ذات الأبواب الضخمـة التي أحاطت بالمهدية[4].

كانت بلاد المغرب في شـمال أفريقيا، تربة خصبة لبثّ الدعوة الإسـماعيلية، لبعدها عن السـلطة المركزية في بغداد، مما أدى إلى صعوبة سـيطرة الخلفاء العباسـيين عليها.

---

1 ـ المقريزي: اتعاظ الحنفاء، بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء، ص 93 ـ 97.

2 ـ ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 227.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 20، 21.

4 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 232.

وإذا كان الداعي أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن زكريا هو المؤسس الحقيقي للدولة الفاطمية التي قامت على أساس المذهب الإسماعيلي، إلا أن الفضل الأول في التمهيد لبث التشيع في المغرب يعود إلى الإمام السادس جعفر الصادق الذي أوفد إلى المغرب داعيين أحدهما الحلواني والآخر أبو سفيان، قائلاً لهما: «إن المغرب أرض بور فاذهبا واحرثاها حتى يجيء صاحب البذر». وتمكنا بالدعوة لطاعة آل البيت من استمالة العديد من قبيلة كتامة[1].

وفي عام 172هـ/ 788م، أسس إدريس بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، دولة علوية حسنية (نسبة إلى الحسن بن علي عليهما السلام) في المغرب الأقصى وبنى عاصمتها فاس التي أتمها ابنه إدريس الثاني وعرفت بدولة الأدارسة. وهذه الدولة العلوية لا تدين بالمذهب الإسماعيلي الفاطمي، إلا أنها مهدت السبيل لأبي عبد الله، وهيأت الأذهان لقبول دعوته لآل البيت[2].

نجح أبو عبد الله في جذب الأنصار إلى دعوته[3] خلال ثلاثة أعوام (288 ـ 291هـ/ 900 ـ 903م)، قبل أن يدخل في مرحلة الحرب التي استغرقت سبعة أعوام (291 ـ 297هـ/ 903 ـ 909م)، تمكن خلالها من القضاء على دولة الأغالبة في المغرب الأدنى عام 296هـ/ 908م، وكانت هذه الدولة تحكم باسم الخلافة العباسية وحاضرتها الرسمية القيروان وحاضرتها الخاصة رقادة، كما تمكن في تلك السنة أيضاً، من القضاء على الدولة الرستمية في المغرب الأوسط وعاصمتها تاهرت، وكانت دولة للخوارج الأباضية.

أدت انتصارات أبي عبد الله إلى دعوته الإمام الفاطمي عبيد الله للقدوم إلى

---

1 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 224.

2 ـ ابن عذارى: البيان المغرب، ج 1، ص 298.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8، ص 12، 13.

المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، ص 74 ـ 77.

المغـرب، فبـدأ رحلتـه مـن بلـدة سـلمية في أعمال حمـص في بلاد الشـام حتى وصل المغـرب الأقصى.

ثـم تـوالى عـلى الخلافـة الفاطميـة في المغرب، القائـم بن المهـدي (322 ـ 334هــ/ 933 ـ 946م)، ثم المنصـور بـن القائـم (334 ـ 341هــ/ 946 ـ 952م) وقـد بنـى حاضرة جديدة سـماها «المنصورية».

وعهـد الخليفـة الفاطمـي الرابـع المعـز لديـن اللـه (341 ـ 365هــ/ 952 ـ 975م)، تمكـن القائـد الفاطمـي جوهرالصقـلي مـن القضاء على الدولة المدرارية أو دولة بني واسـول عـام 349هـ/ 960م، وهـي دولـة للخـوارج الصفريـة حاضرتها سجلماسـة جنوب المغـرب الأقصى.

9 ـ إعلان الخلافة الأموية في الأندلس (316هـ/ 929م)

إن سـقوط الخلافـة الأمويـة في دمشـق عام 132هــ/ 750م، وقيام الدولة العباسـية التي ما لبثت أن اتخـذت بغـداد حـاضرة لهـا، لا يعنـي أبـداً انتهـاء الحكـم الأمـوي. فقـد اسـتمر هـذا الحكم مع دخـول الأمـير عبـد الرحمـن الأول «الداخـل» إلى الأندلـس، ليؤسـس إمـارة أمويـة هـي في الواقـع اسـتمرار للدولة الأموية التي سـقطت في المشرق العربي الإسـلامي، وكأن العباسـيين تقاسـموا الدولة العربيـة الإسـلامية المتراميـة الأطراف مع الأمويـين، وإن كانت الحصة الأموية هـي الصغرى. وتكرس هـذا التقاسـم مـع إعـلان الأمير عبـد الرحمن الثاث نفسـه خليفة للمسـلمين في يـوم الجمعة 2 ذي الحجـة 316هــ/ 16 كانـون الثـاني 929م، وأصبـح لقبـه «أمير المؤمنين النـاصر لدين الله»[1]، لتسـتمر هـذه الخلافـة حـوالى القـرن، حيث سـقطت نهائياً عام 422هــ/ 1031م.

اسـتغل عبـد الرحمـن الثالـث ضعـف الخلافـة العباسـية، وقيـام الخلافـة الفاطميـة

---

1 ـ المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج 1، ص 353.

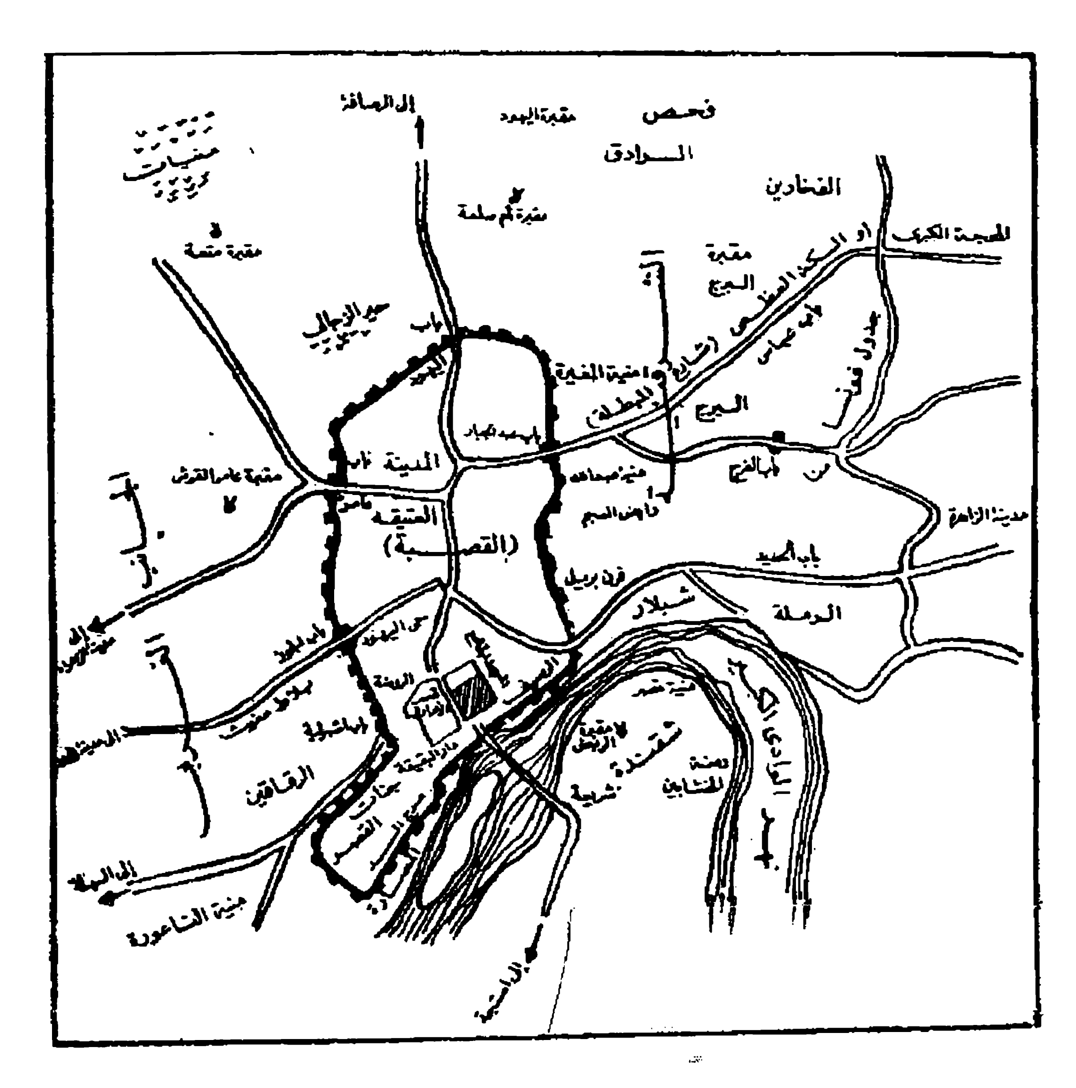
ابن الآبار: الحلة السيراء، ج 1، ص 198.

«الإسـماعيلية» في المغـرب عـلى أسـاس عداوتهـا للعباسـيين والأمويـين معـاً وطمعهـا في أن تحـل مكانهـما في حكـم العـالم الإسـلامي، فاجتهـد لتجـاوز المفهوم السـائد عند العـرب العام بـأن الخلافة وحـدة لا تجـزأ، والقبـول بشرعيـة خليفتـين في وقـت واحـد شرط أن تكـون المسـافة طويلـة بينهما، وهـذا مـا توفـره المسـافة بـين قرطبـة الأمويـة غربـاً وبـين بغـداد العباسـية شرقـاً، فاعلـن الخلافـة الأمويـة في الأندلـس.

وهكـذا شـهد العـالم الإسـلامي قيام ثـلاث خلافـات: الخلافة العباسـية في بغداد، والخلافـة الأموية في الأندلـس والخلافة الفاطميـة في المغرب.

كان الهـدف الرئيـسي للخلافـة الفاطميـة أول الأمـر، هـو غـزو إمـارة الأندلـس، لجعـل المغـرب الإسـلامي كلـه خاضعاً لها، وبذلك ينقسـم العالم الإسـلامي إلى قسـمين، أحدهما شرقـي تابع للخلافة العباسـية، والآخـر غـربي تابـع للخلافة الفاطمية «الإسـماعيلية». وذلـك تمهيداً لانقضـاض الفاطميين في مرحلـة ثانيـة عـلى الخلافـة العباسـية في بغداد.

وزاد خـوف الخلافـة الفاطميـة «الإسـماعيلية» مع إعلان عبـد الرحمن الثالث الخلافـة الأموية في الأندلـس في 2 ذي الحجـة 316هــ/ 16 كانـون الثاني 929م، لأن قيام خلافتين متجاورتين، على أسـس مذهبيـة مختلفـة، يعرقـل خطـة الفاطميـين في غـزو الأندلـس، مـا أدى إلى الصـدام البحـري بينهما، وفشـل الخلافـة الفاطميـة في المغـرب، في قهـر الخلافـة الأمويـة في الأندلـس، فاضطـرت إلى التراجـع شرقـاً نحـو مـصر التي دخلها القائـد جوهر الصقلي عـام 358هـ/ 969م. وبنى القاهرة التي سـميت كذلـك تفـاؤلاً بأنها سـتقهر الخلافة العباسـية.



قرطبة في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي

السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 300

عصام شبارو: الأندلس، ص 192

10 ـ نقل القرامطة الحجر الأسود من مكة المكرمة إلى البحرين

(14 ذي الحجة 317هـ/ 929م)

ترتبط حركة القرامطة بالحركة الاسماعيلية في تنظيمها وعقيدتها. وهي تنتسب إلى حمدان بن الأشعث المسمى «قرمط»، من أهالي إحدى القرى المجاورة للكوفة. ومعنى قرمط «أحمر العينين». وكانت غاية القرامطة الخروج على الدولة العباسية وإحلال نظام جديد مكانها، فانتشرت في اليمن عام 266هـ/ 879م، وفي جنوب فارس والبحرين[1]. ودعا قرمط إلى توزيع المال وإعطاء الفرد حسب حاجته، بعد الحصول على ثروة الأسياد معتبراً الأمراء والعلماء سبب فاقة العامة وحرمانهم[2].

وفي عهد الخليفة المعتضد بالله، ازداد خطر القرامطة الذين أغاروا من البحرين وسواحل فارس على اقليم البصرة، فأرسل قائده العباس بن عمرو الغنوي لقتالهم فحلت به الهزيمة عام 287هـ/ 900م. واستمرت غارات القرامطة على الحجاج في عهد المكتفي بالله الذي تمكن من قتل زعيمهم زكرويه عام 294هـ/ 907م[3].

وفي عهد المقتدر بالله، قام رئيس القرامطة في البحرين، أبو طاهر سليمان الجنابي، بمهاجمة الكوفة عام 315هـ/ 927م، فدخلها، وحلت الهزيمة بالجيش العباسي. ثم اتجه نحو الأنبار، ومنها إلى أرض الجزيرة، وهو ينشر القتل والخراب[4]. وبعد عامين، اتجه أبو طاهر نحو مكة المكرمة، ومعه تسعمائة من جنده، فدخلها في 14 ذي الحجة 317هـ/ 929م[5]، فاستباح المسجد الحرام، وقتل الحجاج بداخله مع جماعة من أشراف مكة، وألقى بجثثهم في بئر زمزم. وعمد

---

1 ـ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 10 ص 130 ـ 133.

2 ـ ابن الجوزي: المنتظم، ج 5 ص 113.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 116.

4 ـ المصدر نفسه، ج 6 ص 186، 187.

5 ـ المصدر نفسه، ج 6 ص 203، 204.

إلى قلع الحجر الأسود من مكانه، وكذلك باب الكعبة التي جردت من كسوتها، ونهبت أموال الحجاج وأهل مكة. وجرى نقل الحجر الأسود مع الأموال إلى هجر بمنطقة الاحساء.

ولم يحصل في التاريخ العربي قبل الاسلام أو بعده، أن انتهكت حرمة بيت الله الحرام إلى هذا الحد، حتى أن المهدي بالله عبيد الله مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب، كتب إلى أبي طاهر ينكر عليه ما فعل طالباً منه رد الحجر الأسود إلى مكانه[1] في حين يذكر المسعودي أن القرامطة أعادوا الحجر الأسود إلى الكعبة عام 339هـ/ 950م[2]، أي في عهد المطيع لله في مرحلة النفوذ البويهي الذي امتد إلى البصرة على الخليج العربي، ما جعله وجهاً لوجه أمام القرامطة في البحرين، فكان الصدام مع القرامطة طوال حكم معز الدولة البويهي في العراق[3]. وبذلك يكون رد الحجر الأسود إلى مكانه، بعد اثنين وعشرين عاماً، حسب قول المسعودي. في حين يكون رد الحجر الأسود إلى مكانه حسب قول محمد الخضري هو في عهد عبيد الله المهدي الفاطمي (297 ـ 322هـ/ 909 ـ 934م)، أي في الفترة بين قلع الحجر من مكانه عام 317هـ/ 929 وبين وفاة عبيد الله المهدي الفاطمي عام 322هـ/ 934م.

11 ـ مقتل المقتدر بالله (27 شوال 320هـ/ أول تشرين الثاني 932م)

أدى دور نساء القصر عهد المقتدر بالله إلى فساد الوزارة وتردي الأوضاع الاقتصادية، فجرت محاولة فاشلة لخلع المقتدر بالله عام 311هـ/ 292م، فتم القبض على القاهر بالله ليسجن عند السيدة شغب وما لبثت المحاولة الثانية أن نجحت،

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 337.

2 ـ المسعودي: التنبيه والاشراف، ص 346.

3 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية ج 2 ص 93.

فقتـل المقتـدر باللـه وبويـع القاهر بالله بالخلافة، فيعذب السـيدة شـغب ويضطرها لبيـع أملاكها[1] ويصلبهـا منكسـة الـرأس[2]، فسـقط حكم النسـاء بمقتل المقتدر باللـه عام 320هــ/ 932م، ووفاة أمه بعـده عام 321هـ/ 933م.

شـغل القاهـر نفسـه أيضـاً، في البحـث عـن أولاد أخيـه المقتـدر، فوجـد أبـا العبـاس بـن المقتـدر «الـراضي» عنـد أم مـوسى القهرمانـة، فضربهـا وعذبهـا، وقبـض عليـه[3]. كـما عـثر عـلى هـارون وعلي والعبـاس وإبراهيـم والفضـل، فحملـوا إلى دار الخلافـة، ثـم سـلموا إلى الحاجب علي بـن يلبق، بعد أن صـودرت أموالهـم[4].

وبمقتـل المقتـدر باللـه يـوم الأربعاء 27 شـوال 320هــ/ أول تشرين الثـاني 932م)، ومصـادرة أمه السـيدة شـغب وموتهـا بعـده، انتهى حكم الفسـاد الذي اسـتمر طيلـة عهد المقتدر باللـه، أي طيلة أربـع وعشريـن سـنة وأحد عشر شـهراً وسـتة عشر يومـاً (295 ـ 320هــ/ 908 ـ 932م).

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 2، ص 77 ـ 79.

2 ـ المصدر نفسه، ج 2، ص 76.

3 ـ الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 23، ص 399.

4 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1، ص 260.

الفصل العاشر

استمرار انعدام هيبة الخلافة

(320 ـ 334هـ/ 932 ـ 945م)

عـاد الخليفـة العبـاسي، مـع عهـد المقتـدر باللـه، اضعـف مـما كان عليـه في بدايـة نفـوذ القـادة العسـكريين الأتـراك، ليسـتمر هذا الضعف عهـد الخلفاء الأربعة: القاهر باللـه (320 ـ 322هـ/ 932 ـ 934م)، الـراضي باللـه (322 ـ 329هــ/ 932 ـ 934م)، المتقـي للـه (329 ـ 333هــ/ 940 ـ 944م)، والمسـتكفي بالله (333 ـ 334هـ/ 944 ـ 945م) الذي انتهى معه المرحلة العباسـية الثالثة أو حقبة النفـوذ التركي.

1 ـ الخليفة التاسع عشر القاهر بالله أول خليفة سُملت عيناه

(320 ـ 322هـ/ 932 ـ 934م)

اختـير للخلافـة القاهـر باللـه أخـو المقتـدر باللـه، ليضـع حـداً لتدخـل النسـاء وعـلى رأسـهم السـيدة شـغب[1]. فأصبـح الخليفـة الجديـد ألعوبـة بيـد الثـلاثي الحاكـم وهـم: القائـد مؤنـس والوزيـر ابـن مقلـة وصاحـب الشرطـة محمـد بـن ياقـوت. وعندمـا شـعر القائـد مؤنـس والوزيـر ابـن مقلـة بجـرأة القاهـر وقسـوته وحـذره، اتفقـا مـع الحاجـب عـلي بـن يلبـق عـلى خلعـه، قبـل أن يسـعى إلى قتلهـم. واتفـق الثلاثـة سراً عـلى توليـة محمـد بـن

1 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 327.

المكتفي الخلافة. لكن القاهر علم بالمؤامرة التي تدبر لخلعه من الخلافة، فلم يفلح المتآمرون في دخول القصر وقتل الخليفة[1] الذي تمكن من القبض عليهم، ليرتكب مجزرة جديدة بقتل القائد مؤنس والحاجب علي بن يلبق وابنه، كما قتل محمد ابن المكتفي المرشح لمنصب الخلافة، في حين نجا الوزير ابن مقلة بعد فراره. وبذلك صدقت نبوءة القائد مؤنس الذي قال حين سمع بمقتل المقتدر: «قتلتموه والله لنقتلن كلنا».

بويع القاهر بالله، يوم مقتل المقتدر في 27 شوال 320هـ/ أول تشرين الثاني 932م وما لبثت الأمور أن انقلبت عليه، كما حدث للمقتدر وأمه السيدة شغب، فألقي القبض عليه وسجن في جمادى الأولى 322هـ/ 23 نيسان 934م، وسملت عيناه بعد تنازله عن الخلافة، لكي لا يكون له أمل في المستقبل للعودة إليها، فلم تستمر خلافته سوى عام وستة أشهر وستة أيام، وكان أول خليفة تسمل عيناه. وجاء القادة الأتراك بأبي العباس أحمد بن المقتدر من السجن وبايعوه خليفة بلقب الراضي بالله[2].

بقي القاهر بالله مسجوناً حتى وفاته عام 339هـ/ 950م، في عهد الخليفة المطيع لله مع حقبة النفوذ البويهي.

2 ـ الخليفة العشرون الراضي بالله (322/ 329هـ/ 934 ـ 940م)

حاول الراضي بالله إصلاح الإدارة، دون جدوى، مع ابتداعه منصب أمير الأمراء الذي تولاه القائد التركي أبو بكر محمد بن رائق عام 324هـ/ 936م[3]،

---

1 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 1 ص 264.

2 ـ المسعودي: مروج الذهب، ج 2 ص 237.

الذهبي: تاريخ الإسلام، ج 24 ص 15، 16.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 254، 255. السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 391.

فتراجع منصب الوزير مع إعطاء صلاحياته لأمير الأمراء الذي أصبح صاحب الأمر والنهي، يعين الخليفة ثم يعزله، فدخلت الدولة العباسية مرحلة جديد تمثلت بالصراع بين القادة الأتراك حول منصب أمير الأمراء الذي آل إلى القائد بجكم عام 327هـ/ 939م.

توفي الراضي بالله في منتصف ربيع الأول 329هـ/ 8 كانون الأول 940م، وكانت مدة خلافته ستة أعوام وعشرة أشهر وعشرة أيام، ليخلفه المتقي لله بن المعتمد.

3 ـ الخليفة الواحد والعشرون المتقي لله (329 ـ 333هـ/ 940 ـ 944م)

ومحاولة الدولة الأخشيدية نقل مقر الخلافة العباسية إلى مصر

بويع المتقي لله بالخلافة في 20 ربيع الأول 329هـ/ 4 كانون الأول 940م، واستمرت خلافته طيلة أربعة أعوام وأحد عشر شهراً انتهت بخلعه في 20 صفر 333هـ/ 12 تشرين الأول 944م.

وكان أهم حدث في عهده، هو محاولة الدولة الأخشيدية نقل مقر الخلافة العباسية إلى مصر.

تأسست الدولة الأخشيدية (323 ـ 358هـ/ 935 ـ 969م) على يد محمد بن طغج بن جف الملقب بالأخشيد[1]. والأخشيد لقب تركي كان يتلقب به ملوك إقليم فرغانة في بلاد ما وراء النهر. وقد كافأه الخليفة الراضي بأن ولاه على مصر

---

1 ـ الأخشيد (268 ـ 334هـ/ 882 ـ 946م): أبو بكر محمد بن طغج بن جف الملقب بالأخشيد، مؤسس الدولة الأخشيدية في مصر والشام. وهو تركي الأصل، ولد ونشأ ببغداد، وتوفي بدمشق ودفن في بيت المقدس.

الزركلي: الإعلام، ج 6، ص 174.

عام 323هـ/ 934م، وهكذا أسس الأخشيد ثاني دولة مستقلة عرفتها مصر في العصرالعباسي.

بعد أن وطد الأخشيد نفوذه في مصر أخذ يفكر في تأمين حدوده الشمالية وذلك بالاستيلاء على الشام، وهذه السياسة تعتبر سياسة تقليدية سعى إليها كل حاكم استقل بمصر. وبذلك أصبحت المدن الساحلية التابعة لدمشق، تقع تحت نفوذ المسيطر على مصر، فبعد أن خضعت لسيطرة الدولة الطولونية، أصبحت بيروت وطرابلس وصيدا وصور، إضافة إلى دمشق وبعلبك، تابعة للدولة الأخشيدية في مصر.

حاول محمد الأخشيد نفس المحاولة التي قام بها أحمد بن طولون من قبل، وهي نقل الخلافة العباسية إلى مصر لتكون تحت حمايته. وكانت محاولة الأخشيد عام 333هـ/ 944م، حينما استبد القادة الأتراك بالخليفة العباسي المتقي لله، وتقاعس الحمدانيون عن نجدته.

التقى الأخشيد بالخليفة العباسي المتقي لله في مدينة الرقة في شمال الفرات، وترجل عن بعد وهو بسيفه ومنطقته وجعبته على سبيل الخدمة، وقبل الأرض مراراً، ثم تقدم فقبل يد الخليفة، وطلب منه أن يصحبه إلى مصر حيث يكون تحت حمايته، ولكن الخليفة عز عليه آخر الأمر أن يترك حاضرته ومقر أسرته فرفض هذا العرض، وعاد الأخشيد إلى الشام بينما عاد الخليفة إلى بغداد. ولا شك أن الأخشيد أراد من وراء نقل الخلافة العباسية إلى مصر أن يقوي دولته التي أسسها بمصر والشام.

وهكذا فشل مشروع نقل الخلافة إلى مصر للمرة الثانية، وبقي هذا المشروع معطلاً إلى أن حققه فيما بعد السلطان المملوكي الظاهر بيبرس عام 659هـ/ 1261م.

وحينما بويع المتقي لله بالخلافة عام 329هـ/ 940م، كان أمير الأمراء بجكم

يسيطر على مقاليد الأمور حتى انتهى قتلاً على أيدي بعض الأكراد، فتولى توزون منصب أمير الأمراء عام 331هـ/ 942م[1]، فاتصل الخليفة المتقي لله ببني بويه ودعاهم للقدوم إلى بغداد، حتى يتخلص من نفوذ أمير الأمراء توزون الذي أسرع وعزل المتقي لله وسمل عينيه عام 333هـ/ 944م[2]، ووضع في السجن إلى حين وفاته، وبويع عبد الله بن المكتفي خليفة ولقبه المستكفي بالله.

4 ـ الخليفة الثاني والعشرون المستكفي بالله (333/ 334هـ/ 944 ـ 945م)

توفي أمير الأمراء توزون مطلع عام 334هـ/ 945م فخلفه كاتبه أبو جعفر بن شيراز الذي لم يتمكن من القبض على زمام الأمور بسبب الضائقة المالية والفلتان الأمني[3]. وتبين أن منصب أمير الأمراء الذي ابتدعه الراضي بالله عام 324هـ/ 936م، كان مجرد تجربة فاشلة أدت إلى زيادة الصراع بين القادة الأتراك، فلم يستمر هذا المنصب أكثر من عشر سنوات انتهى بدخول معز الدولة أحمد بن بويه إلى بغداد عام 334هـ/ 945م، ليحل البويهيون محل إمرة الأمراء، وتبدأ معهم حقبة النفوذ البويهي أو المرحلة العباسية الرابعة، بعد القبض على المستكفي بالله وخلعه، ومبايعة الفضل بن المقتدر ولقبه المطيع لله[4].

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 291.

2 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 284.

3 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 2 ص 83.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6 ص 302، 315.

المرحلة الرابعة

النفوذ البويهي «الفارسي»

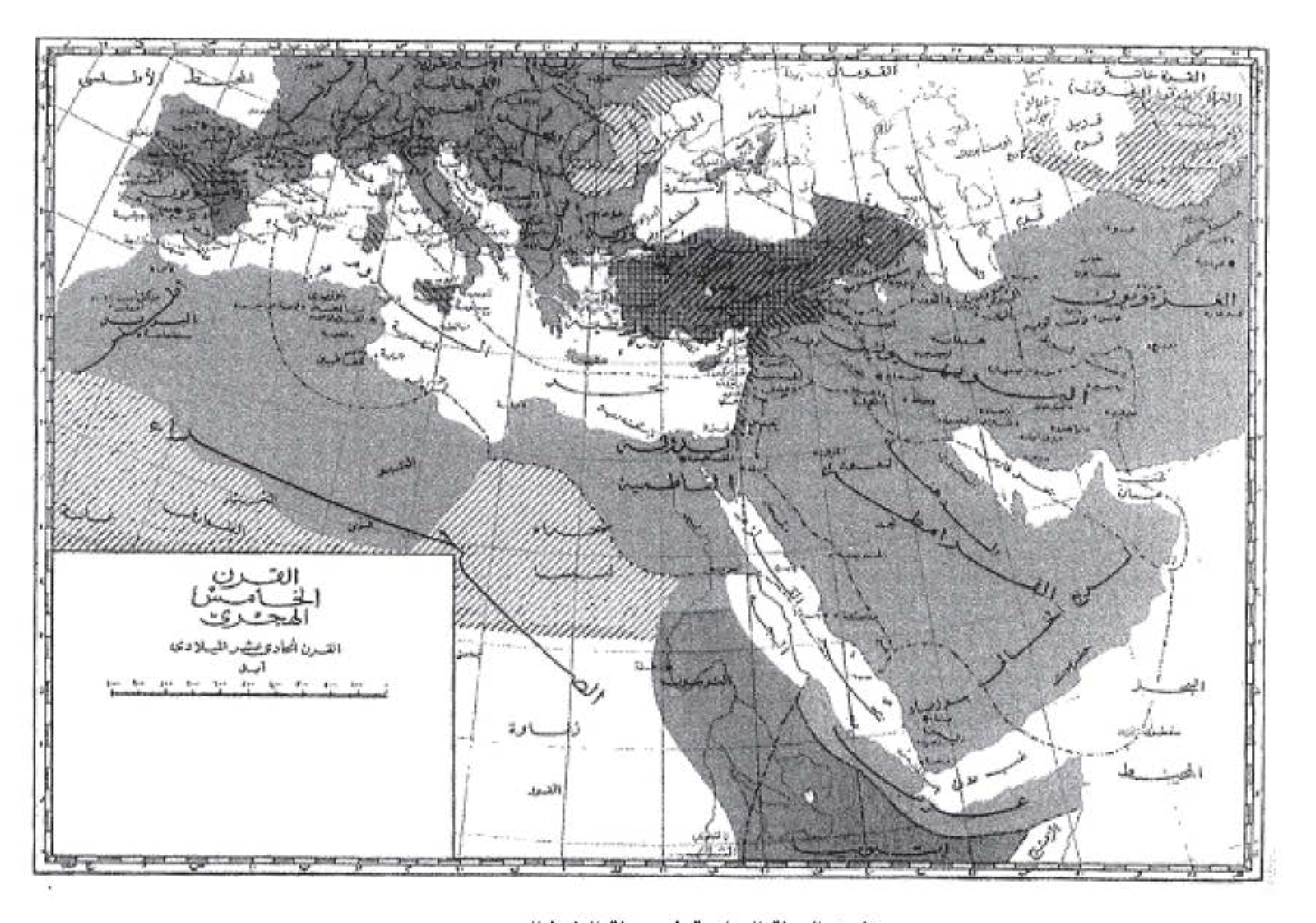
(334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)

1 ـ المطيع لله، الفضل بن المقتدر (334هـ/ 946م)

2 ـ الطائع لله، عبد الكريم بن المطيع (363هـ/ 973م)

3 ـ القادر بالله، أحمد بن إسحاق بن المقتدر (381هـ/ 991م)

4 ـ القائم بأمر الله، عبد الله بن القادر (422 ـ 447هـ/ 1031 ـ 1055م)



تفتت الدولة العباسية في مرحلة النفوذ البويهي

هاري وهازارد: أطلس التاريخ الاسلامي، ص 15.

الفصل الحادي عشر

النفوذ البويهي الفارسي

(334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)

بدأ العهد الذهبي للعلويين، نتيجة التسلط البويهي «الزيدي» على بغداد عام 334هـ/ 945م، وانتقال الخلافة الفاطمية «الإسماعيلية» من المغرب إلى مصر عام 362هـ/ 973م، ثم قيام خلافة بني حمود «الإدريسية» في الأندلس عام 407هـ/ 1016م.

امتدت مرحلة النفوذ البويهي مائة وثلاثة عشر عاماً هجرياً/ مائة وعشرة أعوام ميلادية (334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)، تعاقب خلالها أربعة خلفاء عباسيين فقط، هم: المطيع لله، الطائع لله، القادر بالله، والقائم بأمر الله. في حين تعاقب من جهة ثانية، أحد عشر ملكاً بويهياً على حكم بغداد.

1 ـ الخليفة الثالث والعشرون المطيع لله

(334 ـ 363هـ/ 946 ـ 973م)

المطيع لله هو الفضل بن المقتدر بن المعتضد، وهو ابن عم المستكفي بالله، بويع بالخلافة في 12 جمادي الثانية 334هـ/ 29كانون الثاني 946م، وخلع عنها في منتصف ذي القعدة 363هـ/ 7 آب 974م، فكانت مدة خلافته تسعة وعشرين عاماً وخمسة أشهر.

أ ـ قيام الإمارة البويهية «الفارسية» في بغداد (334هـ/ 945م)

يعود نسب البويهيين إلى زعيم فارسي اسمه فناخسرو أبو شجاع بويه، عاش في إقليم الديلم على السواحل الجنوبية لبحر قزوين، وطبيعة هذا الإقليم بصورة عامة جبلية، ما يعني أن الديالمة شعب صعب المراس ومحارب، دخل الإسلام على المذهب الزيدي، وتمكن أولاد بويه الثلاثة علي والحسن وأحمد، من السيطرة على الري وأصفهان وطبرستان وجرجان.

كان أحمد بن بويه، ينتظر الفرصة لدخول بغداد، وهو يدرك الأزمة الاقتصادية التي تعيشها، فضلاً عن الفوضى السياسية والعسكرية، ولكنه فشل أمام قوة أمير الأمراء توزون التركي الذي أنزل به الهزيمة عام 333هـ/ 944م. وما لبث توزون أن توفي في السنة التالية، ليخلفه أمير الأمراء أبو جعفر بن شيرزاد الذي تعسف في جباية الأموال، فضج من أعماله بعض أمراء بغداد والمدن، فشجعوا أحمد بن بويه للزحف نحو بغداد، فدخلها دون مقاومة تذكر في 11 جمادي الأولى 334هـ/ 945م. واستقبله الخليفة العباسي المستكفي بالله بحفاوة وأعطاه منصب أمير الأمراء ومنحه لقب «معز الدولة»، كما منح أخاه علي لقب «عماد الدولة» وأخاه الحسن لقب «ركن الدولة»[1].

وما لبث معز الدولة أحمد بن بويه، أن عزل المستكفي بالله عن الخلافة، بعد أحد عشر يوماً فقط من دخوله بغداد، وعين مكانه المطيع لله العباسي[2]. وبذلك أسس البويهيون إمارة وراثية في بغداد حاضرة الخلافة العباسية التي تحولت إلى مؤسسة شكلية أمام التسلط البويهي، حيث السلطة والنفوذ بيد ملوك بني بويه.

ومنذ دخوله بغداد عام 334هـ/ 945م، ومنحه لقب أمير الأمراء، اتخذ معز الدولة أحمد بن بويه لقب «ملك» وجعل إمرة الأمراء وراثية في بني بويه،

---

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 287.

2 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 2، ص 86 ـ 87.

ما أوجد نوعاً من الاستقرار السياسي[1]، عكس ما كان عليه الحال في المرحلة العباسية الثالثة حيث الفوضى العسكرية والتنافس بين القادة الأتراك. وأدى هذا الاستقرار السياسي، إلى تعاقب أربعة خلفاء عباسيين فقط في مرحلة تسلط ملوك بني بويه على بغداد التي امتدت مائة وثلاثة عشر عاماً هجرياً/ مائة وعشرة أعوام ميلادية. فلم يستبدل الخلفاء بسرعة كما كان الحال في مرحلة النفوذ التركي[2]، فقد حكم المطيع لله 29 عاماً، والطائع لله 18 عاماً، والقادر بالله 41 عاماً، والقائم بأمر الله 24 عاماً.

ب ـ محاولتا الدولة الحمدانية في الموصل دخول بغداد

(334هـ/ 946م) و (347هـ/ 958م)

ذاعت شهرة الحمدانيين، بوصفهم قوة عربية، للقضاء على أعداء الخلافة والخارجين عليها. فقلد الخليفة المقتدر بالله على الموصل أبا الهيجاء عبد الله بن حمدان عام 292هـ/ 904م، ثم آل حكم الموصل إلى ابنه الحسن. وما لبث الخليفة المتقي لله أن كافأ الحسن بن عبد الله بن حمدان بلقب «ناصر الدولة»[3] وأخاه علي

1 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1، ص 416.

2 ـ حسن أحمد محمود: العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص 519.

3 ـ ناصر الدولة، أبو محمد الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي (ت 358هـ/ 968م): كان صاحب الموصل وما يليها، لقبه المتقي العباسي بناصر الدولة، ونصبه أمير الأمراء، ولما توفى أخوه سيف الدولة عام 356هـ/ 966م، تغيرت أحواله، فحجر عليه ولده أبو تغلب، ونقله إلى قلعة من القلاع، حيث توفى عام 358هـ/ 968م. الزركلي: الإعلام، ج 2، ص 210.

بلقب سيف الدولة[1]، وذلك عام 330هـ/ 941م[2].

أصبحت بغداد تحت حكم بني بويه، لتعرف الدولة العباسية عصراً جديداً يتمثل بالنفوذ البويهي الفارسي، منذ عام 334هـ/ 946م. وقد خشي معز الدولة البويهي من قوة الدولة الحمدانية في الموصل، فسار بصحبة الخليفة العباسي المطيع لله لمحاربة ناصر الدولة الحمداني، فالتقى الجيشان عند عكبرة، وتمكن ابن شيرزاد من دخول بغداد عام 334هـ/ 946م ليحكمها باسم ناصر الدولة الحمداني، الذي لحق به إلى بغداد، ليخطب على منابرها للخليفة الأسبق المتقي لله. ثم تمكن معز الدولة البويهي من استرداد بغداد بعد أربعة أشهر، فاضطر ناصر الدولة الحمداني للانسحاب إلى الموصل، بعد عقد الصلح بينهما مطلع عام 335هـ/ 946م[3].

استمر الصراع بين البويهيين والحمدانيين حول السيطرة على بغداد. ففي عام 345هـ/ 956م، انتهز ناصر الدولة الحمداني فرصة خروج معز الدولة البويهي من بغداد إخماد الثورة في الأهواز، ودخل بغداد مجدداً. وبعد القضاء على الثورة، عاد إلى بغداد، ليخرج منها ناصر الدولة الحمداني. ثم تابع معز الدولة زحفه ليستولي على الموصل، مرغماً ناصرالدولة الحمداني على اللجوء إلى أخيه سيف الدولة الحمداني في حلب، فتمكن سيف الدولة من عقد الصلح مع معز الدولة البويهي عام 347هـ/ 958م واستعادة الموصل من البويهيين[4]، ليعود

---

1 ـ سيف الدولة أبو الحسن علي بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان بن حمدون التغلبي (ت 356هـ/ 966م): ولد عام 303هـ/ 915م، وهو صاحب حلب، ممدوح المتنبي، كان جواداً كريماً، شجاعاً. توفي في حلب عام 356هـ/ 966م. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 58.

2 ـ مسكويه: تجارب الأمم، ج 2، ص 28.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 329.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 220.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 353 ـ 354.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 233.

إليها ناصر الدولة الحمداني، ويستقر أمر معز الدولة البويهي في بغداد[1].

دب الضعف في الدولة الحمدانية في الموصل، بعد وفاة ناصر الدولة الحمداني عام 358هـ/ 968م، لتنتهي هذه الدولة على يد البويهيين عام 386هـ/ 994م.

أما سيف الدولة الحمداني فتمكن من السيطرة على حلب وشمال بلاد الشام عام 333هـ/ 944م، مؤسساً دولة قوية، نجحت في غزو بلاد الروم وتحقيق النصر في معظم الغزوات الأربعين، وقد أسر ابن عمه الشاعر أبو فراس الحمداني في إحداها[2]. واجتمع في بلاط سيف الدولة الحمداني مشاهير الشعراء والأدباء والعلماء وفي طليعتهم: المتنبي، ابن خالويه، الفارابي، الطبيب عيسى بن الرقي[3]. وقد وصف الثعالبي سيف الدولة بأنه غرّة الزمان وعماد الإسلام[4].

تعرضت الدولة الحمدانية للضعف بعد وفاة سيف الدولة في حلب[5] في صفر 356هـ/ 967م، فخلفه ابنه سعد الدولة[6] (356 ـ 381هـ/ 967 ـ 991م) ثم حفيده سعيد الدولة (381 ـ 392هـ/ 991 ـ 1002م) وقد قتل على يد الوصي لؤلؤ، الذي ما لبث أن ملك الدولة الحمدانية باسم ولدي سعيد الدولة: أبو الحسن علي وأبو المعالي شريف، ثم انفرد بالحكم حتى وفاته عام 399هـ/ 1008م فخلفه ابنه منصور الذي اعترف بسلطان الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وبذلك انتهت الدولة الحمدانية في حلب على يد الدولة الفاطمية[7].

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 316.

2 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 284 ـ 285.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 202.

3 ـ ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج 2، ص 79.

4 ـ الثعالبي: يتيمة الدهر، ج 1، ص 11 ـ 12.

5 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 233.

6 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 151 ـ 153.

7 ـ ابن العميد:تاريخ المسلمين، ص 56 ـ 58.

ج ـ قيام الدولة الغزنوية «التركية» (351هـ/ 962م)

كان البتكين من الموالي الأتراك، تولى حكم غزنة التابعة للدولة السامانية، بعد وفاة أبيه عام 351هـ/ 962م. وتمكن من إقامة دولة تركية مستقلة عن السامانيين الفرس، فعرفت باسم الدولة الغزنوية نسبة إلى غزنة التي تقع في قلب جبال سليماني شمال الهند. ثم توفي عام 352هـ/ 963م، ليخلفه ابنه إسحاق الذي لم يتمكن من مد نفوذ الدولة الغزنوية، فخلفه أحد مماليكه ويدعى بلكاتكين عام 355هـ/ 966م، ثم أحد أهالي غزنة ويدعى بيري عام 362هـ/ 972م.

ويعتبر ناصر الدين سبكتكين، زوج ابنة البتكين وأحد مماليكه، المؤسس الحقيقي للدولة الغزنوية التي تولاها عام 366هـ/ 976م، فأخذت تتوسع في عهده[1]، ليخلفه ابنه إسماعيل عام 387هـ/ 997م، لكنه لم يستمر في الحكم أكثر من سبعة أشهر بسبب عجزه وضعفه، فأزاحه أخوه محمود الغزنوي الذي استمر في الحكم طيلة ثلاثة وثلاثين عاماً (388 ـ 421هـ/ 998 ـ 1030م) بلغت معها الدولة الغزنوية ذروة القوة والمجد، بعد ان دخل خراسان وقطع الخطبة للسامانيين الفرس وأخذ يخطب للخليفة العباسي القادر بالله الذي خلع عليه بلقب «يمين الدولة وأمين الملة»[2]. وبذلك زالت الدولة السامانية في خراسان عام 389هـ/ 999م[3]، فتحول النفوذ من العنصر الفارسي إلى العنصر التركي[4].

ويعود الفضل لمحمود الغزنوي في تأسيس أول دولة إسلامية في الهند، بعد أن جعل من البنجاب ولاية إسلامية قاعدتها لاهور. فقد غزا الهند اثنتي عشرة مرة بدافع الجهاد والرغبة في نشر الإسلام بين الهنود الوثنيين، فنشر الإسلام في

---

1 ـ العتبي: تاريخ اليميني، ج 1 ص 63.

2 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1 ص 84، 85.

3 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 1، ص 54.

4 ـ العتبي: تاريخ اليميني، ج 1، ص 384 ـ 386.

البنجاب والبنغال والسند شمال الهند، وهي المناطق التي تتألف منها باكستان في يومنا هذا، وحطم الأصنام وأشهرها صنم سوفيان في ناردين[1]، وبنى المساجد.

وعاش في كنف يمين الدولة محمود الغزنوي، المؤرخ أبو نصر محمد بن عبد الجبار العتبي (ت 428هـ/ 1036م) الذي وضع تاريخ اليميني باللغة العربية، نسبة إلى لقبه يمين الدولة، وهو تاريخ عن حياة محمود الغزنوي وجهاده إلى عام 409هـ/ 1018م.

وبوفاة محمود الغزنوي عام 421هـ/ 1030م، تولى الحكم ابنه محمد «جلال الدولة» لمدة خمسة أشهر فقط[2]، أزاحه بعدها أخوه مسعود الأول «ناصر دين الله»[3] الذي استمر في الحكم حتى مقتله على يد أنصار أخيه محمد عام 432هـ/ 1040م، فتمكن ابنه مودود «شهاب الدولة» من القضاء على المؤامرة سريعاً، فانتصر على عمه محمد، ودانت له السلطة حتى وفاته عام 441هـ/ 1048م، بعد أن حكم تسع سنوات وعشرة أشهر[4] فتولى الحكم ابنه مسعود الثاني لمدة خمسة أيام فقط، بسبب الاضطرابات، فخلفه عمه أبو الحسن علي بن مسعود الأول ولقبه «بهاء الدولة»، وأسرع عبد الرشيد بن محمود الغزنوي ليسيطر على الحكم عام 441هـ/ 1049م ولقبه «عز الدولة». وما لبث طغرل زوج أخت مودود أن ثار عليه وقتله عام 444هـ/ 1052م، ليغتصب الحكم ويتزوج إبنة مسعود الأول. ثم انقلب القادة على طغرل وقتلوه عام 447هـ/ 1055م، وولوا فروخ شاه مكانه حتى وفاته عام 451هـ/ 1059م، ليخلفه أخوه إبراهيم بن مسعود «ظهير الدولة» الذي تولى السلطنة طيلة إحدى وأربعين سنة، فتولى بعده: مسعود الثالث «علاء

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 9، ص 91 ـ 96.

2 ـ المصدر نفسه، ج 9، ص 150.

3 ـ المصدر نفسه: ج 9، ص 181.

4 ـ المصدر نفسه، ج 9، ص 208.

الدولـة» عـام 492هــ/ 1099م، شـيرزاد «كـمال الدولـة» عـام 508هــ/ 1114م، أرسـلان «سـلطان الدولـة» عـام 509هــ/ 1115م، بهـرام شـاه «يمـين الدولة» عـام 512هــ/ 1118م، خشروشـاه «معز الدولـة» عـام 547هــ/ 1152م، وخسرو مالك «تاج الدولة» عام 555هـ/ 1160م فكان آخر سـلاطين الدولـة الغزنويـة التـي زالـت عام 582هــ/ 1186م، على أيدي قوتين هما: السـلاجقة الأتـراك الذين اسـتولوا عـلى ممتلكاتهـا في خراسـان، وقـوة شـهاب الديـن الغوري الذي قـضى على ملكهـا في الهند، ليؤسـس ثـاني دولـة إسـلامية في الهنـد، وهـي الدولـة الغوريـة التي سـميت كذلـك نسـبة إلى مكان نشـأته في جبـال الغـور بين هـرات وغزنة.

د ـ انتقال الخلافة الفاطمية من المغرب إلى القاهرة (362هـ/ 973م)

أواخـر عهـد الخليفـة العبـاسي المطيـع للـه، انتقلت الخلافـة الفاطمية مـن المغـرب إلى مصر عام 362هــ/ 973م، بعـد فشـلها في توحيـد جميع مناطق المغـرب الكبير تحت رايتهـا، وفي ضم الأندلس إلى نفوذهـا بعـد أن قامـت فيه الخلافـة الأموية[1].

كانـت مـصر مجـرد دولـة أخشـيدية مسـتقلة عـن الدولـة العباسـية، تـوفي مؤسسـها كافـور الأخشـيدي عـام 357هــ/ 968م، فاسـتغل الخليفـة الفاطمـي المعـز لديـن اللـه الفرصـة وأرسـل قائـده جوهـر الصقـلي عـلى رأس حملـة من مائـة ألف انطلقـت من القـيروان عام 358هــ/ 969م، واسـتولت عـلى الإسـكندرية ثـم الجيـزة. ثـم نـزل الجيـش الفاطمـي شـمال شرق الفسـطاط، حيث أسـس جوهـر مدينـة المنصورية لتكون قاعدة سياسـية وعسـكرية للخلافـة الفاطميـة، وبعد انتقال المعـز لديـن اللـه إليهـا عام 362هـ/ 973م، سـماها القاهـرة تفاؤلاً بأنها سـتقهر الخلافة العباسـية[2].

---

1 ـ سوزي حمود: الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك، ص 18.

2 ـ المرجع نفسه، ص 18.

قامت الخلافة الفاطمية على أساس المذهب «الإسماعيلي» وهدفها أن تحل مكان الخلافة العباسية «السنية»، لأنها ترى أحقية أحفاد النبي ﷺ من ابنته فاطمة عليها السلام بالخلافة التي تسوقها إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وهو شقيق موسى الكاظم الإمام السابع عند الشيعة «الاثني عشرية»، ثم إلى أبناء إسماعيل حتى عبد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية في المغرب. وأصبح الجامع الأزهر رمزاً للدعوة الاسماعيلية منذ افتتاحه رسمياً يوم الجمعة 7 رمضان 361هـ/ 21 حزيران 972م[1].

وبذلك، أضحت الخلافة العباسية في بغداد تحت سيطرة البويهيين، وهم من العلويين على المذهب الزيدي، وأصبحت مصر ومعها جزء كبير من بلاد الشام والحجاز واليمن، ولو لفترة قصيرة، تحت سيطرة الفاطميين وهم أيضاً من العلويين ولكن على المذهب الإسماعيلي. وأصبح المشرق العربي الإسلامي مشتتاً بين خلافتين متصارعتين على أرضه، وبخاصة في بلاد الشام[2]، وهما الخلافة العباسية والخلافة الفاطمية «الإسماعيلية»، بينما في الأندلس خلافة أموية أسسها عبد الرحمن الثالث «الناصر لدين الله» عام 316هـ/ 929م.

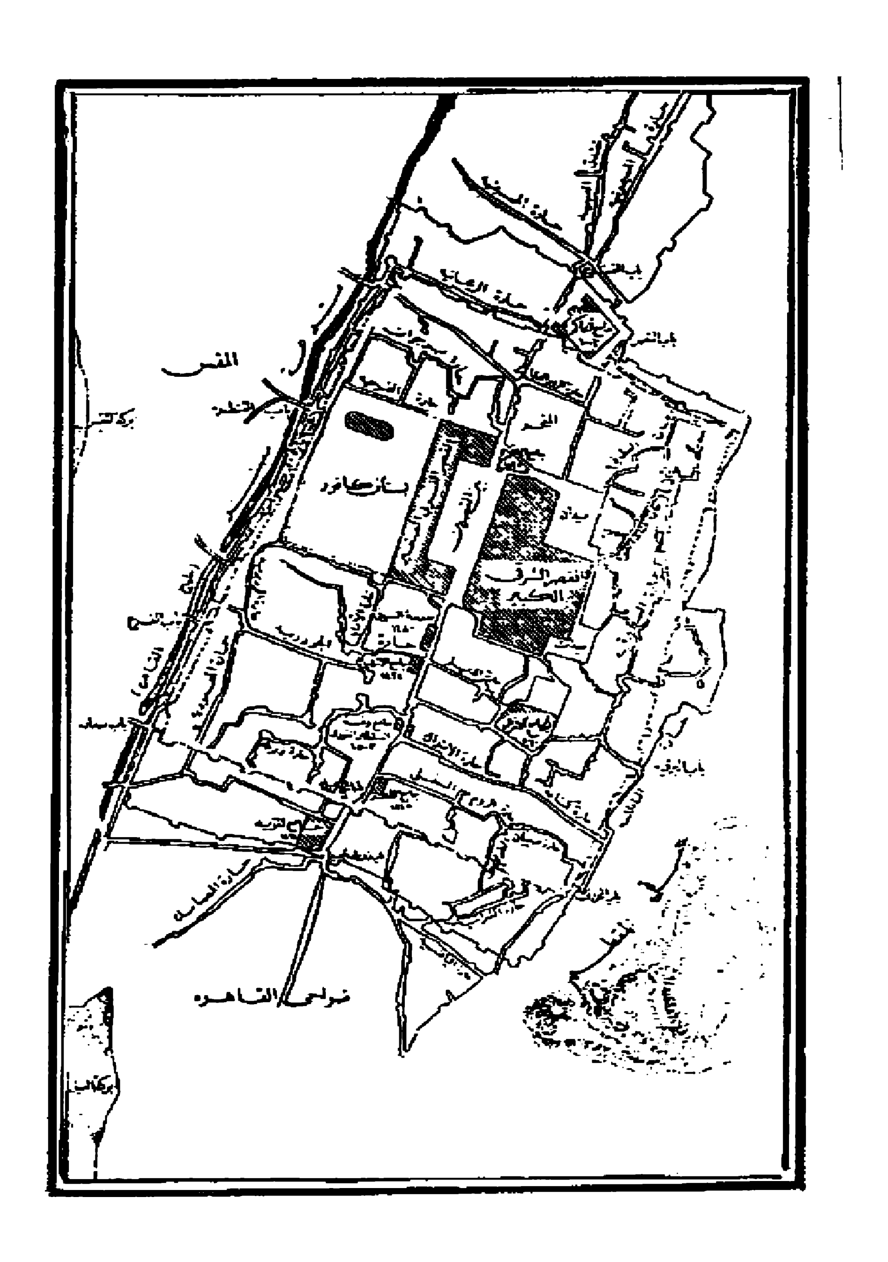
---

1 ـ سوزي حمود: الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك، ص 19.

2 ـ ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الأمم والملوك، ج 9، ص 15 ـ 26.

ابن العماد: شذرات الذهب، ج 3، ص 367.

ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج 4، ص 58.



القاهرة داخل السور والأبواب

عصام شبارو: المشرق العربي، ص 71.

كادت الخلافة العباسية في بغداد، أن تسقط لتحل مكانها الخلافة الفاطمية في القاهرة، حسب زعم بعض المؤرخين بأن عز الدولة البويهي، فكر في مبايعة الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بدلاً من الخليفة العباسي، فقال له أحد مستشاريه: «ليس هذا برأي، فإنك اليوم مع خليفة (أي الخليفة العباسي) تعتقد أنت وأصحابك (أي حسب المذهب الزيدي) أنه ليس من أهل الخلافة، ولو أمرتهم بقتله لقتلوه مستحلين دمه. ومتى أجلست بعض العلويين خليفة (أي الخليفة الفاطمي)، كان معك من تعتقد أنت وأصحابك صحة خلافته، فلو أمرهم بقتلك لفعلوه، ولو أمرت بقتله لم تطع بذلك»[1]. لذلك عدل عز الدولة عن هذه الفكرة، ولم يبايع الخليفة الفاطمي، وبقيت الخلافة العباسية.

وقد حرص البويهيون على إظهار الولاء للخلافة العباسية في بغداد، وعلى توثيق علاقتهم بالخلافة الفاطمية «الإسماعيلية» في القاهرة. وتجلى هذا الحرص، مع الملك البويهي عضد الدولة الذي تبادل الرسائل الودية مع الخليفة الفاطمي العزيز بالله عام 369هـ/ 980م، معترفاً بإمامة الفاطميين، وبفضل أهل البيت مظهراً الطاعة والمحبة، وذلك بعلم الخليفة العباسي الطائع لله، ما يشير إلى مدى الضعف الذي بلغته الخلافة العباسية في بغداد[2]. ولكن خشية عضد الدولة من ازدياد نفوذ الدولة الفاطمية في الأقاليم التابعة له، جعلته يوقف المراسلات مع الخليفة الفاطمي، بل إنه أيد الخلافة العباسية في دعوتها إلى إنكار نسب الفاطميين[3]. وقد سقطت الدولة الفاطمية في القاهرة على يد صلاح الدين الأيوبي يوم الجمعة 7 محرم 567هـ/ 10 أيلول 1171م.

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 6، ص 315.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 212.

2 ـ ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج 4، ص 124، 125.

3 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 2، ص 131.

هـ ـ لماذا لم يسقط البويهيون الخلافة العباسية في بغداد ولم يعلنوا الولاء للخلافة الفاطمية في القاهرة؟

نشأ بنو بويه نشأة علوية على المذهب الزيدي، في الديلم، وهم بذلك يوالون العلويين ولا يعتقدون أن للعباسيين حقاً بالخلافة. ومع ذلك لم يسقط البويهيون الخلافة العباسية ليحلوا مكانها خلافة علوية على المذهب الزيدي.

والزيدية تسوق الخلافة إلى زيد بن زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ثم إلى ابنه يحيى بن زيد. وهم لا يتبرؤون من إمامة الشيخين أبي بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما مع قولهم بأن علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل منهما، أي أنهم يجيزون إمامة المفضول مع وجود الأفضل، على عكس الإسماعيلية أو الإثني عشرية، فهما يرفضان إمامة الشيخين.

لذلك، تعتبر الزيدية أقرب الفرق العلوية إلى مذهب السنة، ولعل هذا هو السر الذي جعل البويهيين، وهم على المذهب الزيدي، يظهرون الولاء للخلافة العباسية «السنية»، حرصاً على مصلحتهم السياسية، وتمشياً مع المذهب الزيدي الذي يدينون به، وهو الاعتراف بإمامة المفضول مع وجود الأفضل. لذلك لم يبايع عز الدولة البويهي الخليفة الفاطمي في مصر المعز لدين الله بدلاً من الخليفة العباسي، مع أن الفاطميين هم على المذهب الإسماعيلي أي المذهب «الأفضل» من العباسيين الذين على المذهب «السني» أي المذهب «المفضول» وهذا ما أدى إلى حرص البويهيين على إظهار ولائهم للخلافة العباسية في بغداد، وعلى توثيق علاقتهم بالخلافة الفاطمية الإسماعيلية في القاهرة.

كان بمقدور معز الدولة أحمد بن بويه، حينما دخل بغداد عام 334هـ/ 945م، أن يسقط الخلافة العباسية، ليحل مكانها خلافة بويهية على المذهب الزيدي. ولكنه عدل عن رأيه[1]، بعدما أدرك أن الحكمة السياسية تقضي، حسب المبدأ الزيدي،

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8 ص 149.

بإقرار الخلافة العباسية، بسبب الظروف ولمصلحة السياسة، التي تطلبت فصل الدين عن السياسة، بعدما تحول الخليفة العباسي إلى رمز يمثل سلطة دينية وروحية لا صلة له بالحياة السياسية الدنيوية. لذلك رضي البويهيون الإبقاء على الخليفة العباسي شرط أن لا يحاول إعادة سلطته الدنيوية[1] التي فقدها منذ دخولهم بغداد. ولم يغفل معز الدولة البويهي أن غالبية سكان بغداد كانوا من أهل السنة، وأن نصف جيشه الذي دخل بغداد كان من الأتراك السنة، وأن مكانة الخليفة العباسية الدينية كانت لا تزال قوية عند عامة الناس. وهذا كله، جعل ملوك بني بويه لا يسقطون الخلافة العباسية، مع قدرتهم العسكرية على تنفيذ مثل هذا العمل الذي سيؤدي إلى حروب أهلية في المشرق الإسلامي، هم بغنى عنها.

2 ـ الخليفة الرابع والعشرون الطائع لله

(363 ـ 381هـ/ 973 ـ 991م)

أ ـ خلع المطيع لله وتنصيب الطائع لله (363هـ/ 973م)

أصيب المطيع لله بالفالج عام 360هـ/ 970م، وشل بسببه جانبه الأيمن وثقل لسانه. وعندما اشتد عليه المرض طلب منه سبكتكين حاجب عز الدولة البويهي، وكان مسيطراً على بغداد، أن يتنازل عن الخلافة لابنه عبد الكريم الطائع لله[2].

---

1 ـ البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، ص 132.

2 ـ الطائع لله (363 ـ 381هـ/ 973 ـ 991م): أبو بكر عبد الكريم الطائع لله بن المطيع لله، أمه هزار وقيل غيث، تولى الخلافة بعد خلع أبيه في ذي القعدة 363هـ/ 973م، وكان عمره إذ ذاك ثلاثاً وأربعين سنة وقيل ثماني وأربعين سنة. ثم خلع من الخلافة في 19 شعبان 381هـ/ 991م، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية شهور وستة أيام.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 148.

ابن كثير: البداية والنهاية، ج 11، ص 276، 308، 309.

زهير الكبي: موسوعة خلفاء المسلمين: ج 4، ص 118، 124.

فوقع المطيع لله على كتاب الخلع عام 363هـ/ 973م، ما يشير إلى مدى الضعف الذي وصلت إليه الخلافة العباسية. فكما تم خلع المطيع لله، فقد خلع أيضاً خلفه الطائع لله في 21 رجب 381هـ/ تشرين الأول 991م، فكانت مدة خلافته سبعة عشر عاماً وثمانية اشهر وستة أيام.

ب ـ زواج الطائع لله من شاه زنان ابنة عضد الدولة البويهي

(369هـ/ 979م)

أقام عضد الدولة البويهي مملكة تشمل ثلثي بلاد فارس وبلاد ما بين النهرين، واتخذ لقب شاهنشاه، أي ملك الملوك، لأول مرة في الإسلام، وظل هذا اللقب لمن جاء بعده من ملوك بني بويه، في المرحلة العباسية الرابعة، حيث فقد الخليفة العباسي كل سلطان.

وقد حاول عضد الدولة البويهي الوصول إلى الخلافة العباسية عن طريق المصاهرة مع الخليفة العباسي الطائع لله وتزويجه من ابنته الكبرى.

وقد شارك القاضي أبو علي المحسن التنوخي في الاحتفال الذي جرى من أجل عقد زواج الخليفة العباسي الطائع لله، على ابنة عضد الدولة الكبرى واسمها شاه زنان[1]، أي سيدة النساء، عام 369هـ/ 979م. فالقاضي التنوخي هو الذي خطب خطبة عقد النكاح، على صداق مبلغه مائة ألف دينار[2]، وقيل مائتي ألف دينار[3].

وكان عضد الدولة البويهي، قد زوج ابنته شاه زنان من الخليفة العباسي الطائع لله، مؤملاً أن تلد له حفيداً، يكون ولي عهد الخلافة، فتصبح الخلافة العباسية

---

1 ـ مسكويه: تجارب الأم، ج 3 ص 22.

2 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 262.

3 ـ مسكويه، تجارب الأمم، ج 3 ص 414.

والملك البويهي في بيت بني بويه[1]. ويبدو أن الطائع لله، شعر بما خطط له عضد الدولة في هذا الزواج، فأبعد شاه زنان عن فراشه. فلم يجد عضد الدولة خيراً من القاضي التنوخي، يتوسط في هذا الأمر، نظراً لعلاقته الطيبة بالبلاطين العباسي والبويهي، وهذا ما تجلى حينما خطب خطبة النكاح[2] في احتفال الزواج. فطلب عضد الدولة من القاضي التنوخي، أن يمضي إلى الطائع لله، ويقول له، عن والدة الصبية «إنها مستزيدة لاقبال مولانا عليها، وادنائه إليها، ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال، ويزول معه الانقباض، فقد كنت وسيط هذه المصاهرة»[3].

خشي القاضي التنوخي من التوسط، وشعر بخطورة القضية، فهو إن كلم الخليفة الطائع لله أغضبه، وإن اعتذر أغضب عضد الدولة، فاختار لنفسه أن يتمارض، بدل أن يعتذر، وحبس نفسه في داره، متعللاً بالتواء ساقه، وأنه لا يطيق مبارحة فراشة. لكن عضد الدولة، كشف أمر القاضي التنوخي[4]، وصب عليه جام غضبه، فعزله من جميع أعماله، ونصب مكانه، ستة قضاة[5]، يقومون بالعمل الذي كان منوطاً به وحده. كما أمره بأن يظل في داره حبيساً، لا يبارحها[6]. وبالفعل، بقي القاضي التنوخي على هذا الحال، حتى وفاة عضد الدولة بعلة الصرع[7]، يوم الاثنين 8 شوال 372هـ/ 982م.

---

1 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 262.

2 ـ ابن الجوزي: المنتظم، ج 7 ص 101.

3 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 4 ص 100.

4 ـ المصدر نفسه، ج 4 ص 100.

5 ـ المصدر نفسه، ج 4 ص 93.

6 ـ المصدر نفسه، ج 4 ص 101.

7 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3 ص 218.

ياقوت الحموي: معجم الأدباء، ج 6 ص 260.

وحاول بهاء الدولة تزويج ابنته من الخليفة القادر بالله[1]، ولكن هذه الحاولة، لم تنجح، بعدما أدرك الطائع لله ثم القادر بالله، الهدف منها، وهو انجاب خليفة من إمرأة بويهية.

وقد تدهورت مكانة المرأة كثيراً في المرحلة الرابعة من تاريخ الدولة العباسية، بسبب النفوذ البويهي، وخشية الخلفاء العباسيين على دورهم وحريمهم عند تبدل الحكام البويهيين. وغاب دور نساء الخلفاء في الحياة السياسية، لأن أزواجهن كانوا لا أمر لهم ولا نهي، مع تفرد البويهيين بالسلطة والنفوذ داخل بغداد.

ج ـ عضد الدولة ولقب شاهنشاه «ملك الملوك»

(370هـ/ 981م)

كان اسم أمير الأمراء البويهي يذكر جنباً إلى جنب مع إسم الخليفة العباسي في جميع الأقاليم التي سيطر عليها البويهيون، عدا الحاضرة بغداد[2]. وحينما جاء عضد الدولة إلى بغداد، أجبر الخليفة الطائع لله، عام 368هـ/ 979م، على ذكر اسمه في جوامع بغداد أيضاً. كما أجبره أن يخرج إلى مشارف بغداد، ليستقبله بصورة رسمية، عام 370هـ/ 981م، حين عودته.

كان عضد الدولة أول من استعمل لقب شاهنشاه «ملك الملوك»، وسكّه على النقود التي ضربت عام 370هـ/ 981م، وهي النقود التي أظهرت مدى ضعف

---

1 ـ القادر بالله (381 ـ 422هـ/ 991 ـ 1030م): أحمد بن اسحاق بن جعفر بن أحمد بن طلحة ابن المتوكل على الله، ولد عام 330هـ/ 941م، وأمه تمنى وقيل دمنة، تولى الخلافة في 12 رمضان 381هـ/ 991م بعد القبض على الطائع لله. وتوفي في ذي الحجة 422هـ/ 1030م وعمره ست وثمانون سنة ومدة خلافته إحدى وأربعون سنة وثلاثة اشهر وعشرون يوماً.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ ج 7، ص 354 ـ 355.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 411 ـ 417.

2 ـ محمد حلمي أحمد: الخلافة والدولة في العصر العباسي، ص 165 ـ 166.

الخليفة العباسي الذي يذكر عليها مجرداً من أي لقب، بينما تذكر جميع ألقاب الملك البويهي.

لم يعد للخليفة العباسي أي دور في اختيار أمير الأمراء البويهي أي الملك البويهي، لأن هذا المنصب في بغداد، أصبح وراثياً محصوراً في بني بويه، بل كان الملك البويهي هو الذي يعين الخليفة العباسي أو يعزله. ونجح عضد الدولة في إجبار الخليفة الطائع لله على إصدار مرسوم بتفويضه صلاحيات الخليفة رسمياً[1]، كما ينسب إليه المشهد العظيم الذي شيده على قبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام بمدينة النجف[2].

3 ـ الخليفة الخامس والعشرون القادر بالله

(381 ـ 422هـ/ 991 ـ 1031م)

(أ) عزل الطائع لله وتنصيب القادر بالله (381هـ/ 991م)

دخل الأمير البويهي بهاء الدولة وجماعته إلى دار الخلافة وأنزلوا الطائع لله عن سريره، وحمل إلى دار بهاء الدولة. ونودي في بغداد أن الخليفة الجديد هو القادر بالله ابن اسحاق بن المقتدر بالله وأن الطائع لله خلع نفسه[3]، في 2 رمضان 381هـ/ 3 تشرين الأول 991م. ولم يكتف البويهيون بخلع الطائع لله بل سملت عيناه وجدع أنفه وأذنه[4].

استمر القادر بالله بالخلافة حتى وفاته، في ذي الحجة 422هـ/ 18 كانون الأول 1031م، فكانت مدة خلافته واحداً وأربعين عاماً وثلاثة أشهر وعشرين يوماً.

---

1 ـ الصابي: رسوم دار الخلافة، ص 83.

2 ـ أحمد مختار العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي، ص 169.

3 ـ الذهبي: دول الإسلام، ص 207.

4 ـ التنوخي: نشوار المحاضرة، ج 7 ص 280.

ب ـ قيام خلافة بني حمود «العلوية» في الأندلس (407هـ/ 1016م)

بعد ثلاث وسبعين سنة من دخول البويهيين بغداد عام 334هـ/ 945م، وفي عهد الخليفة العباسي القادر بالله، تمكن والي سبتة في المغرب علي بن حمود، وهو من الأدارسة العلويين ينسب إلى الأمير حفص بن عمر بن إدريس الثاني، من الاستيلاء على مالقة والجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس، ليدخل قرطبة في 22 محرم 407هـ/ أول تموز 1016م[1]، ويبايع بالخلافة في اليوم التالي، وتلقب بـ «الناصر لدين الله».

وبذلك خرجت الخلافة في الأندلس لأول مرة من بني أمية، ليتولاها بنو حمود طيلة سبع سنوات، عادت بعدها الخلافة للأمويين عام 414هـ/ 1023م، لتسقط الخلافة الأموية نهائياً عام 422هـ/ 1031م، في حين اقتصرت خلافة بني حمود على مالقة والجزيرة الخضراء في جنوب الأندلس[2] الذي يطل مباشرة على ممتلكات بني حمود في سبتة وطنجة في المغرب.

ما لبث الانقسام أن حل بين بني حمود، فأخذ كل منهم يدعي الخلافة لنفسه[3]، لتنتهي دولتهم في جنوب الأندلس عام 449هـ/ 1057م، بعد حكم دام حوالى الأربعين سنة.

ج ـ سقوط الخلافة الأموية في قرطبة
(422هـ/ 1031م)

خرجت الخلافة في الأندلس لأول مرة من بني أمية، عام 407هـ/ 1016، ليتولاها بنو حمود طيلة سبعة أعوام، عادت بعدها الخلافة للأمويين مع مبايعة

---

1 ـ ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1، ص 29.

2 ـ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 3، ص 191.

3 ـ ابن الخطيب: أعمال الإعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ص 149.

عبـد الرحمـن بـن هشـام بـن عبـد القادر في جامـع قرطبـة، في 4 رمضـان 414هـ/ 20 تشريـن الثاني 1023م، واتخـذ لقب «المسـتظهر».

لم تـدم خلافـة المسـتظهر أكـثر مـن شـهرين، فقـد ثـار عليـه أهـل قرطبـة، وبايعـوا أمويـاً آخـر بالخلافـة في 3 ذي القعـدة 414هــ/ 17 كانـون الثـاني 1024م، وهـو محمد الثالث بـن عبد الرحمن بـن عبيـد اللـه النـاصر الـذي اتخذ لقب «المسـتكفي باللـه». وقد اسـتهل عهده بقتل «المسـتظهر». ثـم خلفـه هشـام الثالـث ولقبـه «المعتـد باللـه» في ربيـع الثاني 418هــ/ أيـار 1027م الـذي انقلب عليـه أهـل قرطبـة في 12 ذي الحجـة 422هــ/ 30 تشريـن الثـاني 1031م[1]، وتم خلعه، لتسـقط معه الخلافـة الأمويـة في الأندلـس، ويبـدأ حكـم ملـوك الطوائف[2].

وتـوفي الخليفـة العبـاسي القـادر باللـه بعد ثمانية عـشر يوماً فقط من سـقوط الخلافـة الأموية في قرطبـة، فخلفه القائـم بأمر الله.

4 ـ الخليفة السادس والعشرون القائم بأمر الله ـ الفترة الأولى

(422 ـ 447هـ/ 1031 ـ 1055م)

(أ) وفاة القادر بالله وتنصيب القائم بأمر الله (422هـ/ 1031م)

تـوفي القـادر باللـه في ذي الحجـة 422هـ/ 18 كانون الأول 1031م، ويبدو أنـه الخليفة الوحيد، في مرحلـة النفـوذ البويهـي، الـذي نجـا مـن الخلـع، بسـبب وفاته، ودفنـه بـدار الخلافة، قبـل أن تنقل رفاتـه في العـام التـالي، إلى تربة الخلفـاء في الرصافة.

وتـولى الخلافـة ابنـه القائـم بأمـر اللـه الـذي حـاول التخلـص مـن النفـوذ البويهـي. وهـو يـدرك أن الخلفـاء العباسـيين الذيـن سـبقوه في مرحلـة النفـوذ البويهـي، لم يتمكنـوا من الحفـاظ على رمز الخلافـة العباسـية، أي دار الخلافـة أو القـصر.

---

1 ـ ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ج 3 ص 151.

2 ـ عصام شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص 208.

فعندما خلع المستكفي بالله على يد معز الدولة البويهي عام 334هـ/ 945م، دخل الجنود ونهبوا دار الخلافة[1]. وعندما خلع الطائع لله عام 381هـ/ 991م، دخل بهاء الدولة البويهي إلى دار الخلافة ونهب ما فيها من الذخائر والنفائس[2]. وعندما تولى عضد الدولة البويهي السلطنة في بغداد، حاول الدخول إلى دار الخلافة راكباً بدابته، إلا أن الخليفة القائم بأمر الله بنى جداراً من الطين، فلم يسع عضد الدولة إلا الدخول ماشياً[3].

كما استعان القائم بأمر الله بالماوردي الذي وضع الكتب المختلفة لدعم الخلافة العباسية.

ب ـ الماوردي أول أقضى قضاة في الإسلام (429هـ/ 1038م)

نشأ الماوردي[4] والنفوذ البويهي في أوج قوته في بغداد، في حين اتخذ النفوذ الفاطمي شكل خلافة جديدة في القاهرة، فنصب نفسه للدفاع عن الخلافة العباسية ضد الدعوات التي حاولت القضاء عليها.

---

1 ـ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج 1 ص 430.

2 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7 ص 449.

ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة، ج 4 ص 159.

3 ـ الصابي: رسوم دار الخلافة، ص 80.

4 ـ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب (ت 450هـ/ 1058م) ولد في البصرة عام 364هـ/ 974م، وعرف بالماوردي نسبة إلى صنع ماء الورد وبيعه. درس الفقه، وتقلد القضاء في بلدان كثيرة، ثم عاد إلى بغداد ليعمل في التدريس. وقد عاصر الخليفة القادر بالله ثم الخليفة القائم بأمر الله الذي عهد إليه مهمات سياسية للتوسط بينه وبين ملوك بني بويه، فارتفعت مكانته حتى تولى منصب أقضى القضاة عام 429هـ/ 1038م. وكانت وفاته عام 450هـ/ 1058م.

ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3 ص 282 ـ 284.

ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج 9 ص 199.

عـاصر المـاوردي الخليفـة العبـاسي القادر بالله ثـم الخليفة القائم بأمر اللـه[1]، وعمل في خدمتهما. ووضـع الكتـب المختلفـة دعـماً للخلافة العباسـية وأشـهرها: الأحكام السـلطانية والولايـات الدينية، تسـهيل النظـر وتعجيـل الظفـر، أدب الوزيـر، نصيحـة الملـوك، الحاوي الكبـير في الفقه الشـافعي،... مـا جعـل الخليفـة العبـاسي القائـم بأمـر اللـه يكرمـه بلقـب «أقـضى القضـاة» لأول مـرة في الإسـلام عـام 429هــ/ 1038م[2]، وصاحـب هـذا اللقـب الجديد هـو دون منزلة قـاضي القضاة وينـوب عنه.

ج ـ التخلص من النفوذ البويهي «الفارسي» (447هـ/ 1055م)

وصلـت الدولـة العباسـية، عهـد الخليفـة القائـم بأمـر اللـه في فترتـه الأولى (422 ـ 447هــ/ 1031 ـ 1055م)، إلى أقـصى درجـات الانحـلال والتدهـور، وغـدت الحـاضرة بغـداد مسرحـاً للـصراع العسـكري بـين مختلـف عنـاصر الجيـش مـن عـرب وديلـم وأتـراك، وللـصراع المذهبـي، دون إغفـال الحـروب الكثـيرة بـين البويهيـين أنفسـهم عهـد آخـر ملوكهـم في بغـداد، الملـك الرحيـم الـذي شـهد صراعـاً مسـلحاً بـين إخوتـه السـبعة حـول السـيطرة عـلى مـدن العـراق وفـارس، مـا أتـاح الفرصـة للخليفـة العبـاسي القائـم بأمـر اللـه إلى طلـب النجـدة مـن السـلاجقة «السـنة» للقضـاء عـلى البويهيـين الزيديـة، فـأسرع السـلطان طغـرل بـك إلى بغـداد ليدخلهـا في 25 محـرم

1 ـ القائم بامر الله (422 ـ 467هـ/ 447 ـ 1074م): أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله، أمه أرمنية اسمها بدر الدجى وقيل قطر الندى ولد يوم الجمعة 18 ذي القعدة 391هـ/ 1000م. تولى الخلافة بعد وفاة والده القادر بالله، كانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية اشهر وخمسة وعشرين يوماً. وتوفي الخميس 13 شعبان 467هـ/ 1074م، عن أربع وتسعين سنة وثمانية أشهر وثمانية أيام.

ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 7، ص 354 ـ 355.

السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 417 ـ 420.

2 ـ عصام شبارو: قاضي القضاة في الإسلام، ص 291.

447هـ/ 1055م، ويقبض على الملك الرحيم، لتدخل الخلافة العباسية في مرحلة خامسة تمثل حقبة السيطرة السلجوقية.

ومن حسن حظ الماوردي، أن يشاهد نهاية النفوذ البويهي على يد السلاجقة، قبل ثلاثة أعوام من وفاته في بغداد عام 450هـ/ 1058م[1]. في حين بدأت الفترة الثانية من خلافة القائم بأمر الله (447 ـ 467هـ/ 1055 ـ 1075م) في ظل النفوذ السلجوقي.

1 ـ ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 3 ص 284.

المرحلة الخامسة

النفوذ السلجوقي

(447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)

القائم بأمر الله، عبد الله بن القادر [الفترة الثانية]	(447هـ/ 1055م)
1 ـ المقتدي بأمر الله، عبد الله بن محمد بن القائم	(467هـ/ 1075م)
2 ـ المستظهر بالله، أحمد بن المقتدي	(487هـ/ 1094م)
3 ـ المسترشد بالله، الفضل بن المستظهر	(512هـ/ 1118م)
4 ـ الراشد بالله، محمد بن المسترشد	(529هـ/ 1135م)
5 ـ المقتفي لأمر الله، محمد بن المستظهر	(530هـ/ 1136م)
6 ـ المستنجد بالله، يوسف بن المقتفي	(555هـ/ 1160م)
7 ـ المستضيء بأمر الله، الحسن بن المستنجد	(566هـ/ 1171م)
8 ـ الناصر لدين الله، أحمد بن المستضيء	[الفترة الأولى] (575 ـ 590هـ/ 1180 ـ 1194م)

الفصل الثاني عشر

«النفوذ السلجوقي»

(447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)

يعـود أصـل السـلاجقة إلى بعـض القبائـل التركيـة المعروفـة باسـم «الغـز» التـي كانـت تعيش في مرتفعـات تركسـتان، قبـل أن تتوحـد عـلى يـد سـلجوق بـن دقاق فسـميت بالسـلاجقة نسـبة إليه، واعتنقـت الإسـلام عـلى المذهـب السـنّي، بعـد نزوحهـا إلى بـلاد مـا وراء النهـر (نهـر جيحون).

وبدخول طغرل بك السـلجوقي إلى بغداد في 25 محرم 447هـ/ 1055م، دخلت الدولة العباسـية في مرحلتهـا الخامسـة التـي تميزت بالنفوذ السـلجوقي، ليتـوالى عليها ثمانية خلفاء، هـم: القائم بأمر اللـه في فـترة حكمـه الثانية عام 447هــ/ 1055م، المقتدي بأمر الله عام 467هـ/ 1057م، المسـتظهر باللـه عـام 487هـ/ 1094م، المسترشـد بالله عام 512هـ/ 1118م، الراشـد بالله عام 529هـ/ 1135م، المقتفـي لأمـر اللـه عام 530هـ/ 1136م، المسـتنجد بالله عـام 555هـ/ 1160م، المسـتضيء بأمر الله عـام 566هــ/ 1171م، والنـاصر لديـن اللـه عام 575هــ/ 1180م وهو الـذي تمكن من إنهـاء النفوذ السـلجوقي على بغداد عـام 590هـ/ 1194م.

1 ـ الخليفة السادس والعشرون القائم بأمر الله ـ الفترة الثانية

(447 ـ 467هـ/ 1055 ـ 1075م)

أ ـ دخول طغرل بك السلجوقي إلى بغداد

(447هـ/ 1055م)

يعتبر طغرل بك حفيد سلجوق، المؤسس الحقيقي لدولة السلاجقة، حينما بسط سيطرته على خراسان، ليقيم دولته ومركزها نيسابور[1] عام 428هـ/ 1036م، مع اعلان نفسه سلطاناً باسم «طغرل بك السلطان العظيم ركن الدنيا والدين»[2].

استولى طغرل بك على الري عام 434هـ/ 1042م، وعلى أصبهان عام 442هـ/ 1055م ليتخذها قاعدة لدولته الجديدة التي توسعت في فارس وشمال العراق وأرمينيا وآسيا الصغرى. وما لبث الخليفة العباسي القائم بأمر الله أن طلب نجدته لتخليص بغداد من التسلط البويهي، فدخلها في 25 محرم 447هـ/ 1055م، وسط مظاهر التقدير والتعظيم[3]، وتم اعتقال الملك الرحيم آخر ملوك البويهيين على العراق، وسجن في الري إلى حين وفاته عام 450هـ/ 1058م[4].

وأصبح مقر السلطان السلجوقي إما في نيسابور أو الري أو أصبهان، بعدما كانت بغداد مقر الملوك البويهيين في المرحلة العباسية الرابعة. وترك السلطان السلجوقي إدارة بغداد إلى ممثلين اثنين عنه، هما: العميد أي نائب السلطان، والشحنة وهو المسؤول الإداري والأمني فيها، ويعاون العميد والشحنة عدد كبير من العسكر. وأصبحت أموال العراق تصل السلطان السلجوقي، وهو الذي يرتب للخليفة العباسي ما يكفي لسد جميع نفقاته.

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8 ص 15.

2 ـ الراوندي: راحة القلوب وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص 157.

3 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12 ص 66.

4 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8 ص 71.

لم تختلف مرحلة السيطرة السلجوقية عن مرحلة التسلط البويهي من ناحية الموقف من الخلافة العباسية، إلا في بعض المظاهر الشكلية. فإذا كان السلطان السلجوقي لم يتخذ الحاضرة العباسية مقراً له، على غرار ما فعله الملك البويهي، إلا أن الخلفاء العباسيين الثلاثة القائم بأمر الله والمقتدي بأمر الله والمستظهر بالله، استمروا مسلوبي السلطة قليلي النفوذ في السياسة والإدارة، في فترة حكم سلاطين السلاجقة العظام الثلاثة: طغرل بك، ألب أرسلان، وملكشاه. وهذا ما جعل الخليفة القائم بأمر الله يقبل الزواج من خاتون أرسلان «خديجة» ابنة داود أخي طغرل بك، عام 448هـ/ 1056م، رغبة في كسب ود السلاجقة[1].

ب ـ السلطان السلجوقي ألب أرسلان (455 ـ 465هـ/ 1063 ـ 1072م)

تولى الحكم بعد وفاة السلطان طغرل بك عام 455هـ/ 1063م، ألب أرسلان (وهو ابن أخيه جفري) الذي حقق نصراً كبيراً على الروم البيزنطيين في معركة ملاذكرت عام 463هـ/ 1071م، وهي المعركة التي فتحت الطريق أمام السلاجقة للتوسع في آسيا الصغرى، بعدما وقع الامبراطور البيزنطي رومانوس نفسه أسيراً بيد السلطان ألب أرسلان الذي عامله معاملة حسنة وأطلق سراحه بعد عقد الصلح بينهما[2].

ج ـ وفاة القائم بأمر الله

(13 شعبان 467هـ/ 3 نيسان 1075م)

توفي القائم بأمر الله في 13 شعبان 467هـ/ 3 نيسان 1075، وكان قد تولى

---

1 ـ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص 159.

2 ـ الراوندي: راحة القلوب وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ص 189.

الحسيني: أخبار الدولة السلجوقية، ص 46.

الخلافة في ذي الحجة 422هـ/ تشرين الثاني 1031م، فكانت مدة خلافته أربعة وأربعين عاماً و وخمسة وعشرين يوماً هجرياً/ ثلاثة وأربعين عاماً وخمسة أشهر ميلادية.

2 ـ الخليفة السابع والعشرون المقتدي بأمر الله

(467 ـ 487هـ/ 1075 ـ 1094م)

بوفاة ألب أرسلان عام 465هـ/ 1072م، تولى السلطنة ابنه ملكشاه فبلغت الدولة السلجوقية ذروة اتساعها في عهده[1]، حتى امتدت من فلسطين جنوبا إلى أفغانستان شرقاً وآسيا الصغرى غرباً، بعد استعادته بلاد الشام من الفاطميين[2]، لتعود هذه المناطق تحت راية الخلافة العباسية «روحياً» وتحت النفوذ العسكري السلجوقي «سياسياً».

وبوفاة القائم بأمر الله في 13 شعبان 467هـ/ 3 نيسان 1075م، تولى الخلافة حفيده المقتدي بأمر الله بن الذخيرة محمد الذي توفي أيام أبيه.

أ ـ النهضة العلمية والأدبية

وتشاء الظروف أن تشهد البلاد نهضة علمية وأدبية، تعود إلى وجود الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله الذي استمرت خلافته تسعة عشر عاماً وثمانية أشهر (467 ـ 487هـ/ 1075 ـ 1094م)، وإلى وجود السلطان السلجوقي ملكشاه ابن ألب أرسلان الذي استمرت سلطنته عشرين عاماً (465 ـ 485هـ/ 1072 ـ 1092).

أمر المقتدي بأمر الله بنفي المغنيات والمفسدات من بغداد، ومنع الملاحين أن

---

1 ـ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 8 ص 110

2 ـ المصدر نفسه، ج 8 ص 122 ـ 126.

يحملـوا الرجـال والنسـاء مجتمعـين. ومنـع من إجراء مـاء الحمامات إلى دجلـة، وألـزم أربابها بحفر آبـار للمياه[1].

اشـتهر في عهـد السـلطان السـلجوقي ملكشـاه، ثلاثـة مـن كبـار علماءالفـرس، هـم: نظـام الملك، الشـاعر عمرالخيـام، والثائـر الاسـماعيلي الحسـن الصبـاح.

ـ نظام الملك

أدى الوزيـر نظـام الملـك[2] دوراً مهماً في إدارة شـؤون الدولة، فأشـار على السـلطان ببنـاء المدارس، فبنـى المدرسـتين المعروفتـين باسـم «النظاميـة» في بغـداد ونيسـابور، والمدرسـة الحنفيـة ببغـداد. ووضـع كتابـاً بالفارسـية عنوانـه «سياسـة نامـة» فيه إرشـادات ونصائح للحـكام السـلاجقة، وأهداه إلى السـلطان ملكشاه.

ـ عمر الخيام

بـرع عمـر الخيـام في الحسـاب والفلـك، وإن كانـت شـهرته الواسـعة اكتسـبها من رباعياتـه التي عرفـت بــ «رباعيـات الخيام» وهي في الشـعر وقد نقلت إلى العربية شـعراً ونـثراً، وإلى لغات عديدة في العالم.

ـ الحسن الصباح

أمـا الحسـن الصبـاح، فقـد أبعده الوزيـر نظام الملك لاعتناقـه تعاليم المذهب الاسـماعيلي، فرحل إلى القاهـرة عهـد الخليفـة الفاطمـي المسـتنصر باللـه عـام 465هــ/ 1072م، ثـم عـاد إلى فـارس، ولجـأ إلى قلعـة المـوت بجـوار بحـر قزويـن، فعرفـت دعوتـه في فـارس باسـم الدعـوة الجديـدة، وأنصـاره بالاسـماعيليين النزاريـن (نسـبة إلى نـزار بـن الخليفـة الفاطمـي المسـتنصر باللـه)، ومنهم: الحشاشـون أو الفداويـة. وبذلـك اعلـن الحسـن بـن الصبـاح انفصالـه عـن الدعـوة الفاطميـة الاسـماعيلية في القاهـرة التـي بايعـت المسـتعلي بالله بعد وفاة المسـتنصر بالله، فانقسـمت الدعوة

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 406.

2 ـ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص 159، 160.

الاسـماعيلية إلى قسـمين: نزاريـة ومسـتعلية. وأخـذ الحسـن بن الصبـاح ينشر دعوته إلى نـزار رافضاً البيعـة للمسـتعلي، وهدفـه انشـاء دولـة اسـماعيلية جديـدة تعـارض كلاً مـن الخلافـة الفاطمية في القاهـرة والخلافـة العباسـية في بغـداد، وقـد حقـق مكاسـب سياسـية مهمـة في بـلاد فـارس وشـكل خطـراً عـلى العـراق والخلافة العباسـية.

ب ـ موقف المقتدي بأمر الله من الصراع داخل البيت السلجوقي

اتخـذ تدخـل السـلاجقة في شـؤون الخلافـة العباسـية والعمـل عـلى إزالـة هيبتهـا شـكلاً سـافراً، عـام 485هــ/ 1092م، حينـما حدثـت جفـوة بين السـلطان السـلجوقي ملكشـاه والخليفـة العباسي المقتـدي بأمـر اللـه، فأقدم السـلطان عـلى طرد الخليفة، ولم يمهلـه ليتدبر أمره، وكاد الأمر يسـتفحل لـولا وفـاة السـلطان المفاجئـة في هـذا العام[1].

بعـد وفـاة ملكشـاه سـنة 485/ 1092، قـام النـزاع بـين ولـده الأكـبر بركيـاروق من زوجتـه زبيدة خاتـون مـن جهـة، وبـين ولـده الأصغر محمـود من زوجته تـركان خاتـون، وولديه الأوسـطين محمد وسـنجر مـن زوجـة ثالثـة، ثـم عمـه تتمش بـن ألب أرسـلان من جهـة أخرى. وانقسـمت السـلطنة السـلجوقية عندمـا اسـتطاعت تـركان خاتـون الحصـول عـلى تأييـد الخليفـة العباسي المقتـدي الذي اعـترف بابنهـا محمـود سـلطانا عـلى السـلاجقة في بغـداد سـنة 485/ 1092 وهـو في الرابعـة مـن عمـره[2] ووزر لـه تـاج الملـك الشـيرازي، بينـما تـولى بركيـاروق السـلطنة في أصفهـان، وهـو لا يتجاوز بـدوره الثالثـة عـشرة مـن عمره.

اسـتطاعت تـركان خاتـون أن تسـيطر عـلى أصفهـان ليتراجـع بركيـاروق جنوبـاً، واسـتمالت إلى جانبهـا إسـماعيل بـن ياقـوتي وهـو خـال بركيـاروق، بعـد أن وعدتـه بالـزواج منهـا إذا مـا تـمّ القضـاء عـلى ابـن اختـه. ولكـن بركيـاروق اسـتطاع إنـزال

---

1 ـ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص 159، 160.

2 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي، ص 30.

الهزيمة بزوجة أبيه تركان خاتون وخاله اسماعيل، وما لبثت الأولى أن ماتت مع ابنها محمود بالجدري، بينما قتل الثاني مع الوزير تاج الملك الشيرازي على يد أنصار بركياروق، الذي دخل بغداد مع وزيره عز الملك الحسين في يوم الجمعة 17 ذي القعدة 486/ 9 كانون الأول 1093 واعترف الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله، بسلطنته في يوم الجمعة 14 محرم 487/ 3 شباط 1094. وشاءت الظروف أن يموت المقتدي العباسي في اليوم التالي لإعلان اعترافه هذا، فخلفه المستظهر بالله الذي اعترف بدوره بسلطنة بركياروق.

3 ـ الخليفة الثامن والعشرون المستظهر بالله

(487 ـ 512هـ/ 1094 ـ 1118م)

توفي المقتدي بأمر الله في 14 محرم 487هـ/ 3 شباط 1094م، فبويع بالخلافة ولده أبو العباس أحمد المستظهر بالله الذي استمر خليفة، حتى وفاته في 11 ربيع الآخر 512هـ/ 1118م، فكانت خلافته أربعة وعشرين عاماً وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً، وكان عمره حين توفي واحداً وأربعين عاماً وستة أشهر وستة أيام[1].

وقد عاصر المستظهر بالله أحداثاً خطيرة في تاريخ المشرق العربي الإسلامي، تمثلت بمجيء الحملة الصليبية الأولى وتأسيس إمارات الفرنج في ساحل بلاد الشام من جهة، وبالصراع بين السلاجقة.

أ ـ الحملة الصليبية الأولى وتأسيس إمارات الفرنج ومملكة بيت المقدس (489 ـ 503هـ/ 1096 ـ 1109م)

شهد مطلع خلافة المستظهر بالله، خروج الفرنج من غرب أوروبا وتحديداً من فرنسا وألمانيا وإيطاليا، عام 489هـ/ 1096م، وتمكنوا من تأسيس إمارة

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 409.

الرها عام 490هـ/ 1097م، وإمارة أنطاكية عام 491هـ/ 1098م ثم مملكة بيت المقدس عام 492هـ/ 1099م، وكونتية طرابلس عام 503هـ/ 1109م.

أمام هذه الكارثة التي حلت ببلاد الشام، اتجه قاضي دمشق زين الدين أبو سعد الهروي على رأس وفد من أهل الشام، نحو الخليفة العباسي المستظهر بالله في بغداد، يستنجدون به، فوجدوه عاجزاً. ومع ذلك استنجد الخليفة العباسي بالسلطان السلجوقي بركياروق، على أساس أن السلاجقة هم حماة الخلافة العباسية في تلك المرحلة، لكن السلاجقة لم يتمكنوا من التصدي للفرنج، كما لم تنجح الخلافة الفاطمية في وقف هجوم الفرنج. فكان الانقسام بين الخلافتين العباسية والفاطمية كافياً لتحقيق الفرنج انتصاراتهم وتأسيس مملكة بين المقدس وإمارتي الرها وأنطاكية وكونتية طرابلس[1].

ب ـ عدم استفادة المستظهر بالله من الصراع داخل البيت السلجوقي

لم يعرف الخليفة العباسي المستظهر بالله، كيف يستفيد من الصراع بين الإخوة والأبناء حول السلطنة السلجوقية، ليتخلص من نفوذ السلاجقة.

فبعد وفاة السلطان السلجوقي ملكشاه، تحولت سلطنة السلاجقة إلى خمس إمارات سلجوقية هي: خراسان، العراق، كرمان، بلاد الشام، وبلاد الروم في آسيا الصغرى. وكان الخليفة العباسي يتأرجح في تيارات الانقسامات السياسية، وينضم لمن ترجح كفته، فأصبح تابعاً لمن يحكم العراق. وبذلك اعترف المستظهر بالله، على غرار والده المقتدي بأمر الله، بسلطنة بركياروق بن ملكشاه.

ثم قام النزاع بين السلطان بركياروق وأخويه غير الشقيقين محمد وسنجر، وأعلن محمد بن ملكشاه نفسه سلطاناً على همدان والري عام 492/ 1098.

---

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 94.

واعـترف بـه الخليفـة العبـاسي في ذي الحجـة 942/ 1099، فأضحـى بذلـك عـلى عـرش السـلاجقة سـلطانان في وقـت واحـد. وظـل النـزاع بـين الإخـوة محتدمـاً، في الوقت الـذي تحركت فيـه الحملة الصليبيـة الأولى نحـو المـشرق العـربي الإسـلامي عـام 489/ 1096. وأمام هذا الخطـر الصليبي القادم مـن الغـرب الأوروبي، تـم الصلـح النهـائي بـين السـلطانين الأخويـن في عـام 497/ 1103، واتفقـا على اقتسـام السـلطنة السـلجوقية، فتـولى بركيـاروق المناطـق الجنوبية (بـلاد الجبل، العـراق العربي)، في حـين تـولى محمـد المناطـق الشـمالية (أذربيجـان، بـلاد الأرمـن) ويتبعـه سـلاجقة الشـام وسـلاجقة الروم[1].

أوصى بركيـاروق قبـل وفاتـه، بالسـلطنة لابنـه ملكشـاه الثـاني، وكان طفـلاً لا يتجاوز الخامسـة عند وفـاة أبيـه عـام 498 هــ/1104. لذلـك حمله الـوصي عليه «أيـاز» إلى بغداد، ليعـترف الخليفة العباسي بسـلطنته. وهنا اتفق الأخوان محمد وسـنجر على إعلان أكبرهما محمد بن ملكشـاه سـلطاناً وحيداً، فـأسرع إلى دخـول بغـداد، حيـث تمكن من اسـتمالة «أياز» وجعله وزيراً له. وبذلك اسـتبعد ملكشـاه الثـاني بعـد حكـم دام بضعة أشـهر، كما سـمل عينيه رغم صغـره، وكانت هذه العـادة متبعة في إقصاء السـلاطين بعضهم لبعض. وبذلك انفرد محمد بن ملكشـاه بالسـلطنة السـلجوقية[2].

تـوفي السـلطان السـلجوقي محمـد بـن ملكشـاه عـام 511هــ/ 1117م، وذلـك قبـل أربعة أشـهر مـن وفـاة الخليفـة العبـاسي المسـتظهر باللـه الـذي لم يحـاول الاسـتفادة مـن الصراع بين السـلاجقة للتخلـص مـن نفوذهم.

وبوفـاة المسـتظهر باللـه عام 512هــ/ 1118م، ومبايعة ابنه المسترشـد بالله بالخلافـة، بدأ العمل فعليـاً لاسـترداد هيبـة الخلافة العباسـية والتخلص من النفوذ السـلجوقي.

---

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 31.

2 ـ المرجع نفسه، ص 32.

4 ـ محاولة الخلفاء الأربعة

استرداد هيبة الخلافة العباسية

(512 ـ 566هـ/ 1118 ـ 1171م)

سنحت الفرصة أمام الخلفاء العباسيين لمقاومة السيطرة السلجوقية في فترة الصراع بين الأمراء السلاجقة الصغار على السلطنة (512 ـ 555هـ/ 1118 ـ 1160م)، حيث خاض الخلفاء الأربعة: المسترشد بالله والراشد بالله والمقتفي لأمر الله، والمستنجد بالله المعارك من أجل احياء نفوذ الخلافة العباسية وقادوا الجيوش بأنفسهم، واصطدموا بالسلاطين السلاجقة، ونجحوا في مواجهتهم حتى تراجعت سيطرتهم في العراق.

أ ـ الخليفة التاسع والعشرون المسترشد بالله

(512 ـ 529هـ/ 1118 ـ 1135م)

عاد الصراع حول السلطنة بعد وفاة محمد بن ملكشاه عام 511/ 1117. وكان أوصى قبل وفاته بأن يخلفه ابنه محمود الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره. وقد اعترف الخليفة العباسي بسلطنته، فثار عليه عمه سنجر بن ملكشاه، حاكم خراسان وما وراء النهر، بعد أن أعلن نفسه سلطاناً لسلاجقة خراسان، في حين تحول محمود بن محمد ملكشاه إلى سلطان لسلاجقة العراق، وأضحى هناك سلطانان في وقت واحد. وتمكن السلطان سنجر من إنزال الهزيمة بابن أخيه السلطان محمود عام 513هـ/ 1119م. ليعترف به الخليفة العباسي سلطاناً على جميع السلاجقة. وكان حكم سنجر بمثابة عودة إلى عصر السلاجقة الكبار (طغرل بك، ألب أرسلان، ملكشاه)، فقد أعاد الوحدة إلى السلاجقة وجعلهم يخضعون لإمرة سلطان واحد، يخطب له من كاشغر عند حدود الصين إلى حدود الدولة

البيزنطية[1]. ورغم ذلك، فقد قبل السلطان سنجر بشفاعة زوجة أخيه في ابنها محمود بن محمد بن ملكشاه، فوعده بولاية العهد، وأنابه عنه في العراق عام 513هـ/ 1119م، وزوّجه من ابنته «ماه ملك خاتون». ورغم تبعيته لعمه السلطان سنجر، فقد حمل محمود لقب سلطان، واعترف به الخليفة العباسي المسترشد. وبذلك تكرس وجود سلطانين في وقت واحد، نتج عنه عملياً قيام سلاجقة العراق ومركزها همدان بزعامة محمود (313 ـ 525هـ/ 1119 ـ 1130م)، وسلاجقة خراسان ومركزها الري بزعامة سنجر (513 ـ 552 هـ/ 1119 ـ 1157م).

وعام 514 هـ/ 1120م واجه السلطان محمود ثورة أخيه مسعود ملك الموصل وأذربيجان، ثم أخيه الآخر طغرل صاحب قلعة سرجهان وساوة وآوه زنجان.

انتهز الخليفة العباسي المسترشد بالله، هذه الظروف، وأخذ يعمل للقضاء على نفوذ السلاجقة واسترجاع هيبة الخلافة العباسية. وتمكن من إحكام سيطرته على بغداد. وفشل السلطان محمود بن ملكشاه في دخول بغداد، فعقد الصلح مع الخليفة عام 521هـ/ 1126م. وبذلك أعاد الخليفة الهدوء إلى بغداد، التي كانت عرضة للنهب والقتل على يد دبيس بن صدقة الذي استغل الفرصة ودخل الحلّة والبصرة.

وما لبث المسترشد بالله أن هزم على يد السلطان السلجوقي مسعود عام 529هـ/ 1134م، ووقع أسيراً، ليوضع في خيمة منعزلة، مما أتاح فرصة قتله يوم الأحد 17 ذي القعدة 529هـ/ 30 آب 1135م[2].

ب ـ الخليفة الثلاثون الراشد بالله (529 ـ 530هـ/ 1135 ـ 1136م)

بمقتل المسترشد بالله، تولى الخلافة، ابنه الراشد بالله الذي حاول ان يثأر لأبيه،

---

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 33.

2 ـ ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص 29، 30، 50.

وامتنع عن دفع الضريبة للسلطان مسعود، وقطع الخطبة له. فحاصر مسعود بغداد، ليفر الخليفة منها. فلجأ السلطان السلجوقي إلى الحيلة لعزله عن منصبه.

فزور خطاباً على الخليفة، وضغط على القضاة والشهود والفقهاء، ليأخذ موافقة الجميع على خلع الخليفة وقطع خطبته، بعد أن استمرت خلافته أحد عشر شهراً وأحد عشر يوماً. واختار السلطان السلجوقي مسعود للخلافة المقتفي لأمر الله محمد بن المستظهر، عم الراشد بالله، الذي بويع بالخلافة في 8 ذي الحجة 530هـ/ 7 أيلول 1136م. وحاول الراشد بالله مواجهة السلطان مسعود، فحلت به الهزيمة وانتهى قتلاً عام 531هـ/ 1136م.

ج ـ الخليفة الواحد والثلاثون المقتفي لأمر الله

(530 ـ 555هـ/ 1136 ـ 1160م)

استمرت خلافة المقتفي لأمر الله أربعة وعشرين عاماً وثلاثة أشهر وستة عشر يوماً (530 ـ 555هـ/ 1136 ـ 1160م). وعلى الرغم من أن السلطان السلجوقي مسعود هو الذي اختار المقتفي لأمر الله خليفة وزوجه أخته فاطمة، علّه يسيطر على الخلافة عن طريق المصاهرة. إلا إن الخليفة المقتفي لأمر الله ما زال يتحين الفرص لاعادة إحياء هيبة الخلافة العباسية.

أدرك الخليفة المقتفي لأمر الله، خطورة الأمر داخل بغداد، وبخاصة بعد أن تحول إلى ألعوبة بيد السلاجقة الذين جردوه من كل خيوله وأملاكه[1]. وانتهز فرصة انشغال السلطان مسعود بالصراع الداخلي مع السلاجقة، كما استغل

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 36.

فرصة استياء العامة في بغداد، فدعا إلى القتال بعد أن رمم السور وحفر الخنادق. وبذلك تمكن من السيطرة التامة على بغداد، واستعاد بعض هيبة الخلافة العباسية. ثم زادت هذه الهيبة مع وفاة السلطان مسعود عام 547 هـ/ 1152م، حيث انتهز الخليفة الفرصة من جديد وهاجم دار الشحنة وصادر أموال وإقطاعات أمراء السلاجقة وقبض على العديد منهم. بل وذهب إلى أبعد من ذلك عندما رفض الخطبة للسلطان الجديد محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه. وخطب لعمه سليمان شاه بن محمد، واعترف بملكشاه بن محمود ولياً للعهد، مما أوقع الحرب بين السلاجقة.

د ـ الخليفة الثاني والثلاثون المستنجد بالله

(555 ـ 566هـ/ 1160 ـ 1171م)

تولى المستنجد بالله الخلافة بعد وفاة أبيه المقتفي لأمر الله في 2 ربيع الأول 555هـ/ 1160م، واستمرت خلافته أحد عشر عاماً وشهراً وأسبوعاً. حتى وفاته في 9 ربيع الثاني 566هـ/ 1171م. حاول خلالها الاستيلاء على بعض القلاع عام 557هـ/ 1161م.

وبعد الصراع بين السلاجقة، تولى سلطنة سلاجقة العراق أرسلان بن طغرل الثاني (556 ـ 571/ 1161 ـ 1175): دون أن يوافق الخليفة العباسي المستنجد بالله على سلطنته. فقد حاول المستنجد متابعة مسيرة والده المقتفي بعد وفاته عام 555هـ/ 1160م، وذلك في تدعيم هيبة الخلافة العباسية، لكنه ما لبث أن قتل خنقاً في 9 ربيع الثاني 566هـ/ 1171م، فبويع ابنه المستضيء بأمر الله[1].

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 34.

5 ـ الخليفة الثالث والثلاثون المستضيء بأمر الله

(566 ـ 575هـ/ 1171 ـ 1180م)

أ ـ احتفالات بغداد بسقوط الخلافة الفاطمية في القاهرة

(الجمعة 7 محرم 567هـ/ 10 أيلول 1171م)

بدأت خلافة المستضيء بأمر الله، مع حدث تاريخي كبير، هو سقوط الدولة الفاطمية في القاهرة، على يد صلاح الدين الأيوبي الذي أرسله نور الدين محمود زنكي مع عمه أسد الدين شيركوه لضم مصر إلى بلاد الشام. وبعد وفاة عمه، أمر صلاح الدين الأيوبي جميع خطباء القاهرة ومصر، بقطع الخطبة للعاضد لدين الله الفاطمي الذي اشتد به المرض، وأن يخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله في يوم الجمعة 7 محرم 567هـ/ 10 أيلول 1171م. وتوفي العاضد لدين الله بعد ثلاثة أيام، دون أن يعلم بأنه آخر خلفاء الدولة الفاطمية الإسماعيلية[1].

أقيمت الاحتفالات في بغداد حاضرة الخلافة العباسية، تعبيراً عن هذا الحدث التاريخي، أي سقوط الخلافة الفاطمية. وأرسل نور الدين محمود بن زنكي هذه البشارة إلى الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله[2] الذي أرسل بدوره خلعة خاصة بنور الدين محمود، هي عبارة عن طوق فيه ألف دينار، فضلاً عن سيفين، أحدهما يعني تقلده حكم بلاد الشام والثاني حكم مصر، على أن يكون صلاح الدين الأيوبي نائبه في مصر[3].

ب ـ قيام الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام

تمكن صلاح الدين الأيوبي بعد وفاة سيده نور الدين محمود في 11 شوال

---

1 ـ ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج 6، ص 63، 64.

2 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الاسلامي، ص 127.

3 ـ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ص 46.

569هـ/ 15 أيار 1174م، من الانفراد بحكم مصر وإقامة الدولة الأيوبية بعدما اعترف الخليفة العباسي المستضيء بأمر الله بشرعيته عام 570هـ/ 1175م[1].

وعلى الرغم من القوة العسكرية لصلاح الدين الأيوبي، وتوحيده مصر وبلاد الشام، لمواجهة الفرنج، إلا أنه لم يفكر في إقامة خلافة أيوبية خاصة به في القاهرة على غرار الخلافة الفاطمية، بل أعلن تبعيته الروحية للخلافة العباسية في بغداد، ولم تعد هناك خلافتان تتصارعان على أرض بلاد الشام، بعد زوال الخلافة الفاطمية.

وكان المستضيء بأمر الله، يميل إلى الدعة والهدوء، ولا يناهض السلاجقة[2]. لذلك، لم يتمكن من انهاء النفوذ السلجوقي بسبب ضعف الخلافة العباسية التي عادت وشهدت عهداً جديداً من القوة مع ابنه الناصر لدين الله الذي تولى الخلافة بعد وفاة أبيه المستضيء بأمر الله في 20 ذي القعدة 575هـ/ 30 آذار 1180م.

6 ـ الخليفة الرابع والثلاثون الناصر لدين الله وانهاء النفوذ السلجوقي في العراق (575 ـ 590هـ/ 1180 ـ 1194م)

يعتبر عهد الخليفة الناصر لدين الله، من أطول الفترات التي حكم فيها خليفة عباسي على الاطلاق، فقد كانت خلافته ستة وأربعين عاماً وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً (575 ـ 622هـ/ 1180 ـ 1225م)، أنجز في فترة حكمه الأولى التي استمرت أربعة عشر عاماً (575 ـ 590هـ/ 1180 ـ 1194م)، ما عجز عنه الخلفاء العباسيون قبله، وهو انهاء النفوذ السلجوقي.

---

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الاسلامي، ص 128.

2 ـ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص 165.

تولى الناصر لدين الله الخلافة العباسية، بعد وفاة أبيه المستضيء بأمر الله عام 575هـ/ 1180م، أي بعد أربعة أعوام من تولي آخر سلاطين السلاجقة في العراق طغرل الثالث عام 571هـ/ 1175م. وكان طغرل الثالث طفلاً يأتمر بأمر أتابكة جهان بهلوان الذي كان له النفوذ الكامل على السلطنة حتى وفاته عام 582هـ/ 1186م. فاستغل الناصر لدين الله الفرصة، فأقدم على خطوة جريئة، وهي هدم دار «السلطنة» في بغداد، عام 585هـ/ 1187م، بعد أن كانت رمزاً للتسلط السلجوقي، وهو ما لم يجرؤ عليه أحد من الخلفاء قبله. ولم يكتف بذلك، فقد رفض طلب السلطان السلجوقي طغرل الثالث بذكر اسمه في الخطبة.

نجح الناصر لدين الله، في إعادة نفوذ الخلافة العباسية التي بلغت قمة مجدها في عهده، وذلك عن طريق سياسته الدينية المعتدلة، والنظام العسكري الذي اعتمده وهو نظام الفتوة الذي حمل لقبه «الفتوة الناصرية».

بدأ الناصر لدين الله، بتنفيذ مشروعه القائم على نظام الفتوة الناصرية، بعد ثلاثة أعوام من توليه الخلافة، حتى تمكن خلال عشرة أعوام من إنهاء السيطرة السلجوقية في العراق، بفضل استعانته بقوة جديدة هي «الخوارزمية» بقيادة علاء الدين تكش الخوارزمي، في محاولة ذكية تدل على دهاء الخليفة، يتخلص بها من خطري السلاجقة والخوارزمية معاً، بانهاك قوتهما العسكرية، ثم إنهاء طموحاتهما بالسيطرة على العراق والخلافة العباسية. لذلك أخذ يشجع علاء الدين تكش الخوارزمي على الاصطدام بالسلطان السلجوقي طغرل الثالث، واعداً إياه بمنحه الأقاليم التي كانت بحوزة السلاجقة في فارس. وانتصر تكش الخوارزمي انتصاراً حاسماً في معركة الري التي قتل فيها طغرل الثالث، وانتهى بمقتله سلاجقة العراق[1] عام 590هـ/ 1194م، وأصبحت الخلافة العباسية في حل من

1 ـ فاروق عمر فوزي: الخلافة العباسية، ج 2 ص 224.

أي ارتباط مع السلاجقة، وأصبحت تتمتع باستقلال تام[1].

أعاد الناصر لدين الله نفوذ الخلافة العباسية السياسي والإداري على العراق، واسترد نفوذه على الأهواز وهمدان وأصفهان التي كانت تتبع العراق إدارياً في تلك الفترة، حتى أطلق عليه لقب «أسد بني العباس تتصدع لهيبته الجبال».

اتبع الناصر لدين الله سياسة دينية معتدلة، بدا فيها فوق المذاهب والميول والاتجاهات[2]، في محاولة توفيقية بين آراء المذاهب المختلفة، معتبراً نفسه حامي الإسلام كله بمذاهبه المتعددة[3]. فتمكن بهذه السياسة من تحقيق نوع من الوحدة بين مختلف فئات المجتمع العربي الإسلامي الواحد في بغداد، سهل له اعتماد نظام الفتوة.

ونظام الفتوة[4] الذي اعتمده الناصر لدين الله هو نظام قديم بمعنى الشباب، ويرمز إلى الفروسية والصبر والشجاعة والكرم، وهو خصلة من خصال الدين. فقد أراد الناصر لدين الله بدهائه أن ينتشل الخلافة العباسية من كبوتها، بأن يبعث في شبابها خاصة روحاً تستند إلى تعاليم الاسلام، وأن ينظمهم في تنظيم خاص يوحدهم بغض النظر عن أقاليمهم وطوائفهم ومذاهبهم، فيحقق بذلك وحدة المجتمع بقيادته شخصياً، لذلك عرف النظام باسم «الفتوة الناصرية» نسبة إليه. وهو تنظيم اجتماعي له مراتب ومراسم خاصة به، فكان «نقيب الفتوة» رأس التنظيم وطاعته واجبة، ويلبس العضو الجديد سراويل الفتوة ويشرب شرابها الذي يتكون من الماء والملح، لأن الماء أصل الحياة وقوامها، والملح رمز دوام

---

1 ـ أحمد كمال الدين حلمي: السلاجقة في التاريخ والحضارة، ص 166.

2 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 370.

3 ـ أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج 3 ص 142.

4 ـ أنظر: سعبد الديوجي: الفتوة في الإسلام، أحمد أمين: الفتوة والصعلكة.

الحال لأنه يصلح كل فاسد ويحفظ من التبدل والتغير، في إشارة على الصبر واحتمال البلاء.

وقد لبس الناصر لدين الله بنفسه لباس الفتوة، ورمى بنفسه بالبندق (كرات الرمي) ورمى له ناس كثيرون. فكان رجل عصره[1]، نجح في إثارة روح الرجولة والنخوة بين الفتيان المنضوين تحت لوائه. ومن بين قادة نظام الفتوة، فتى اسمه خالص[2].

انتهت السلطنة السلجوقية في إيران والعراق عام 590هـ/ 1193م، على يد الدولة الخوارزمية التي سيطرت أيضاً على سلاجقة كرمان عام 585 هـ/ 1198م. في حين استمرت دولة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى، فكانت أطول دول السلاجقة عمراً حيث استمرت 224 سنة حتى سقطت نهائياً على يد غازان المغولي عام 700 هـ/ 1300م. وبزوال دولة سلاجقة الروم، انفصلت آسيا الصغرى عن العالم العربي الإسلامي، مما مهد لقيام الدولة العثمانية[3].

وبذلك أعاد الناصر لدين الله إلى الخلافة العباسية، هيبتها وأصبح يخطب له في مصر وبلاد الشام بفضل صلاح الدين الأيوبي، كما تمت الخطبة له في بلاد الأندلس وبلاد الصين[4]. وحاول النهوض بالخلافة العباسية لإعادة مجدها القديم، لكن تاريخ الدول لا يعود إلى الوراء، والدولة العباسية تعيش أواخر أيامها، وسياسة التفرقة التي اتبعها الخليفة العباسي، ما لبثت أن انقلبت عليه. صحيح أنه شهد سقوط الأتابكة على يد الأيوبيين وسقوط السلاجقة على يد الخوارزميين، لكنه أخطأ في الاستعانة بالمغول للقضاء على الخوارزميين، فشهد بداية الغزو المغولي الذي ما لبث وأن قضى على الدولة الخوارزمية، ليدخل بغداد في عهد المستعصم بالله، وليزيل الخلافة العباسية عام 656 هـ/ 1258م.

---

1 ـ ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص 322.

2 ـ ابن جبير: الرحلة، ص 181.

3 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الاسلامي، ص 37.

4 ـ السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص 450.

المرحلة السادسة

استقلال الخلافة العباسية بملك العراق
وسقوط بغداد على يد المغول
(590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م)

الناصر لدين الله، أحمد بن المستضيء [الفترة الثانية]	(590هـ/ 1194م)
1 ـ الظاهر بأمر الله، محمد بن الناصر	(622هـ/ 1225م)
2 ـ المستنصر بالله، المنصور بن الظاهر	(623هـ/ 1226م)
3 ـ المستعصم بالله، عبد الله بن المستنصر	(640 ـ 656هـ/ 1242 ـ 1258م)

الفصل الرابع عشر

استقلال الخلافة العباسية بملك العراق

وسقوطها على يد المغول

(590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م)

نجح الناصر لدين الله في إعادة نفوذ الدولة العباسية على العراق، بعد التخلص من سيطرة السلاجقة في نهاية فترة حكمه الأولى (575 ـ 590هـ/ 1180 ـ 1194م). وهي الفترة التي شهدت توحيد مصر وبلاد الشام على يد صلاح الدين الأيوبي الذي ألحق الهزيمة بالفرنج في معركة حطين ليحرر القدس عام 583هـ/ 1187م، معترفاً بالتبعية للخليفة العباسي الناصر لدين الله. وبذلك استقلت الخلافة العباسية بحكم العراق، بعد زوال النفوذ السلجوقي، وذلك لمدة ستة وستين عاماً (590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م).

عادت الدولة العباسية إلى التدهور، في الفترة الثانية من عهد الناصر لدين الله (590 ـ 622هـ/ 1194 ـ 1225م)، ليزداد هذا التدهور، بعد وفاته مطلع شوال 622هـ/ 6 تشرين الأول 1225م، وخلافة ابنه الظاهر بأمر الله الذي لم يستمر حكمه أكثر من تسعة أشهر، فآلت الخلافة إلى المستنصر بالله ابن الظاهر عام 623هـ/ 1226م، فشهد عهده بداية الغزو المغولي على بغداد الذي استمر مع خلافة المستعصم بالله ابن المستنصر التي بدأت عام 640هـ/ 1242م، فكان آخر

خلفاء بني العباس مع سقوط بغداد على يد المغول عام 656هـ/ 1258م.

1 ـ بدء تدهور الدولة العباسية في الفترة الثانية من عهد

الناصر لدين الله (590 ـ 622هـ/ 1194 ـ 1225م)

انعزل الناصر لدين الله عن الناس، في السنوات الأخيرة من عهده، بعد أن ساءت صحته بسبب اصابته بالشلل، وأصبح نظره ضعيفاً، حتى وفاته مطلع شوال 622هـ/ 6 تشرين الأول 1225م، وتعد خلافته أطول فترة حكم بين جميع الخلفاء العباسيين السبعة والثلاثين، فقد استمرت طيلة ستة وأربعين عاماً وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً هجرياً/ خمسة وأربعين عاماً وخمسة أشهر وسبعة أيام ميلادية (2 ذي القعدة 575 ـ أول شوال 622هـ/ 30 آذار 1180 ـ 6 تشرين الأول 1225م).

2 ـ الخليفة الخامس والثلاثون الظاهر بأمر الله

(622 ـ 623هـ/ 1225 ـ 1226م)

بوفاة الناصر لدين الله، خلفه ابنه الأكبر الظاهر بأمر الله، فكانت خلافته تسعة أشهر وأربعة عشر يوماً فقط (622 ـ 623هـ/ 1225 ـ 1226م)، حاول خلالها إقامة العدل والاحسان، لكن المنية عاجلته، في 14 رجب 623هـ/ 11 تموز 1226م، فخلفه ابنه المستنصر بالله.

3 ـ الخليفة السادس والثلاثون المستنصر بالله

(623 ـ 640هـ/ 1226 ـ 1242م)

استمرت خلافة المستنصر بالله سبعة عشر عاماً إلا شهراً، ترك خلالها آثاراً

جليلة في بغداد، أهمها المدرسة المستنصرية على شط دجلة، والقناطر والخانات، ودور الضيافة[1].

وفي عهد المستنصر بالله، بدأ خطر «المغول»، في الوقت الذي كانت فيه الخلافة العباسية تنحدر مجدداً في طريق الضعف والانهيار، منذ وفاة الناصر لدين الله، حيث ضعفت بموته «الفتوة الناصرية» وزالت أبعادها السياسية والعسكرية، رغم استمرارها الشكلي بعده. لذلك لم تقوَ الخلافة العباسية، على مواجهة خطر «المغول» الذين توحدوا في ظل زعامة جنكيزخان، لتمتد دولتهم من حدود الصين شرقاً إلى إيران والعراق غرباً، والهند جنوباً، وذلك عام 623هـ/ 1226م الذي شهد وفاة جنكيزخان، وتولى المستنصر بالله الخلافة العباسية.

بوفاة جنكيزخان، تولى أوكتاي عرش المغول حتى وفاته عام 639هـ/ 1241م، لتباشر زوجته توراكته خاتون[2]، الحكم في فترة انتقالية استمرت أربع سنوات (639 ـ 643هـ/ 1241 ـ 1245م) ريثما يتم انتخاب خان جديد للمغول. وفي تلك الفترة، أغار المغول على نواحي بغداد، وخربوا مدينة أربيل، ثم انسحبوا منها أمام تحرك الخليفة المستنصر بالله الذي استعد لمواجهتهم فحصن سور بغداد وحفر الخندق حولها، في الوقت الذي عاد فيه المغول للهجوم على أربيل، فخرج الخليفة بنفسه لمواجهتهم واسترداد الأسرى.

وعلى الرغم من جهود الخليفة المستنصر بالله، إلا أنه فشل في محاولته جمع أمراء الأطراف وخاصة الخوارزمية والأيوبيين، تحت راية الخلافة، لمواجهة خطر المغول الذين استفردوا بكل فريق على حدة. فقضى المغول على الدولة الخوارزمية، ودانت لهم جميع المناطق الفارسية إلى حدود العراق. وأصبح خطر المغول على أبواب بغداد، ما دفع الخليفة إلى الاعتزال عن الناس.

---

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 452.

2 ـ رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان)، ص 175.

لم يعهد المستنصر بالله بولاية العهد لأحد، فقد أراد تهيئة الظروف لاعلان البيعة لأخيه الخفاجي المعروف بشجاعته وقدرته على مواجهة المغول. ولكنه توفى فجأة في 10 جمادى الثانية 640هـ/ 5 كانون الأول 1242م، فخلفه ابنه المستعصم بالله، بناء لرغبة حاشية القصر التي أرادت خليفة ضعيفاً تسيطر عليه وليس قوياً مثل الخفاجي.

4 ـ الخليفة السابع والثلاثون

المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس

(640 ـ 656هـ/ 1242 ـ 1258م)

يعتبر المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، وهو الخليفة السابع والثلاثون، تولى الخلافة بعد وفاة أبيه المستنصر بالله عام 640هـ/ 1242م، وهو مسلوب الإرادة أمام حاشيته القوية، منشغلاً باللهو ومجالس الغناء والصيد، معتقداً بعدم تجرؤ المغول على احتلال بغداد حتى ولو احتلوا باقي بلاد العراق، فبرأيه أن بغداد وما حولها تكفيه إذا أراد المغول باقي العراق[1]، وهو على استعداد لمسالمتهم بالمال، لأن الخلافة العباسية بنظره، مستمرة إلى يوم القيامة[2].

كان المستعصم بالله أضعف خلفاء بني العباس عزيمة وأكثرهم تهاوناً، لم يهتم بتنظيم الجيش العباسي في بغداد، على الرغم من وجود الأموال الوفيرة في خزائنه وخزائن كبار رجال دولته، المكدسة في بغداد. ولعل ذلك يعود إلى بخله الشديد، وعدم استخدام المال في تقوية الجيش، لأنه كان محباً للمال[3]، فقطع أرزاق الجند، فهربوا من الخدمة[4].

---

1 ـ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 264.

2 ـ رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ المغول ـ هولاكو) م 2، ج 1 ص 275.

3 ـ ابن شاكر الكتبي: عيون التواريخ، ج 2 ص 93.

4 ـ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 261.

وشـهد عهـد المسـتعصم باللـه ثلاثـة أحـداث تاريخيـة مصيرية كـبرى: اسـترداد الممالك المسـيحية للأندلـس بأسرهـا مـا عـدا غرناطـة عـام 642هــ/ 1244م، وسـقوط الدولـة الأيوبيـة وقيـام دولـة المماليـك في القاهـرة عـام 648هــ/ 1250م، ثـم سـقوط الخلافـة العباسـية في بغـداد عـام 656هــ/ 1258م.

أ ـ استرداد الممالك المسيحية للأندلس ما عدا غرناطة

(642هـ/ 1244م)

اتحـدت مملكتـا قشـتالة وليـون تحت تـاج واحد في ظل الملـك فرنانـدو الثالث الملقـب بالقديس، في الوقـت الـذي شـهدت فيـه الأندلـس حربـاً أهليـة بـين العـرب المسـلمين. وبذلك سـقطت قرطبة بيـد فرنانـدو الثالـث عـام 634هــ/ 1236م، فشـكل سـقوطها ضربـة شـديدة لأنهـا كانـت حـاضرة الخلافـة الأمويـة في الأندلـس، وتحـول جامـع قرطبـة إلى كنيسـة سـانتا ماريـا. ثـم سـقطت مرسـية عـام 641هــ/ 1243م واشـبيلية عـام 642هــ/ 1244م، فحـول فرنانـدو الثالـث أيضاً جامـع عمر بن عـدس إلى كنيسـة[1]، وبـدأت المـدن الأخـرى تسـقط الواحدة تلو الأخـرى في غرب الأندلـس. أما شرق الأندلـس، فقد سـقط بيـد خايمـي الأول ملـك أراغون.

وبذلـك سـقطت الأندلـس بأسرهـا عـام 642هــ/ 1244م، باسـتثناء إمـارة غرناطـة التـي أصبحت مجـرد جزيـرة إسـلامية وحيـدة في بحـر مسـيحي، في جنـوب شرق الأندلـس، تقـاوم طيلـة قرنـين ونصـف، حتـى سـقطت عـام 897هــ/ 1492م، وضاعـت معهـا الأندلـس نهائيـاً[2].

---

1 ـ السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، ص 399.

2 ـ عصام شبارو: الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ص274.

ب ـ سقوط الدولة الأيوبية في القاهرة وقيام دولة المماليك

(27 محرم 648هـ/ 2 أيار 1250م)

يعد توران شاه آخر سلاطين الدولة الأيوبية في مصر وبلاد الشام، ولم تستمر سلطنته أكثر من أربعة وستين يوماً (23 ذي القعدة 647 ـ 27 محرم 648هـ/ 27 شباط ـ 2 أيار 1250م) تمكن خلالها بالاتفاق مع المماليك من طرد الحملة الصليبية التاسعة بقيادة الملك لويس التاسع من دمياط، وحينما حاول التخلص من المماليك، أسرع هؤلاء وقتلوه، لتنتهي بمقتله الدولة الأيوبية في القاهرة بعد أن استمرت نحو ثلاثة أرباع القرن لتحل محلها دولة المماليك[1].

وعلى الرغم من أن دولة المماليك في مصر، استمرت في التبعية الروحية للخلافة العباسية، كما استمر الأمراء الأيوبيون في بلاد الشام على هذه التبعية، إلا أن الخليفة العباسي المستعصم بالله لم يعرف كيف يوحد القوة العسكرية للأيوبيين والمماليك حتى يتمكن من مواجهة خطر المغول الذين زحفوا نحو بغداد.

ج ـ معركة بغداد (9 محرم 656هـ/ 17 كانون الثاني 1258م)

حاول هولاكو السيطرة على بغداد، عن طريق إخافة المستعصم بالله، فبعث إليه برسالة[2]، في رمضان 655هـ/ أيلول 1257م، يطالبه فيها بالسلطة الزمنية التي حصل عليها البويهيون والسلاجقة من قبل، مقابل الابقاء على خلافته وجيشه ورعيته داخل بغداد، وإلا فإنه سيقود جيش المغول إلى بغداد.

أدرك المستعصم بالله، أن هدف المغول القضاء على الخلافة العباسية، لأنهم وثنيون لا يؤمنون أصلاً بالخلافة، فرد عليه برسالة مماثلة فيها التهديد والوعيد[3].

---

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 185.

2 ـ رشيد الدين: جامع التواريخ (تاريخ المغول ـ هولاكو)، م 2 ج 1 ص 267، 268.

3 ـ المصدر نفسه، م 2، ج 1 ص 270.

لم يكـن الجيـش العبـاسي يتعـدى العشريـن ألفـاً، فظـن المسـتعصم باللـه أن الأمـراء الأيوبيـين في بـلاد الشـام والمماليـك في مـصر، سـينضمون إليه لمواجهـة المغول في جيش لا يقل عـن مائة وعشرين ألفـاً. وقـد خـاب ظنـه، لأن الـصراع بين الأمـراء الأيوبيـين والأمراء المماليـك/ مجتمعـين، أو كل منهما عـلى حـدة، لم يتوقـف، على الرغـم من خطـر المغول[1].

حشـد هولاكـو جيشـاً كبـيراً يتألـف مـن مائتـي ألـف، واتخـذ معسـكره في ظاهـر بغـداد لجهـة الـشرق. ومـع ذلـك صمـدت بغـداد بأهلهـا وجندهـا أمـام المغـول، بـل أنهـا انتـصرت عليهـم في 9 محـرم 656هــ/ 17 كانـون الثـاني 1258م، في معركـة أدت إلى تقهقـر قـوات المغـول، وملاحقة قوات بغـداد لهـا. ومـا لبثـت قـوات بغـداد أن وقعـت في المصيـدة، عندمـا فتحـت الميـاه عليهـا، فمنعتها مـن الحركـة وهـي في الميـاه والوحـل، فأعاد المغـول تجميـع قواتهم، وحلـت الهزيمة بجيـش بغداد، ولقـي اثنـا عـشر ألفـاً مصرعهـم في سـاحة القتـال، ولاذ الباقـون بالفرار.

د ـ حصار بغداد وسقوطها على يد المغول

(22 محرم ـ 7 صفر 656هـ/ 30 كانون الثاني ـ 13 شباط 1258م)

أحكـم هولاكـو الحصـار حـول بغـداد، يـوم الثلاثـاء 22 محـرم 656هـ/ 30 كانـون الثـاني 1258م، وبعـد المفاوضـات لإنقـاذ بغـداد، اقتنـع الخليفـة المسـتعصم باللـه بالخـروج من بغـداد ومعه ألف ومائتـي شـخص مـن علـماء بغـداد وكبارهـا، يوم الأحـد 4 صفـر 656هــ/ 10 شـباط 1258م، فأمره هولاكـو أن يطلـب مـن أهـل بغـداد إلقـاء السـلاح والخـروج لإحصائهـم، فـكان القتـل مـن نصيب الذيـن خرجـوا، باسـتثناء الخليفـة وأولاده الثلاثة.

1 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الإسلامي، ص 219.

وفي يـوم الأربعـاء 7 صفـر 656هــ/ 13 شـباط 1258م، اقتحم المغـول بغداد من الـشرق والغرب، واسـتبيحت سـبعة أيـام[1]، وقيل أربعـين يوماً[2] لم يفرق خلالهـا هولاكو بين الرجال والنسـاء والأطفال، وبـين السـنّة والشـيعة، حتـى بلغ عـدد الضحايا ثمانمائـة ألف[3]، وقيـل ألف ألف[4]، وكذلـك ألف ألف وثمانمائـة ألـف[5]، وخربـت المسـاجد للحصـول عـلى قبابهـا الذهبيـة، ومعهـا مشـهد الإمـام مـوسى الكاظـم وقبـور الخلفـاء العباسـيين في الرصافة.

هـ ـ مقتل المستعصم بالله (الأربعاء 14 صفر 656هـ/ 20 شباط 1258م)

لقـي المسـتعصم باللـه مصرعـه، يـوم الأربعـاء 14 صفـر 656هــ/ 20 شـباط 1258م[6]، بعـد أن دل هولاكـو عـلى مـا اجتمع من كنوز العباسـيين من سـبائك الذهـب والجواهر والمعـادن الثمينة، وهي الكنـوز التـي لم يعـرف الخليفـة كيـف يسـتغلها في وقـت الشـدة، فتكدسـت على شـكل تـلال حول خيمـة هولاكـو[7].

وهنـا، يجـدر التوقـف قليـلاً، فـلا يجـوز أبـداً القـاء مسـؤولية سـقوط بغـداد عـلى بعـض الأمـراء أو الـوزراء المسـلمين الذيـن تعاونـوا مـع المغـول، لأن مـن يتحمـل المسـؤولية الكـبرى هـو المسـتعصم باللـه وحـده، لأنـه لم يعـرف كيـف يحافـظ عـلى الخلافـة العباسـية في بغـداد. وكذلـك لم يعـرف كيـف يوحـد الأمـراء الأيوبيـين في بـلاد الشـام والمماليـك

---

1 ـ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 272.

2 ـ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 326.

3 ـ الذهبي: دول الإسلام، ج 2 ص 123.

4 ـ ابن الفوطي: الحوادث الجامعة، ص 334.

5 ـ ابن كثير: البداية والنهاية، ج 12 ص 212.

6 ـ ابن العبري: تاريخ مختصر الدول، ص 270 ـ 272.

ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج 7 ص 49، 50.

7 ـ عصام شبارو: تاريخ المشرق العربي الاسلامي، ص 263.

في مـصر تحـت رايـة الخلافـة، وداخـل جيش قوي، يمـده بالكنوز المكدسـة لديه من سـبائك الذهب والجواهـر والمعـادن الثمينـة، حتى يقف في وجـه جيش المغول.

وبسـقوط بغـداد عـام 656هــ/ 1258م، تأسسـت إيلخانيـة فـارس ليحكمهـا هولاكـو وأبناؤه من بعـده، وأصبحـت بغـداد تابعـة لهـذه الإيلخانيـة، حتـى تمكـن المماليك مـن تحريرها.

5 ـ إحياء الخلافة العباسية «شكلياً» في القاهرة

(695هـ/ 1261م)

سـقطت الخلافـة العباسـية عمليـاً في بغـداد، على يـد المغول عـام 656هـ/ 1258م. لكـن المماليك بقيـادة قطـز أنزلـوا الهزيمـة بالمغـول في معركـة عـين جالـوت عـام 658هــ/ 1260م[1]، فكانـت أول معركـة يخسرهـا المغـول، لينسـحبوا معهـا مـن بـلاد الشـام نحـو العـراق، مـا شـجع المماليـك عـلى توحيـد مـصر وبـلاد الشـام، بعـد سـقوط أسـطورة «جيـش المغـول قـوة لا تقهر»[2].

ورأى السـلطان الظاهـر بيـبرس، في إحيـاء الخلافـة العباسـية في القاهـرة، تدعيـماً لسـلطنة المماليـك، فاختـار أحـد أبنـاء البيـت العبـاسي، وبايعـه بالخلافـة عـام 659هــ/ 1261م[3]، فـكان بمثابـة خليفـة شـكلي، محـرومٍ مـن كل نفـوذ أو سـلطان، وحسـبه أن يقـال لـه: أمـير المؤمنـين. فقـد أنزلـه في الـبرج الكبـير بقلعـة الجبـل في القاهـرة، وكأنـه

1 ـ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص 207. ابن تغرى بردي: النجوم الزاهرة، ج 7 ص 90.

2 ـ أبو شامة: الذيل على الروضتين، ص 208.

ابن إياس: بدائع الزهور، ج 1 ص 97.

3 ـ ابن أبي الفضائل: النهج السديد، ج 1 ص 105.

أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج 4 ص 8.

في إقامـة جبريـة تحـت اشراف سـلطان المماليك[1]. واسـتمرت الخلافة العباسـية «شـكلياً» في القاهرة، حتـى سـقوط دولـة المماليك على يـد العثمانيين عام 923هـ/ 1517م.

1 ـ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج 1 ص 477 ـ 479.

الخاتمة

يعـود الفضـل في إسـقاط الدولـة الأمويـة في دمشـق، وقيـام الدولـة العباسـية إلى التحالـف بـين العباسـيين والعلويـين مـن جهـة، وإلى مسـاندة أهل خراسـان مـن جهة ثانيـة. لتبدأ مرحلة تأسـيس الدولـة العباسـية مـع الخليفتـين أبي العبـاس السـفاح وأبي جعفـر المنصـور (132 ـ 158هـ/ 750 ـ 775م). أصيـب العلويـون بخيبـة أمـل، بعدمـا أعلـن الخليفـة العبـاسي الأول أبـو العبـاس السـفاح، بوضـوح لا يقبـل الشـك بأن الخلافة عباسـية وسـتبقى عباسـية، ليكرس هـذا القول ببناء «هاشـمية الكوفـة» عـام 132هـ/ 750م، لتكـون أول حـاضرة عباسـية قبـل أن يبنـي «هاشـمية الأنبـار» عـام 134هـ/ 751م. وقـد اختـار كلمـة «هاشـمية» نسـبة إلى جـد العلويـين والعباسـيين معاً هاشـم بن عبـد مناف.

لم يتحـرك العلويـون ضـد الخليفـة أبي العبـاس السـفاح، بـل بدأوا الاسـتعداد لجمـع قواهم طيلة فـترة حكمـه التـي لم تسـتمر أكثر من أربعة أعـوام، لتنفجر الثـورة العلوية في عهـد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفـر المنصور.

يعـد أبـو جعفـر المنصـور المؤسـس الحقيقـي للدولـة العباسـية التي حـصرت في أبنائـه وأحفاده، اسـتناداً إلى نظريـة الحـق الإلهـي المأخـوذة عـن الفـرس، أي أن الخليفـة يتـولى الخلافـة بتفويـض مقـدس مـن اللـه، لا من الشـعب، معتبراً نفسـه «ظل الله عـلى الأرض»، وهذا هو الـسر الذي أبقى الخلافـة العباسـية تتمتـع بالزعامـة الروحيـة في العـالم الإسـلامي مـدة طويلـة اسـتمرت 524 عامـاً هجريـاً/ 508 أعـوام ميلاديـة، أي أكثر من خمسـة قـرون متتالية، بدأت منذ سـقوط الخلافة الأموية

بدمشق عام 132هـ/ 750م، حيث ظن المسلمون أن الخلافة العباسية باقية إلى يوم القيامة، فإذا بها تسقط على يد المغول عام 656هـ/ 1258م، حينما خيل للمسلمين حينها أن العالم على وشك الانحلال، وأن الساعة آتية عن قريب، لخلوه من خليفة عباسي، لكن الساعة، لم تأت بعد، على الرغم من مرور سبعة قرون ونصف القرن على سقوط الخلافة العباسية، وعلمها عند الله.

اعتمد أبو جعفر المنصور على نظرية الحق الإلهي، وهو يواجه أخطر ثورتين علويتين، اندلعت أولاهما في المدينة المنورة بقيادة محمد النفس الزكية، واندلعت الثانية في البصرة بقيادة أخيه إبراهيم بن عبد الله. وكان عدم التنسيق بين ثورتي الأخوين، سبباً كافياً لقضاء العباسيين عليهما، فقتل محمد النفس الزكية في 14 رمضان 145هـ/ تشرين الأول 762م، وقتل إبراهيم بن عبد الله في 25 ذي القعدة هـ/ 762م، ليعرض رأس كل منهما في أسواق الأقاليم المختلفة.

أخطأ العباسيون على غرار الأمويين، بالتسلط وحدهم على الحكم، وبعدم تمتين تحالفهم مع العلويين، وتمسكوا بدورهم بالنظام الوراثي لتظهر معهم الألقاب المضافة إلى اسم الله، فكان أبو جعفر عبد الله بن محمد، ثاني خلفاء بني العباس، الذي تولى الخلافة بعد وفاة أخيه أبي العباس السفاح أول خلفاء بني العباس، هو أول من تسمى بلقب منسوب إلى الله هو «المنصور بالله».

وفي المرحلة الثانية التي اتسمت بالقوة والازدهار (158 ـ 232هـ/ 775 ـ 847م) برز اسم الخليفة العباسي الخامس هارون الرشيد الذي عرفت معه الدولة العباسية عهدها الذهبي في الفترة (170 ـ 193هـ/ 786 ـ 809م). وإذا كانت الدولة العباسية قد تأسست في مرحلتها الأولى، بدعم من العنصر الفارسي في خراسان، ليتكرس النفوذ الفارسي في المرحلة الثانية مع خلافة محمد المهدي عام 158هـ/ 775م، ليستمر في خلافة موسى الهادي عام 169هـ/ 785م وهارون الرشيد عام 170هـ/ 786م وهو الذي حاول القضاء على هذا النفوذ الفارسي مع

نكبـة البرامكـة عـام 187هــ/ 803م، ليتابـع ابنـه محمـد الأمـين هـذه السياسـة منـذ توليـه الخلافة عـام 193هــ/ 809م، لينتـصر عليـه أخوه عبدالله المأمون وأمه فارسـية فيتولى الخلافـة عام 198هـ/ 813م.

عـلى الرغـم مـن القـوة العسـكرية التـي اتسـمت بهـا خلافـة المعتصـم باللـه منـذ عـام 218هـ/ 833م، إلا أن هـذا الخليفـة، اسـتعان بعنـصر غـير عـربي هو الأتـراك، الذين تحولوا إلى كتلة مسـلحة كبـيرة داخـل الحـاضرة بغـداد، مـا اضطـره إلى بنـاء مدينـة جديـدة لهـم هي سـامراء بعـد أن ضاق أهـل بغـداد مـن وجودهـم. فمهـد بذلك لدخـول الدولـة العباسـية في مرحلتهـا الثالثة.

تميـزت المرحلـة الثالثـة (232 ـ 334هــ/ 847 ـ 945م) بالنفـوذ الـتركي. فقـد كان المتـوكل عـلى اللـه يسـعى للتخلـص مـن نفـوذ الأتـراك الذيـن اعتمـد عليهـم والـده المعتصـم باللـه، لكنـه اخطأ في معـاداة العلويـين في الوقـت نفسـه، فلـم يعـرف كيـف يوحـد العنصر العـربي، على الأقـل في بني هاشـم الذيـن ينتمـي إليهـم العباسـيون والعلويون معـاً، مـا أدى إلى نجاح الأتراك في تدبـير المؤامرة لقتلـه وتوليـة ابنـه المنتـصر باللـه عـام 247هــ/ 861م، ليتكـرس منـذ ذلك التاريـخ، النفـوذ التركي.

وتبقـى المرحلـة الرابعـة «النفـوذ البويهـي» (334 ـ 447هــ/ 945 ـ 1255م) أطـول المراحـل العباسـية، فقـد امتـدت طيلـة مائـة وثلاثـة عـشرة عامـاً هجريـة/ مائـة وعـشرة أعـوام ميلاديـة.

فـما أن تخلصـت الدولـة العباسـية من نفوذ الأتـراك حتى وقعت تحت سـيطرة البويهيين الفرس الذيـن نشـأوا في بـلاد الديلـم نشـأة علويـة على المذهـب الزيـدي، وهم بذلـك يوالـون العلويين ولا يعتقـدون أن للعباسـيين حقـاً بالخلافـة، وتمكنـوا من دخـول الحاضرة العباسـية بغداد عـام 334هـ/ 945م، ما شـجع الخلافة الفاطمية على الانتقال من المغرب إلى مصر عام 362هـ/ 973م، كما شـجع آل حمـود الذيـن ينسـبون إلى الأدارسـة عـلى إقامة خلافة علويـة، لأول مرة في تاريـخ الأندلس، وإن

كانت لم تستمر أكثر من سبعة أعوام (407 ـ 414هـ/ 1016 ـ 1023م) لكنها اشارت إلى مدى سيطرة النفوذ العلوي «البويهي والفاطمي والحمودي» على أماكن واسعة من الدولة العباسية سواء في قلب حاضرتها بغداد أو في وسطها مصر وبلاد الشام أو في غربها الأندلس.

دخلت الدولة العباسية مرحلتها الخامسة مع السيطرة السلجوقية (447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م) التي بدأت مع انتهاء النفوذ البويهي ودخول طغرل بك السلجوقي إلى بغداد. وقد توالى سبعة خلفاء عباسيين في هذه المرحلة، كانوا مسلوبي السلطة قليلي النفوذ في السياسة والإدارة، قبل أن يتمكن ثامنهم الناصر لدين الله في فترة حكمه الأولى (575 ـ 590هـ/ 1180 ـ 1194م) من إعادة هيبة الخلافة العباسية، بفضل مشروعه القائم على نظام «الفتوة الناصرية» بعد ثلاثة أعوام فقط من توليه الخلافة، حتى تمكن خلال عشرة أعوام من إنهاء السيطرة السلجوقية في العراق حتى أطلق عليه لقب «أسد بني العباس تتصدع لهيبته الرجال».

والمرحلة السادسة والأخيرة، هي مرحلة استقلال الخلافة العباسية بملك العراق وسقوط بغداد على يد المغول (590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م). فعلى الرغم من استعادة الناصر لدين الله هيبة الخلافة العباسية، إلا أن هذه الخلافة لم تشذ عن باقي الدول والممالك التي أكد ابن خلدون أنها تمر بمراحل مختلفة مثل الانسان لتعرف التأسيس ثم القوة والازدهار قبل أن تنحدر نحو الشيخوخة والانهيار والتدهور، حيث لا ينفع معها وجود خليفة قوي يحاول إعادة هيبتها كما فعل الناصر لدين الله، لأن النهاية أصبحت حتمية لتقوم مكانها دول أو ممالك جديدة.

لذلك عرفت الدولة العباسية مرحلتها السادسة والأخيرة التي تميزت باستقلال العباسيين في حكم العراق مع تدهور الخلافة العباسية في الفترة الثانية من عهد الناصر لدين الله حتى سقوط بغداد على يد المغول، فكان الخليفة المستعصم

بالله، آخر خلفاء بني العباس الذي لقي مصرعه يوم الأربعاء 14 صفر 656هـ/ 20 شباط 1258م، بعد أن دل القائد المغولي هولاكو على ما اجتمع من كنوز العباسيين من سبائك الذهب والجواهر والمعادن الثمينة.

سقطت الخلافة العباسية عملياً في بغداد على يد المغول عام 656هـ/ 1258م، لكن المماليك أنزلوا الهزيمة بالمغول في عين جالوت عام 658هـ/ 1260م، فانسحب المغول من بلاد الشام نحو العراق، ما شجع المماليك على توحيد مصر وبلاد الشام، واختار السلطان المملوكي الظاهر بيبرس، أحد ابناء البيت العباسي ليبايعه بالخلافة عام 659هـ/ 1261م، فكان بمثابة خليفة شكلي داخل القاهرة، لتستمر الخلافة العباسية «شكلياً» حتى سقوط دولة المماليك على يد العثمانيين عام 923هـ/ 1517م.

استمرت الدولة العباسية أكثر من خمسة قرون متتالية، وتحديداً 524 عاماً هجرياً أو 508 أعوام ميلادياً (132 ـ 656هـ/ 750 ـ 1258م)، وتوالى على حكمها، في مراحلها الست، سبعة وثلاثون خليفة. وتعد المرحلة الخامسة «النفوذ السلجوقي»، أطول المراحل فقد استمرت طيلة مائة وثلاثة وأربعين عاماً هجرياً/ مائة وتسعة وثلاثين عاماً ميلادياً (447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)، تعاقب خلالها ثمانية خلفاء. يليها المرحلة الرابعة «النفوذ البويهي» التي امتدت طيلة مائة وثلاثة عشر عاماً هجرياً/ مائة وعشرة أعوام ميلادية (334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م) تعاقب خلالها أربعة خلفاء فقط. ثم المرحلة الثالثة «النفوذ التركي» التي استمرت طيلة مائة وعامين للهجرة/ ثمانية وتسعين عاماً للميلاد (232 ـ 234هـ/ 847 ـ 945م)، تعاقب خلالها ثلاثة عشر خليفة، أي أن هذه المرحلة ضمت أكثر خلفاء بني العباس. في حين امتدت المرحلة الثانية «القوة والازدهار» طيلة أربعة وسبعين عاماً هجرياً/ اثنين وسبعين عاماً ميلادياً (158 ـ 232هـ/ 775 ـ 847م) وتعاقب عليها سبعة خلفاء، يليها المرحلة السادسة

«استقلال الخلافة العباسية بملك العراق وسقوط بغداد على يد المغول» وسقوطها وقد استمرت طيلة ستة وستين عاماً هجرياً/ أربعة وستين عاماً ميلادياً (590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م) تعاقب خلالها ثلاثة خلفاء فقط. وكانت المرحلة الأولى «التأسيس» أقصر المراحل، حيث لم تستمر أكثر من ستة وعشرين عاماً هجرياً/ خمسة وعشرين عاماً ميلادياً (132 ـ 158هـ/ 750 ـ 775م) وتعاقب خلالها خليفتان فقط.

ويعد الناصر لدين الله الخليفة التاسع عشر، أطول الخلفاء العباسيين السبعة والثلاثين حكماً، فقد استمرت خلافته طيلة ستة وأربعين عاماً وعشرة أشهر وثمانية وعشرين يوماً (2 ذي القعدة 575 ـ أول شوال 622هـ/ 30 آذار 1180 ـ 6 تشرين الأول 1225م)، يليه الخليفة السادس والعشرون القائم بأمر الله الذي استمرت خلافته طيلة أربعة وأربعين عاماً وخمسة وعشرين يوماً (ذي الحجة 422 ـ 13 شعبان 467هـ/ تشرين الثاني 1031 ـ 3 نيسان 1075م)، يليه القادر بالله الخليفة الخامس والعشرون الذي استمرت خلافته طيلة واحد وأربعين عاماً وثلاثة أشهر وعشرين يوماً (12 رمضان 381 ـ ذي الحجة 422هـ/ 3 تشرين الأول 991 ـ 18 كانون الأول 1031م).

ولم يزد عليهم في طول مدة الحكم، من خلفاء الدول الأخرى، إلا إثنان، هما: المستنصر بالله خامس الخلفاء الفاطميين في القاهرة، وقد تولى الخلافة وهو طفل في السابعة، لتستمر خلافته طيلة ستين عاماً هجرياً/ تسعة وخمسين ميلادياً (427 ـ 487هـ/ 1035 ـ 1094م). وعبد الرحمن الثالث «الناصر لدين الله» الأموي الذي حكم الأندلس طيلة نصف قرن (300 ـ 350هـ/ 913 ـ 961م)، منها ستة عشر عاماً كأمير أموي في الأندلس وأربعة وثلاثون عاماً كأول خليفة أموي في الأندلس، منذ إعلانه الخلافة الأموية يوم الجمعة 2 ذي الحجة 316هـ/ 16 كانون الثاني 929م.

أما أقصر فترة خلافة عباسية، فتعود لعبد الله بن المعتز بالله الذي مكث في الخلافة يوماً واحداً وليلة إثر خلع المقتدر بالله عام 296هـ/ 908م ثم قبض عليه المقتدر بالله وقتله. لذلك لم يعد عبد الله بن المعتز في جملة الخلفاء العباسيين، لقصر الفترة التي تولاها.

إن الصراع بين أبناء البيت العباسي حول الخلافة، فضلاً عن دور نفوذ القادة العسكريين غير العرب من الأتراك أو الفرس، أدى إلى قتل أحد عشر خليفة من أصل الخلفاء العباسيين السبعة والثلاثين. فقد قتل موسى الهادي مسموماً عام 170هـ/ 786م، ومحمد الأمين عام 198هـ/ 813م، والمتوكل على الله عام 247هـ/ 861م، والمنتصر بالله عام 248هـ/ 862م، والمستعين بالله عام 252هـ/ 866م، المهتدي بالله عام 256هـ/ 870م، والمقتدر بالله عام 320هـ/ 932م، والمسترشد بالله عام 529هـ/ 1135م، والراشد بالله عام 531هـ/ 1136م، المستنجد بالله عام 566هـ/ 1171م، والمستعصم بالله الذي قتل على يد المغول عام 656هـ/ 1258م. هذا دون اغفال قتل عبد الله بن المعتز عام 296هـ/ 908م، بعد أن مكث في الخلافة يوماً وليلة.

كما جرى خلع ستة خلفاء هم: المقتدر بالله الذي خلع مرتين الأولى عام 296هـ/ 908م والثانية عام 317هـ/ 929م، القاهر بالله عام 322هـ/ 934م، المتقي لله عام 333هـ/ 944م، المستكفي بالله عام 334هـ/ 945م، المطيع لله عام 363هـ/ 973م، الطائع لله عام 381هـ/ 991م، والراشد بالله عام 530هـ/ 1136م.

ووصل الأمر إلى حد سمل عيني الخليفة بعد خلعه، فكان القاهر بالله أول خليفة سملت عيناه عام 322هـ/ 934م، وبقي مسجوناً حتى وفاته عام 339هـ/ 950م. كما سملت عينا الطائع لله وجدع أنفه وأذنه عام 381هـ/ 991م.

ويعد هارون الرشيد أول خليفة في الإسلام، يبتدع منصب قاضي القضاة، ليكون أبو يوسف أول قاضي القضاة في الإسلام. كما أن الراضي بالله هو أول

خليفة ابتدع منصب أمير الأمراء ليتولاه التركي محمد بن رائق عام 324هـ/ 936م.

وإذا كان أبـو العبـاس السـفاح، هـو أول خلفـاء بنـي العباس، فـإن جميع خلفاء بنـي العباس هم مـن نسـل أخيـه أبي جعفر المنصور ثـاني خلفاء بنـي العباس.

لا شـك أن الخلفـاء السـبعة والثلاثـين، هـم جميعـاً مـن العـرب وتحديـداً مـن بنـي هاشـم لجهة الأب والجـد، وبنـو هاشـم هـم قبيلـة النبي العربي محمـد ﷺ. ولكن من جهة الأم، لا توجد سـوى ثـلاث أمهـات خلفـاء عربيـات فقط، هن: **ريطة** بنـت عبيد الله الحـارثي أم السـفاح أول خلفاء بني العبـاس، **أروى** بنـت منصـور الحميريـة أم المهـدي ثالـث خلفـاء بنـي العبـاس، **وزبيـدة** بنت جعفر بـن المنصـور. وزبيـدة هـي الوحيـدة بـين الأمهـات العربيات الثـلاث من بني هاشـم، وهـي أيضاً أم محمـد الأمـين خامـس خلفـاء بنـي العباس. وهذا يعنـي أن الأمين هـو الخليفة العبـاسي الوحيد من أب هاشـمي وأم هاشـمية، وهـو ثالـث خليفـة وآخـر خليفة، بين جميـع خلفاء الـدول المتعاقبة من أب هاشـمي وأم هاشـمية. فـأول خليفـة هاشـمي ولدتـه أم هاشـمية هـو الخليفة الراشـدي الرابع عـلي بـن أبي طالـب عليـه السـلام وأمـه فاطمـة بنت أسـد بن هاشـم، وثـاني خليفة هاشـمي ولدته أم هاشـمية هـو الخليفـة الراشـدي الخامـس الحسـن بـن عـلي عليهـما السـلام وأمـه فاطمـة بنـت النبـي محمد ﷺ.

أمـا أمهـات الخلفاء العباسـيين الأربعـة والثلاثين الباقيـات فهنّ من أصل بربـري أو فارسي أو تركي أو رومـي أو صقلبـي أو خوارزمـي أو أرمنـي، أي أصـل غـير عـربي، لأنهن مـن الجواري. فـأم المنصور ثـاني خلفـاء بنـي العبـاس هـي بربريـة تدعى سـلامة، وكذلك فتنـة أم القاهـر بالله الخليفة التاسـع عشر هـي بربرية.

وأم الهـادي والرشـيد رابـع وخامـس الخلفـاء العباسـيين هـي من اصـل مختلط تدعـى الخيزران، وأم المأمـون سـابع الخلفـاء العباسـيين هـي فارسـية تدعـى مراجـل. وشـجاع أم المتـوكل عـلى اللـه عـاشر الخلفـاء هـي خوارزمية.

أمـا الأمهـات التركيـات، فهـن: مـاردة أم المعتصـم باللـه ثامـن الخلفـاء، جيجـك أم المكتفـي بالله الخليفـة السـابع عـشر، زمـرد أم النـاصر لديـن الله الخليفـة الرابـع والثلاثين، في حين كانـت مخارق أم المسـتعين باللـه الخليفـة الثـاني عـشر، ومشـغلة أم المطيـع للـه الخليفـة الثالـث والعشريـن، من أصـل صقلبي.

أمـا الروميـات فهـن: قراطيـس أم الواثـق بالله تاسـع الخلفاء العباسـيين، حبشـية أم المنتصر بالله الخليفـة الحـادي عـشر، قبيحـة أم المعتـز باللـه الخليفـة الثالـث عـشر، قـرب «وردة» أم المهتـدي باللـه الخليفـة الرابـع عـشر، فتيـان أم المعتمـد عـلى اللـه الخليفة الخامـس عـشر، ضرار أم المعتضد باللـه الخليفـة السـادس عـشر، شـغب أم المقتدر باللـه الخليفة الثامـن عشر، ظلوم أم الـراضي بالله الخليفـة العشريـن، خلـوب «زهـرة» أم المتقـي للـه الخليفـة الواحـد والعشريـن، أملـح النـاس أم المسـتكفي باللـه الخليفـة الثاني والعشريـن، هزار «غيـث» أم الطائع لله الخليفـة الرابع والعشرين، تمنـى «دمنـة» أم القـادر باللـه الخليفـة الخامـس والعشريـن طـاووس أم المسـتنجد باللـه الخليفـة الثـاني والثلاثين.

والأرمنيـات، هـنّ: بـدر الدجـى، «قطـر النـدى» أم القائم بأمر اللـه الخليفة السـادس والعشرين، أرجـوان أم المقتـدي بأمـر اللـه الخليفـة السـابع والعشريـن، وغضـة أم المسـتضيء باللـه الخليفـة الثالـث والثلاثين.

وقـد طغـت المـرأة الجاريـة، في دورهـا السـياسي والاجتماعـي والاقتصـادي والثقـافي، عـلى المـرأة الحـرة. وحدهـا المـراة الحـرة، السـيدة زبيـدة بنـت جعفـر، حفيـدة المنصـور ثـاني الخلفـاء وزوجـة هـارون الرشـيد خامـس الخلفـاء وأم الأمـين سـادس الخلفـاء، اسـتطاعت أن ترسـم صـورة جميلـة للمـرأة الحرة.

وكانـت الخيـزران أم الخليفتـين الهـادي والرشـيد أول إمـرأة تسـتبد بالحكـم في الاسـلام، طيلـة خمسـة عـشر عامـاً (158 ـ 173هـ/ 775 ـ 789م) تمثـل أبـرز فـترات العـصر الذهبـي للخلافـة العباسـية، لتؤكـد أن الجـواري يسـتطعن الـزواج مـن

الخلفاء، وإدارة شؤون الدولة، وأن يلدن لهم خلفاء المستقبل.

وعادت المرأة الجارية مع شغب، تؤكد على دور المرأة، ليصل الأمر إلى حكم النساء طيلة ربع قرن تمثل عهد ابنها الخليفة المقتدر بالله (295 ـ 320هـ/ 908 ـ 932م).

وتلاشى دور المرأة الجارية في المراحل الرابعة والخامسة والسادسة التي عرفتها الدولة العباسية قبل سقوطها على يد المغول عام 656هـ/ 1258م.

عرف التاريخ العربي الاسلامي، منذ قيام دولة النبي العربي محمد ﷺ في المدينة المنورة عام 1هـ/ 623م حتى سقوط الدولة العثمانية عام 1337هـ/ 1918م، أربع دول كبرى، استمرت طيلة ثلاثة عشر قرناً متتالية، فكانت الدولة العباسية أطول هذه الدول عمراً بعدما استمرت عملياً وفعلياً في بغداد طيلة أكثر من خمسة قرون متتالية وتحديداً 524 عاماً هجرياً أو 508 أعوام ميلادية (132 ـ 656هـ/ 750 ـ 1258م) لتستمر بعدها بصورة شكلية في القاهرة طيلة 264 عاماً هجرياً أو 256 عاماً ميلادياً (659 ـ 923هـ/ 1261 ـ 1517م). أما الدولة العثمانية التي جاءت بعدها، فتعد ثاني دولة عمراً إذ استمرت طيلة أربعة قرون متتالية (923 ـ 1337هـ/ 1517 ـ 1918م). فتكون الدولة الأموية ثالث هذه الدول عمراً إذ استمرت في دمشق طيلة تسعين عاماً (41 ـ 132هـ/ 661 ـ 750م)، والدولة العربية الاسلامية الأولى، أي دولة النبي العربي محمد ﷺ ودولة الخلفاء الراشدين الخمسة: أبو بكر الصديق، عمر بن الخطاب، عثمان بن عفان، علي بن أبي طالب، والحسن بن علي رضي الله عنهم، رابع هذه الدول بعدما استمرت طيلة أربعين عاماً فقط (1 ـ 41هـ/ 623 ـ 661م).

وقد ساعد طول عمر الدولة العباسية على قيام دول عديدة على حساب أراضيها المترامية الأطراف شرقاً وغرباً، لتفلت من سلطتها العسكرية، وأحياناً من سلطتها الروحية، فاستمرت الدولة الأموية في الأندلس حوالى ثلاثة قرون متتالية

وتحديداً 284 عاماً هجرياً/ 275 عاماً ميلادياً (138 ـ 422هـ/ 756 ـ 1031م). واستمرت دولة الأدارسة في المغرب الأقصى طيلة قرنين (172 ـ 375هـ/ 788 ـ 985م)، ودولة الأغالبة في تونس طيلة أكثر من قرن (184 ـ 296هـ/ 800 ـ 909م)، والدولة الطاهرية في خراسان طيلة أكثر من نصف قرن (205 ـ 259هـ/ 820 ـ 872م)، والدولة اليعفرية في صنعاء طيلة قرن ونصف القرن (247 ـ 387هـ/ 861 ـ 997م)، والدولة الزيدية في طبرستان طيلة قرن (250 ـ 355هـ/ 864 ـ 965م)، والدولة السامانية في إقليم ما وراء النهر طيلة قرن وربع القرن (261 ـ 389هـ/ 874 ـ 999م)، والدولة الغزنوية طيلة قرنين وربع القرن (351 ـ 582هـ/ 962 ـ 1186م).

وكانت مصر وبلاد الشام مسرحاً لقيام دول عديدة مستقلة عن الدولة العباسية، مثل الدولة الطولونية التي استمرت سبعة وثلاثين عاماً (254 ـ 292هـ/ 868 ـ 904م)، والدولة الأخشيدية التي استمرت خمسة وثلاثين عاماً (323 ـ 358هـ/ 935 ـ 969م)، والدولة الفاطمية التي استمرت قرنين (362 ـ 567هـ/ 973 ـ 1171م)، والدولة الأيوبية التي استمرت ثلاثة أرباع القرن (567 ـ 648هـ/ 1171 ـ 1250م)، وأخيراً دولة المماليك التي استمرت أكثر من قرنين ونصف القرن (648 ـ 923هـ/ 1250 ـ 1517م).

والدول العربية الاسلامية الثلاث الكبرى الراشدة والأموية والعباسية، حمل حكامها لقب خليفة. وكان لا يوجد سوى خليفة واحد في المدينة المنورة مع دولة الخلفاء الراشدين، ثم في دمشق مع الدولة الأموية. في حين عرفت الدولة العباسية خليفة عباسي واحد في بغداد في مرحلة القوة والازدهار، ليعلن أكثر من حاكم نفسه خليفة في المغرب والأندلس في مرحلة الضعف وسيطرة العناصر غير العربية على الخلافة العباسية.

لم يجرؤ أحد من العناصر الاسلامية غير العربية، في المشرق العربي

الإسلامي، أن يقضي على الخلافة العباسية أو يحمل لقب خليفة، بل كان البويهيون «الفرس» والسلاجقة والأتابكة «الأتراك» والأيوبيون «الأكراد»، يحرصون على نيل موافقة الخليفة العباسي على ملكه وسلطانه رغم ضعف هذا الخليفة سياسياً وعسكرياً، إذ بقيت له السلطة الروحية.

كان الفاطميون أول من أسس خلافة قوية في المغرب طيلة خمسة وستين عاماً (297 ـ 362هـ/ 909 ـ 973م) ثم في مصر مع تأسيس القاهرة طيلة حوالى القرنين (362 ـ 567/ 973 ـ 1171م).

وفي الأندلس قامت الخلافة الأموية ومركزها قرطبة طيلة مائة وستة أعوام هجرية/ مائة وعامين للميلاد (316 ـ 422هـ/ 929 ـ 1031م)،

مع اعلان عبد الرحمن الثالث «الناصر لدين الله»، قيام الخلافة الأموية في الأندلس، يوم الجمعة 2 ذي الحجة 311هـ/ 16 كانون الثاني 929م، تكرس تقاسم الدولة العربية الاسلامية المترامية الأطراف بين العباسيين والأمويين، وإن كانت الحصة الأموية هي الصغرى لأنها محصورة داخل الأندلس في أقصى شرق هذه الدولة العربية الإسلامية. وأكد هذا الواقع الجديد أن الخلافة الأموية التي سقطت في دمشق عام 132هـ/ 750م، عادت لتستمر في قرطبة الحاضرة الجديدة للأمويين في الأندلس.

وكان الخطر الأكبر على الخلافة العباسية في بغداد، هو قيام الخلافة الفاطمية في المغرب عام 297هـ/ 909م، على أساس المذهب الاسماعيلي، وهدفها أن تحل مكان الخلافة العباسية. في حين أن الخلافة الأموية التي قامت بعدها بعشرين عاماً، لم تفكر يوماً بالقضاء على الخلافة العباسية، مكتفية بقرطبة حاضرة لها داخل الأندلس وزاد خطر الخلافة الفاطمية مع انتقالها إلى القاهرة في مصر عام 362هـ/ 973م.

ومنذ قيام الخلافة الأموية في قرطبة عام 316هـ/ 929م، حتى سقوطها النهائي

عـام 422هـ/ 1031م، عرفـت الدولـة العربية الإسـلامية ثلاث خلافات كبرى في وقـت واحد: الخلافة العباسـية في بغـداد، الخلافـة الفاطميـة في المغـرب ثـم في مـصر والخلافـة الأمويـة في الأندلـس. وتعايشـت هـذه الخلافـات الثلاث طيلـة أكثر من قرن كامل. وبسـقوط الخلافـة الأموية في الأندلس عـام 422هـ/ 1031، انحـصر الصراع بين الخلافتين العباسـية والفاطمية طيلة مائة وخمسـة وأربعين عامـاً هجريـاً/ مائـة وأربعـين عامـاً ميلاديـاً، لتبقـى وحدهـا الخلافـة العباسـية بعد سـقوط الخلافة الفاطميـة عـلى يـد صـلاح الديـن الأيـوبي الـذي أمـر بالدعـاء عـلى منابـر مـصر للخليفـة العبـاسي المسـتضيء بأمـر اللـه يوم الجمعـة 7 محـرم 567هـ/ 10 أيلـول 1171م.

واللافـت أن الخلافـة العباسـية، كانـت تمـر بمرحلتـي الضعـف تحـت النفـوذ البويهـي ثـم النفوذ السـلجوقي، مـع وجـود الخلافـة الفاطميـة في القاهـرة (362 ـ 567هـ/ 973 ـ 1171م)، ويبـدو أن سـقوط الخلافـة الفاطميـة عـام 567هـ/ 1171م، أتـاح الفرصـة للخليفـة النـاصر لديـن اللـه الـذي خلـف أبـاه المسـتضيء بأمـر اللـه عـام 575هـ/ 1180م، لأن يتخلـص مـن النفـوذ السـلجوقي عـام 590هـ/ 1194م، فتسـتقل الخلافـة العباسـية بملـك العـراق في مرحلـة جديـدة وأخـيرة لم تـدم أكثر مـن سـتة وسـتين عامـاً (590 ـ 656هـ/ 1194 ـ 1258م) انتهـت بسـقوط بغـداد عـلى يـد المغـول، وهـم عنـصر وثنـي غـير عـربي. علـماً أن الخلافـة الأمويـة في قرطبـة سـقطت عـام 422هـ/ 1031م، لتحـل مكانهـا دويـلات يحكـم معظمهـا عنـاصر إسـلامية غـير عربية مـن البربـر والصقالبـة. كما أن الخلافـة الفاطميـة في القاهـرة، سـقطت بدورهـا عـام 567هـ/ 1171م عـلى يـد الأتابكـة الأتـراك والأيوبيـين الأكـراد وهـما أيضـاً مـن العنـاصر الإسـلامية غـير العربيـة. وتتحمـل الخلافـات الثـلاث الكـبرى: العباسـية في بغـداد والأمويـة في قرطبـة والفاطميـة في القاهـرة، مسـؤولية إبعـاد العنـصر العـربي عـن تسـلم مقاليـد القيـادة العسـكرية التـي آلـت إلى العنـصر غـير العـربي الـذي آلـت إليه القيـادة السياسـية أيضـاً.

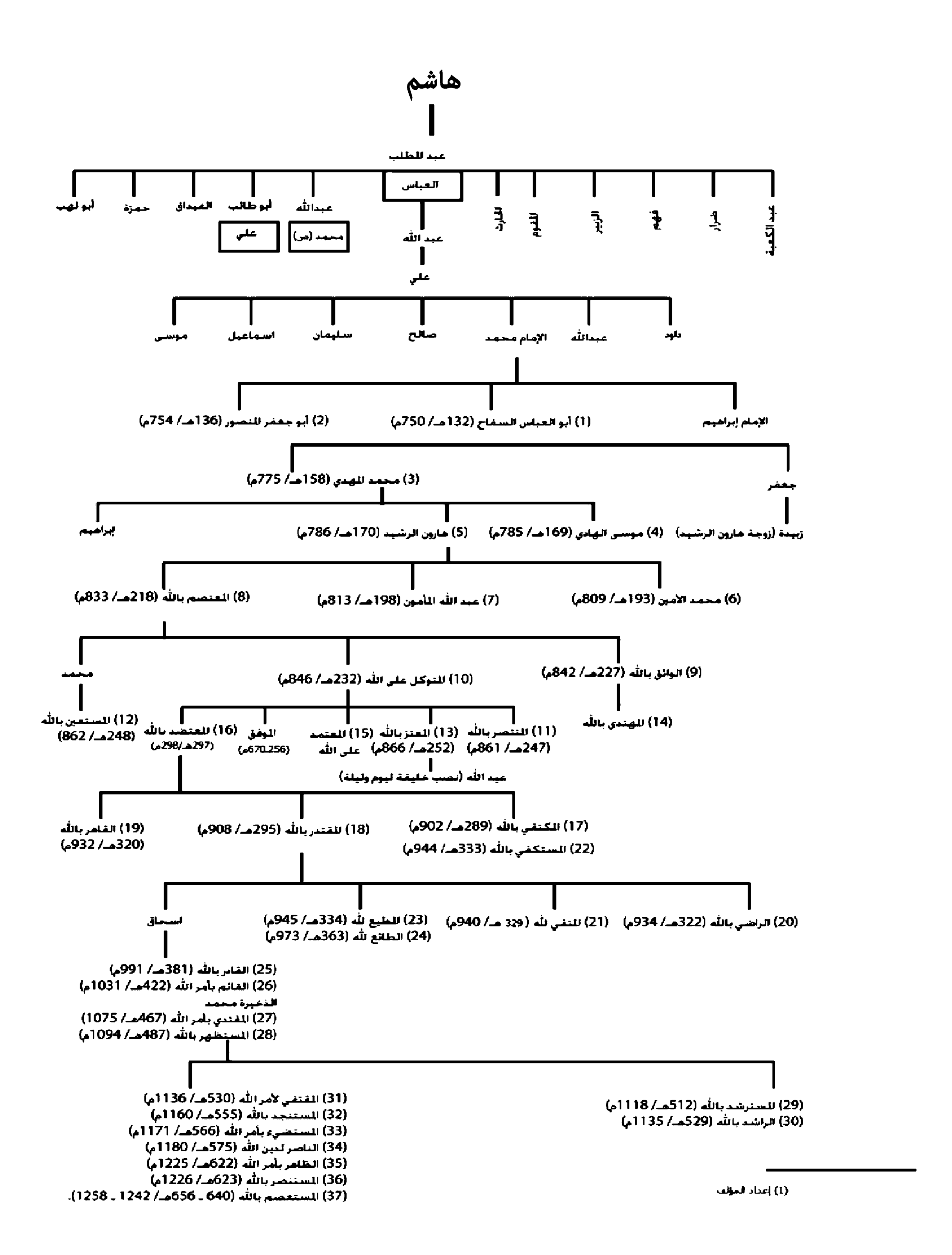
صحيح أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله، حاول الاعتماد على العنصر العربي في بغداد عن طريق «نظام الفتوة» العسكري والذي عرف بـ «الفتوة الناصرية»، وذلك بعد ثلاثة أعوام من توليه الخلافة حتى تمكن خلال عشرة أعوام من انهاء السيطرة السلجوقية في العراق عام 590هـ/ 1194م. وذلك اعتماداً على الفتوة الناصرية من جهة وعلى دهائه السياسي من جهة ثانية الذي أدى إلى الصدام العسكري بين الخوارزمية والسلاجقة، لينتهي الأمر بهزيمة السلاجقة في معركة الري.

لكن محاولة اعتماد الخليفة العباسي على العنصر العربي، جاءت متأخرة جداً، في الوقت الذي أخذت تسير فيه الدولة العباسية نحو الشيخوخة والزوال: مع سيطرة العناصر غير العربية على القوة العسكرية، فكما قضت الدولة الخوارزمية على دولة السلاجقة، فقد قضى المغول على الدولة الخوارزمية، قبل القضاء على الخلافة العباسية في بغداد عام 656هـ/ 1258م.

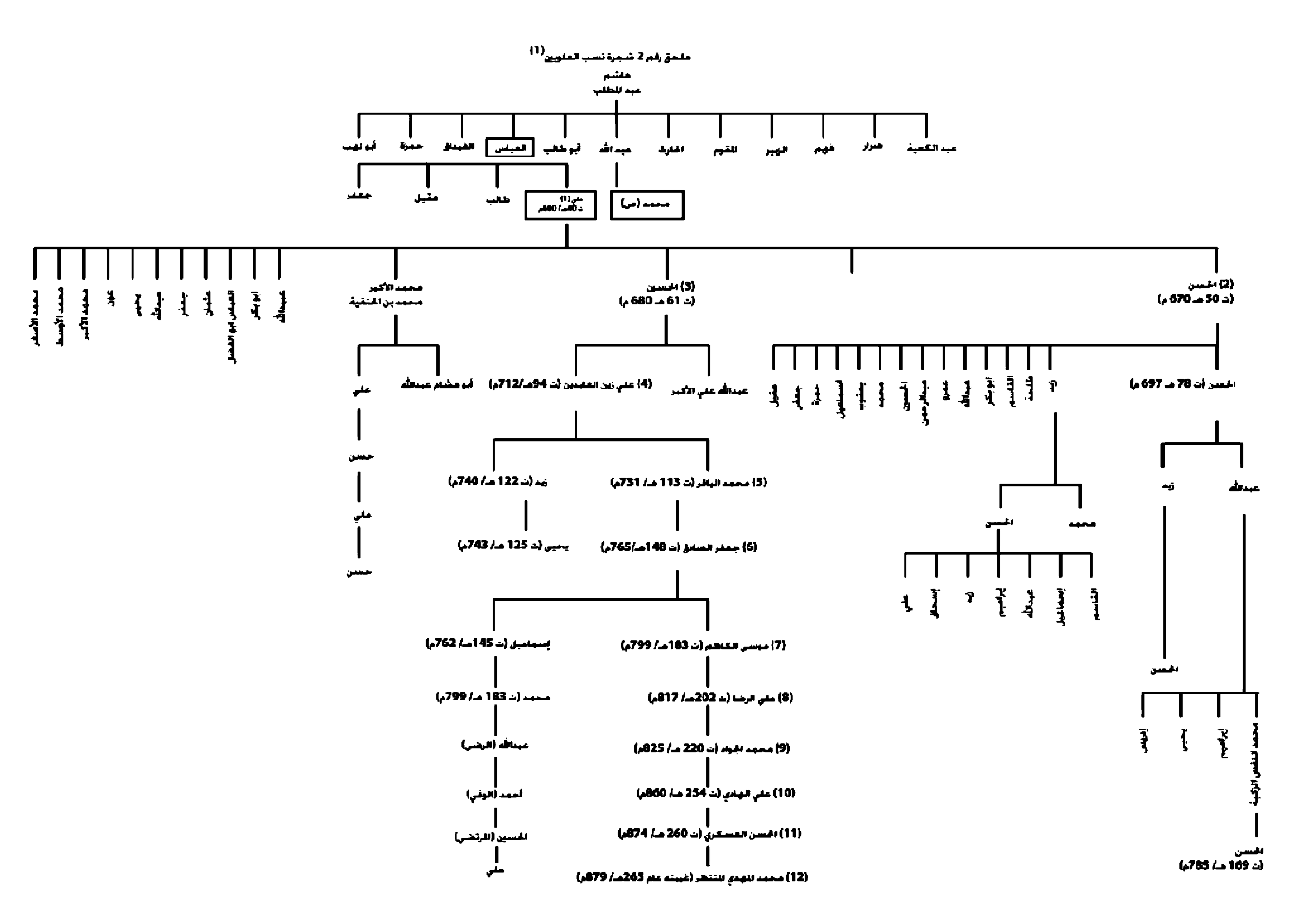
ومع سقوط الخلافة العباسية في بغداد، على يد المغول عام 656هـ/ 1258م، تمكن المماليك، وهم أيضاً عنصر اسلامي غير عربي، من إنزال الهزيمة الكبرى بالمغول والقضاء على «أسطورة جيش المغول قوة لا تقهر» في معركة عين جالوت في 25 رمضان 658هـ/ 3 أيلول 1260م، وبذلك أقام المماليك الخلافة العباسية في القاهرة في رجب 659هـ/ حزيران 1261م ولكن بصورة شكلية وصورية الهدف الرئيسي منها هو وجود السلطة الروحية لدعم شرعية حكم المماليك الذين استمرت دولتهم في مصر وبلاد الشام، حتى سقوطها عام 923هـ/ 1517م على يد العثمانيين الأتراك، وهم أيضاً عنصر إسلامي غير عربي، سيطر على معظم أرجاء الوطن العربي طيلة أربعة قرون متتالية، انتهت بهزيمته في الحرب العالمية الأولى عام 1337 هـ/ 1918م.

ملحق رقم 1

شجرة نسب الخلفاء العباسيين[1]



(1) إعداد المؤلف



ملحق رقم 2 شجرة نسب العلويين(1)
هاشم
عبد المطلب
أبو لهب
حمزة
الغيداق
العباس
أبو طالب
عبد الله
الحارث
المقوم
الزبير
ضرار
عبد الكعبة
جعفر
عقيل
طالب
علي(1) (ت 40هـ/ 660م)
محمد (ص)
محمد الأصغر
محمد الأوسط
محمد الأكبر
عون
يحيى
عبدالله
جعفر
عثمان
العباس ابو الفضل
ابو بكر
عبدالله
محمد الأكبر
محمد بن الحنفية
علي
أبو هشام عبدالله
حسن
علي
حسن
(3) الحسين
(ت 61 هـ 680 م)
(4) علي زين العابدين (ت 94هـ/712م)
عبدالله علي الأكبر
زيد (ت 122 هـ/ 740م)
يحيى (ت 125 هـ/ 743م)
(5) محمد الباقر (ت 113 هـ/ 731م)
(6) جعفر الصادق (ت 148هـ/765م)
إسماعيل (ت 145هـ/ 762م)
محمد (ت 183 هـ/ 799م)
عبدالله (الرضي)
أحمد (الوفي)
الحسين (المرتضى)
علي
(7) موسى الكاظم (ت 183 هـ/ 799م)
(8) علي الرضا (ت 202هـ/ 817م)
(9) محمد الجواد (ت 220 هـ/ 825م)
(10) علي الهادي (ت 254 هـ/ 860م)
(11) الحسن العسكري (ت 260 هـ/ 874م)
(12) محمد المهدي المنتظر (غيبته عام 265هـ/ 879م)
(2) الحسن
(ت 50 هـ 670 م)
عقيل
جعفر
حمزة
اسماعيل
يعقوب
محمد
الحسين
عبدالرحمن
عمرو
عبدالله
ابو بكر
القاسم
طلحة
زيد
الحسن
محمد
علي
إسحاق
زيد
إبراهيم
عبدالله
إسماعيل
القاسم
الحسن (ت 78 هـ 697 م)
زيد
عبدالله
الحسن
إدريس
يحيى
إبراهيم
محمد النفس الزكية
الحسن
(ت 169 هـ/ 785م)

ملحق رقم 3

الخلفاء العباسيون السبعة والثلاثون

(132 ـ 656هـ/ 750 ـ 1258م)

الخليفة	والده	أمه	أصلها
1 ـ أبو العباس السفاح 132هـ/ 750م	محمد بن علي بن عبدالله العباس	ريطة الحارثية	عربية
2 ـ أبو جعفر المنصور136هـ/ 754م	محمد بن علي بن عبدالله العباس	سلامة	بربرية
3 ـ محمد المهدي 158هـ/ 775م	أبو جعفر المنصور	أروى الحميرية	عربية
4 ـ موسى الهادي 169هـ/ 785م	محمد المهدي	الخيزران	مختلط
5 ـ هارون الرشيد 170هـ/ 786م	محمد المهدي	الخيزران	مختلط
6 ـ محمد الأمين 193هـ/ 809م	هارون الرشيد	زبيدة	عربية
7 ـ عبدالله المأمون 198هـ/ 813م	هارون الرشيد	مراجل	فارسية
8 ـ المعتصم بالله 218هـ/ 833م	هارون الرشيد	ماردة	تركية
9 ـ الواثق بالله 227هـ/ 842م	المعتصم بالله	قراطيس	رومية

10 ـ المتوكل على الله 232هـ/ 842م	المعتصم بالله	شجاع	خوارزمية
11 ـ المنتصر بالله 247هـ/ 861م	المتوكل على الله	حبشية	رومية
12 ـ المستعين بالله 248هـ/ 862م	محمد بن المعتصم بالله	مخارق	صقلبية
13 ـ المعتز بالله 252هـ/ 866م	المتوكل على الله	قبيحة	رومية
14 ـ المهتدي بالله 255هـ/869م	الواثق بالله	قرب «وردة»	رومية
15 ـ المعتمد على الله 256هـ/ 870م	المتوكل على الله	فتيان «وردة»	رومية
16 ـ المعتضد بالله 279هـ/ 892م	الموفق بن المتوكل على الله	ضرار	رومية
17 ـ المكتفي بالله 289هـ/902م	المعتضد بالله	جيجك	تركية
18 ـ المقتدر بالله 295هـ/ 908م	المعتضد بالله	شغب	رومية
19 ـ القاهر بالله 320هـ/ 932م	المعتضد بالله	فتنة	بربرية
20 ـ الراضي بالله 322هـ/ 934م	المقتدر بالله	ظلوم	رومية
21 ـ المتقي لله 329هـ/ 940م	المقتدر بالله	خلوب	رومية
22 ـ المستكفي بالله 333هـ/ 944م	المكتفي بالله	أملح الناس	رومية
23 ـ المطيع لله 334هـ/ 945م	المقتدر بالله	مشغلة	صقلبية
24 ـ الطائع لله 363هـ/ 973م	المطيع لله	هزار «غيث»	رومية
25 ـ القادر بالله 381هـ/ 991م	اسحاق بن المقتدر بالله	تمنى «دمنة»	رومية
26 ـ القائم بأمر الله 422هـ/ 1031م	القادر بالله	بدر الدجى «قطر الندى»	أرمنية
27 ـ المقتدي بأمر الله 467هـ/ 1075م	الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله	أرجوان	أرمنية
28 ـ المستظهر بالله 487هـ/1094م	المقتدي بأمر الله		
29 ـ المسترشد بالله 512هـ/ 1118م	المستظهر بالله		

30 ـ الراشد بالله 529هـ/ 1135م	المسترشد بالله		
31 ـ المقتفي لأمر الله 530هـ/ 1136م	المستظهر بالله		
32 ـ المستنجد بالله 555هـ/ 1160م	المقتفي لأمر الله	طاووس	رومية
33 ـ المستضيء بأمر الله 566هـ/ 1171م	المستنجد بالله	غضة	أرمنية
34 ـ الناصر لدين الله 575هـ/ 1180م	المستضيء بأمر الله	زمرد	تركية
35 ـ الظاهر بأمر الله 622هـ/ 1225م	الناصر لدين الله		
36 ـ المستنصر بالله 623هـ/ 1226م	الظاهر بأمر الله		
37 ـ المستعصم بالله 640 ـ 656هـ/ 1242 ـ 1258	المستنصر بالله		

ملحق رقم 4

الأمراء والخلفاء الأمويون في الأندلس[1]

(138 ـ 422هـ/ 756 ـ 1031م)

(أ) الأمراء الأمويون (138 ـ 316هـ/ 756 ـ 929م)

1 ـ عبد الرحمن الأول «الداخل»	(138هـ/ 756م)
2 ـ هشان الأول «الرضا»	(172هـ/ 788م)
3 ـ الحكم الأول «الربضي»	(180هـ/ 796م)
4 ـ عبد الرحمن الثاني «الأوسط»	(206هـ/ 822م)
5 ـ محمد الأول	(238هـ/ 852م)
6 ـ المنذر بن محمد	(273هـ/ 886م)
7 ـ عبد الله بن محمد	(275هـ/ 888م)
8 ـ عبد الرحمن الثالث	(300هـ/ 912م)

(ب) الخلفاء الأمويون (316 ـ 422هـ/ 929 ـ 1031م)

1 ـ عبد الرحمن الثالث «الناصر لدين الله»	(316هـ/ 929م)
2 ـ الحكم الثاني «المستنصر»	(350هـ/ 961م)

1 ـ Stanley Lane – Poole: Muhammadan Dynasties p 21 – 23.

3 ـ هشام الثاني «المؤيد» (366هـ/ 976م)

4 ـ محمد الثاني «المهدي» (399هـ/ 1009م)

5 ـ سليمان «المستعين» (400هـ/ 1010م)

6 ـ عبد الرحمن الرابع «المرتضى» (408هـ/ 1018م)

7 ـ عبد الرحمن الخامس «المستظهر» (414هـ/ 1023م)

8 ـ محمد الثالث «المستكفي» (414هـ/ 1024م)

9 ـ هشام الثالث «المعتد» (418هـ/ 1027م)

ملحق رقم 5

حكام الدولة الطولونية في مصر وبلاد الشام[1]

(254 ـ 292هـ/ 868 ـ 904م)

1 ـ أحمد بن طولون	(254هـ/ 868م)
2 ـ خمارويه بن أحمد	(270هـ/ 883م)
3 ـ أبو العساكر جيش بن خمارويه	(282هـ/ 895م)
4 ـ هارون بن خمارويه	(283هـ/ 896م)
5 ـ شيبان بن أحمد بن طولون	(292هـ/ 904م)

1 ـ محمد بك الخضري: الدولة العباسية، ص 299.

ملحق رقم 6

حكام الدولة الأخشيدية في مصر وبلاد الشام[1]

(323 ـ 358هـ/ 935 ـ 969م)

1 ـ محمد الأخشيد بن طغج	(323هـ/ 935م)
2 ـ أبو القاسم أنوجور بن الأخشيد	(334هـ/ 946م)
3 ـ أبو الحسن علي بن الأخشيد	(349هـ/ 960م)
4 ـ أبو المسك كافور	(355هـ/ 966م)
5 ـ أبو الفوارس أحمد بن علي	(357هـ/ 967م)

1- Stanley Lane Poole: Muhammadan, Dynasties, p. 69.

ملحق رقم 7

الخلفاء الفاطميون[1]

(297 ـ 567هـ/ 909 ـ 1171م)

(أ) في المغرب (297 ـ 362/ 909 ـ 973)

1 ـ المهدي بالله عبيد الله	(297/ 909)
2 ـ القائم بأمر الله محمد	(322/ 934)
3 ـ المنصور بالله إسماعيل	(334/ 946)
4 ـ المعز لدين الله معد	(341/ 953)

ب ـ في مصر (362 ـ 567/ 973 ـ 1171)

1 ـ المعز لدين الله معد	(362/ 973)
2 ـ العزيز بالله نزار	(365/ 976)
3 ـ الحاكم بأمر الله المنصور	(386/ 996)
4 ـ الظاهر لإعزاز دين الله علي	(411/ 1020)
5 ـ المستنصر بالله معد	(427/ 1035)
6 ـ المستعلي بالله أحمد بن المستنصر	(487/ 1094)

1 ـ حسن إبرايم حسن: تاريخ الإسلام، ج 3 ص 149.

7 ـ الأمر بأحكام الله المنصور بن المستعلي (495/ 1101)

8 ـ الحافظ لدين الله عبد المجيد بن محمد بن المستنصر (524/ 1130)

9 ـ الظافر بالله إسماعيل بن الحافظ (544/ 1149)

10 ـ الفائز بنصر الله عيسى بن الظافر (549/ 1154)

11 ـ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف بن الحافظ (555/ 1160)

ملحق رقم 8

الملوك البويهيون في بغداد

(334 ـ 447هـ/ 945 ـ 1055م)

1 ـ معز الدولة	أحمد بن بويه	334هـ/ 945م
2 ـ عز الدولة «بختيار»	ابن معز الدولة	338هـ/ 949م
3 ـ عضد الدولة «فناخسرو»	ابن الحسن بن بويه	367هـ/ 978م
4 ـ صمصام الدولة «المرزبان»	ابن عضد الدولة	372هـ/ 982م
5 ـ شرف الدولة «شيرزيل»	ابن عضد الدولة	376هـ/ 986م
6 ـ بهاء الدولة «فيروز»	ابن عضد الدولة	379هـ/ 989م
7 ـ سلطان الدولة	ابن بهاء الدولة	403هـ/1012م
8 ـ شرف الدولة	ابن بهاء الدولة	411هـ/ 1020م
9 ـ جلال الدولة	ابن بهاء الدولة	416هـ/ 1025م
10 ـ محي الدين «كاليجار المرزبان»	ابن سلطان الدولة	435هـ/ 1043م
11 ـ الرحيم «خسروفيروز»	ابن محي الدين	440هـ/ 1048م

ملحق رقم 9

السلاطين السلاجقة في العراق

(447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)

1 ـ طغرل بك	447هـ/ 1055م
2 ـ ألب أرسلان بن جفري (جفري أخو طغرل بك)	455هـ/ 1063م
3 ـ ملكشاه بن ألب أرسلان	465هـ/ 1072م
4 ـ بركياروق بن ملكشاه	487هـ/ 1094م
5 ـ محمد بن ملكشاه	498هـ/ 1104م
6 ـ محمود بن محمد بن ملكشاه	513هـ/ 1119م
7 ـ مسعود	552هـ/ 1157م
8 ـ ملكشاه	547هـ/ 1152م
9 ـ سليمان شاه	555هـ/ 1160م
10 ـ أرسلان بن طغرل الثاني	556هـ/ 1161م
11 ـ طغرل الثالث بن أرسلان	571هـ/ 1175م

ملحق رقم 10

السلاطين الأيوبيون في مصر

(567 ـ 648هـ/ 1171 ـ 1250م)

1 ـ الناصر صلاح الدين الأيوبي	567هـ/ 1171م
2 ـ العزيز عثمان ابن صلاح الدين	589هـ/ 1193م
3 ـ المنصور محمد ابن العزيز عثمان	595هـ/ 1198م
4 ـ العادل سيف الدين أخو صلاح الدين	597هـ/ 1200م
5 ـ الكامل محمد ابن العادل	615هـ/ 1218م
6 ـ العادل الثاني ابن الكامل	636هـ/ 1238م
7 ـ الصالح أيوب ابن الكامل	638هـ/ 1240م
8 ـ المعظم توران شاه ابن الصالح أيوب	647هـ/ 1249م

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية

ـ **ابن أبي أصيبعة**: أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة (ت 668هـ/ 1270م)

1ـ عيون الأنباء في طبقات الأطباء 3 ج، دار الثقافة، بيروت، طبعة رابعة 1987م.

ـ **ابن الآبار**: أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي (ت 658هـ/ 1260م)

2ـ الحلة السيراء 2 جـ تحقيق حسين مؤنس، القاهرة 1963م.

ـ **ابن أبي الفضائل**: مفضل (ت 672هـ/ 1273م)

3ـ النهج السديد والدر الفريد، 2 جـ بلوشيه، باريس (1911 ـ 1930)

ـ **ابن الأثير**: عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري

(ت 630هـ/ 1233م)

4ـ الكامل في التاريخ 13 جـ عن طبعة المستشرق تورنبرغ.

دار صادر، بيروت (د.ت).

ـ **ابن أعثم**: أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي (ت 314هـ/ 926م)

5ـ الفتوح 8 جـ تحقيق علي شيري. دار الأضواء، بيروت 1411هـ/ 1991م.

ـ **ابن إياس**: ابو البركات محمد بن أحمد (ت 930هـ/ 1523م)

6ـ بدائع الزهور في وقائع الدهور 5 جـ القاهرة، طبعة ثانية 1960 ـ 1963م.

ـ **ابن بسام**: أبو الحسن علي (ت 542هـ/ 1147م)

7ـ الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة 4 جـ القاهرة 1945.

ـ **ابن تغري بردي:** جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت 875هـ/ 1470م)

8ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. 13 جـ

دار الكتب المصرية، القاهرة 1353هـ/ 1934م.

ـ **ابن الجوزي:** أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت 579هـ/ 1201م)

9ـ المنتظم في أخبار الأمم والملوك. 18 جـ

تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا. دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت).

10ـ المصباح المضيء في خلافة المستضيء،

تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم. مطبعة الأوقاف، بغداد 1976.

ـ **ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي البغدادي** (ت 380هـ/ 990م)

11ـ المسالك والممالك والمفاوز والمهالك، ليدن بريل 1873م.

ـ **ابن الخطيب:** لسان الدين محمد بن عبد الله (ت 776هـ/ 1374م)

12ـ أعمال الأعمال فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، وما يجر ذلك من شجون الكلام.

بيروت 1956، والدار البيضاء 1964.

ـ **ابن خلدون:** عبد الرحمن بن محمد المغربي (ت 808هـ/ 1405م)

13ـ العبر وديوان المبتدأ والخبر. 7 جـ

مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني. بيروت 1966م.

ـ **ابن خلكان** شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد: (ت 681هـ/ 1282م)

14ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. 8 جـ

تحقيق احسان عباس. بيروت 1970 ـ 1972م.

ـ **ابن دحية الكلبي** أبو الخطاب عمر بن حسين «ذو النسبين»

(ت 633هـ/ 1235م)

15ـ النبراس في تاريخ بني العباس، تدقيق عباس الفراوي.

مطبعة المعارف، بغداد 1946.

ـ **ابن الساعي** تاج الدين علي بن أنجب (ت 674هـ/ 1276م)

16ـ نساء الخلفاء، تحقيق مصطفى جواد. دار المعارف، القاهرة (د. ت).

17ـ الجامع المختصر (مختصر أخبار الخلفاء)

تحقيق مصطفى جواد. بغداد 1353هـ/ 1934م.

ـ **ابن سعد: محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري** (ت 230هـ/ 845م)،

18 ـ الطبقات الكبرى. 9 جـ تحقيق محمد عبد القادر عطا.

دار الكتب العلمية، بيروت 1410هـ/ 1990م.

ـ **ابن طباطبا: أبو جعفر محمد بن علي بن محمد المعروف بابن الطقطقى**

(ت 709هـ/ 1309م)،

19 ـ الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية، دار صادر، بيروت 1966م. ودار بيروت، 1980.

ـ **ابن شاكر الكتبي** محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر الملقب بصلاح الدين (ت 764هـ/ 1362م)،

20 ـ فوات الوفيات. 5 جـ

تحقيق احسان عباس. دار الثقافة، بيروت 1973 ـ 1974م.

ـ **ابن طيفور**، أحمد بن طاهر (ت 280هـ/ 893م)،

21 ـ بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المثنى، بغداد 1967.

ـ **ابن عذارى**: أبو العباس أحمد بن محمد (ت بعد 712هـ/ 1312م)

22ـ البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. 2 جـ

تحقيق ليفي برفنسال وكولان. بيروت 1950.

ـ **ابن العماد**: أبو الفلاح عبد الحي بن العماد بن أحمد الحنبلي،

(ت 1089هـ/ 1679م)

23ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب. 8 جـ

مكتبة القدس. القاهرة 1350 ـ 1351هـ/ 1931 ـ 1932م.

ـ **ابن العمراني**: محمد بن علي (ت 580هـ/ 1184م)،

24 ـ الأنباء في تاريخ الخلفاء،تحقيق قاسم السامرائي، ليدن 1973م.

ـ **ابن العميد**: الشيخ جرجس (ت 672هـ/ 1273م)،

25 ـ تاريخ المسلمين

ـ **ابن الفقيه الهمداني**، محمد بن عبد الملك (ت 290هـ/ 903م).

26ـ بغداد مدينة السلام، وزارة الاعلام، بغداد (د.ت).

ـ **ابن الفوطي**: كمال الدين عبد الرزاق (ت 723هـ/ 1323م)

27ـ الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة،

نشر مصطفى جواد، بغداد 1932.

ـ **ابن قتيبة**: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ/ 889م)

28ـ الإمامة والسياسة، صححه محمد محمود الرافعي. القاهرة 1342هـ/ 1904م.

ـ **ابن الكازروني**، ظهير الدين علي بن محمد (ت 697هـ/ 1298م)

29ـ مختصر التاريخ من أول الزمان إلى منتهى دولة بني العباس،

تحقيق مصطفى جواد وسالم الألوسي، بغداد 1970.

ـ **ابن كثير**: عماد الدين الحافظ أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774هـ/ 1372م)،

30 ـ البداية والنهاية 14جـ مكتبة المعارف، بيروت، طبعة رابعة 1401هـ/1981م.

ـ **ابن منظور**: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري (ت 711هـ/ 1311م)،

31 ـ لسان العرب (المحيط) 15م،

دار صادر، بيروت (1375 ـ 1376هـ/ 1955 ـ 1956م).

ـ **ابن النجار البغدادي**: محب الدين محمد بن محمود (ت 643هـ/ 1245م)،

32 ـ ذيل تاريخ بغداد،

تحقيق مصطفى عبد القادر، دار الكتب العلمية، بيروت 1997م.

ـ **ابن النديم**: ابو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحاق بن محمد بن اسحاق

(ت 383هـ/ 992م)

33ـ الفهرست تحقيق رضا تجدد. طهران (د.ت). وتحقيق يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية. بيروت 1996م.

ـ **ابن ودران**، حسن بن محمد (كان حياً 1172هـ/ 1761م).

34 ـ تاريخ العباسيين، تحقيق المنجي الكعبي، دار الغرب بيروت 1993.

ـ **أبو شامة**: شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل الشافعي

(ت 665هـ/ 1267م)،

35 ـ الذيل على الروضتين،

دار الجيل، بيروت (د.ت) مصورة عن طبعة القاهرة 1974.

ـ **أبو الفداء**: عماد الدين اسماعيل بن علي (ت 732هـ/ 1332م)

36ـ المختصر في أخبار البشر. جـ 3 و 4. بيروت (د.ت) عن طبعة القاهرة 1907.

ـ **أبو يوسف: يعقوب بن ابراهيم الأنصاري** (ت 182هـ/ 798م)

37ـ الخراج، 2 جـ المكتبة السلفية القاهرة 1952م.

ـ **الأزرقي: محمد بن عبد الله أحمد**

38ـ أخبار مكة وما جاء بها من الآثار، 2 جـ

تحقيق رشدي الصالح ملحس. دار الأندلس، بيروت 1969م.

ـ **الأصفهاني**: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد الأموي (ت 356هـ/ 967م)

39ـ الأغاني. 24جـ دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة أولى 1994م.

40ـ مقاتل الطالبيين، تحقيق السيد أحمد صقر. مطبعة الحلبي 1946م.

ـ **البغدادي**: أبو منصور عبد القادر بن طاهر،

41ـ الفرق بين الفرق، وبيان الفرقة الناجية منهم.

تحقيق محمد بدر. القاهرة 1910.

ـ **البيروني**: أبو الريحان أحمد بن محمد،

42ـ الآثار الباقية عن القرون الخالية، ليبزك 1913.

ـ **التنوخي**: القاضي أبو علي المحسّن بن علي بن محمد التنوخي

(ت 384هـ/ 994م)

43ـ نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة. 8 جـ

تحقيق المحامي عبود الشالجي. دار صادر، بيروت 1971 ـ 1973م.

44ـ الفرج بعد الشدة. 5 جـ

تحقيق المحامي عبود الشالجي. دار صادر، بيروت 1978م.

ـ **التوحيد**: أبو حيان علي بن محمد بن العباس (ت 414هـ/ 1014م)

45ـ البصائر والذخائر.

تحقيق إبراهيم الكيلاني. مكتبة أطلس، دمشق 1384هـ/ 1964م.

ـ **الثعالبي**: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري

(ت 430هـ/ 1038م)

46ـ لطائف المعارف، دار احياء الكتب العربية، القاهرة 1379هـ/ 1960م.

47ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، 4 جـ

تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. القاهرة 1956م.

ـ **الجهشياري**: ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت 331هـ/ 942م)

48ـ الوزراء والكتاب. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ

شلبي، القاهرة 1357هـ/ 1938م.

ـ **الحسيني**: صدر الدين أبو الحسن علي بن ناصر(ت بعد 662هـ/ 1264م)،

49 ـ أخبار الدولة السلجوقية (زبدة التواريخ)، تحقيق محمد نور الدين. دار اقرأ، بيروت 1986.

ـ **الخطيب البغدادي**: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت 463هـ/ 1071م)،

50 ـ تاريخ بغداد، أو مدينة السلام، 20 جـ

تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. دارالكتب العلمية. بيروت 1997م.

ـ **الدينوري**: أبو حنيفة أحمد بن داود (ت 282هـ/ 895م)

51ـ الأخبار الطوال. دراسة وتوثيق عصام محمد الحاج علي، دار الكتب العلمية. بيروت 1421هـ/ 2001م.

ـ **الذهبي**: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت 748هـ/ 1347م)

52ـ دول الاسلام، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت 1985م.

ـ **السلاوي**: أبو العباس أحمد بن خالد الناصري،

53ـ الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. 10 جـ

الدار البيضاء 1954.

ـ **السمهودي: نور الدين:** (ت 911هـ/ 1505م)

54ـ وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة رابعة 1404هـ

ـ **السيوطي**: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م)

55ـ تاريخ الخلفاء. تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. مطبعة الفجالة، القاهرة، طبعة رابعة 1389هـ/ 1969م.

56ـ المستظرف في أخبار الجواري.

تحقيق صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، بيروت طبعة أولى 1963م.

ـ **الشابشتي**: أبو الحسن علي بن محمد (ت 388هـ/ 998م)

57ـ الديارات، تحقيق كوريكوس عواد. مكتبة المثنى بغداد طبعة ثانية 1966م.

ـ **الشهرستاني**: أبو الفتح محمد بن عبد الكريم.

58ـ الملل والنحل، تحقيق محمد سيد كيلاني، بيروت 1975.

ـ **الصابئ**: أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم (ت 448هـ/ 1056م)

59ـ تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء (الوزراء)

وضع حواشيه خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت 1998م.

60 ـ رسوم دار الخلافة. تحقيق ميخائيل عواد، مطبعة الهاني، بغداد 1383هـ/ 1964م.

ـ **الصفدي**: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت 764هـ/ 1362م)

61ـ الوافي بالوفيات. 22 جـ فيسبادن 1382 ـ 1404هـ/ 1962 ـ 1984م.

ـ **الصولي**: أبو بكر محمد بن يحيى (ت 335هـ/ 946م)

62ـ الأوراق. أخبار الراضي بالله والمتقي لله، أو تاريخ الدولة العباسية من سنة 222هـ/ 837م إلى سنة 333هـ/ 944م.دار المسيرة، بيروت، طبعة ثالثة 1983م.

ـ **الطبري**: أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310هـ/ 923م)

63ـ تاريخ الأمم والملوك، 10 جـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف، القاهرة (د.ت). دار التراث، بيروت، طبعة ثانية 1380هـ/ 1960م.

ـ **العتبي: أبو نصر محمد بن عبد الجبار** (ت 428هـ/ 1036م)،

64ـ تاريخ اليميني (حياة محمود الغزنوي وجهاده).

ـ **العسقلاني**: أحمد بن علي بن حجر،

65ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت 1989م.

ـ **الفاسي**: تقي الدين محمد بن أحمد،

66ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، 2 جـ

تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت 1985م.

ـ **القزويني**: زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)

67ـ آثار البلاد وأخبار العباد، غوتنغن 1848.

ـ **القفطي**: جمال الدين علي بن يوسف بن ابراهيم بن عبد الوهاب

(ت 646هـ/ 1248م)

68ـ إخبار العلماء بأخبار الحكماء

تحقيق أمين الخانجي، مصر 1326هـ/ 1908م. ودار الآثار. بيروت (د.ت).

ـ **الماوردي**: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ/ 1058م)

69ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، دار الكتب العلمية. بيروت (د. ت).

ـ **مجهول** (منتصف القرن الثالث الهجري)

70ـ أخبار الدولة العباسية (أخبار العباس وولده)، تحقيق عبد العزيز الدوري، وعبد الجبار المطلبي، بيروت 1971.

71ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق. تحقيق نبيلة عبد المنعم داود. النجف 1972.

ـ **المستوفي**: حمد الله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر القزويني

72ـ تاريخ كزيدة، نشر عبد الرحمن نوائي، طهران 1917 ـ 1920.

ـ **المسعودي**: أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت 346هـ/ 957م)

73ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر. 4 جـ

تحقيق محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1966م.

74ـ التنبيه والاشراف. دار مكتبة الهلال، بيروت 1401هـ/ 1981م.

ـ **مسكويه**: أحمد بن محمد (ت 421هـ/ 1030م)

75ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم.

تحقيق هـ ف. آمدروز، مطبعة شركة التمدن الصناعية، مصر 1914م.

ـ **المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمد** (ت 380هـ/ 990م)

76ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، بيروت 1987.

ـ **المقري**: أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041هـ/ 1613م)

77ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 10 جـ

ـ تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة 1949.

ـ **المقريزي**: تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي (ت 845هـ/ 1441م)

78ـ المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، 2 جـ القاهرة 1853.

79ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا،

80ـ شذرات العقود في ذكر النقود،

ـ جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية 1957م.

ـ **نظام الملك**: أبو علي حسين بن علي بن حسين الطوسي (ت 485هـ/ 1092م)

81ـ سياسة نامة (سير الملوك)، تحقيق محمد قزويني. طهران 1915.

ـ **الهمداني: محمد بن عبد الملك بن ابراهيم** (ت 521هـ/ 1121م)

82ـ تكملة تاريخ الطبري،

تحقيق البرت كنعان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1958م.

ـ **ياقوت الحموي**: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي

الرومي البغدادي (ت 626هـ/ 1229م)

83ـ معجم البلدان. 5 جـ تحقيق فرديناند وستنفلد، دار صادر، بيروت 1995م.

ـ **اليعقوبي**: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح

(ت 282هـ/ 895م)

84ـ التاريخ. جزآن. دار صادر، بيروت، طبعة سادسة 1415هـ/ 1995م.

85ـ البلدان، طبعة دي غويه، ليدن 1892م.

ثانياً: المراجع العربية

ـ أحمد، محمد حلمي،

1ـ الخلافة والدولة في العصر العباسي.

ـ أمين، أحمد،

2ـ ظهر الإسلام، 3 جـ القاهرة، طبعة ثانية 1964م.

3ـ الفتوة والصعلكة، القاهرة 1952.

ـ الأمين، حسن

4ـ الرضا (ع) والمأمون وولاية العهد وصفحات من التاريخ العباسي.

دار الجديد، بيروت 1995.

ـ الأنباري، عبد الرزاق

5 ـ منصب قاضي القضاء في الدولة العباسية،

الدارالعربية للموسوعات، بيروت، طبعة أولى 1987م.

ـ **أنيس، إبراهيم** وآخرون،

6ـ المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، دار المعارف، طبعة ثانية، مصر 1973.

ـ أيوب، إبراهيم.

7 ـ التاريخ العباسي السياسي والحضاري، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة ودار الكتاب العالمي والدار الأفريقية العربية، بيروت، طبعة أولى 1989م.

ـ الجومرد، عبد الجبار.

8ـ أبو جعفر المنصور، دار الطليعة، بيروت 1963.

9ـ **هارون الرشيد** ـ حقائق عن عهده وخلافته، شركة المطبوعات، بيروت 1999م.

ـ الحاج، علي، عصام.

10ـ الأساس في تاريخ بني العباس، دار المواسم، بيروت 1424هـ/ 2003م.

ـ حسن، حسن إبراهيم.

11ـ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي. 4 جـ

مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، طبعة سابعة 1964م.

ـ حسن محمد، نبيلة.

12ـ في تاريخ الدولة العباسية، دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية (بدون تاريخ).

ـ الحسين، قصي.

13ـ موسوعة الحضارة العربية (العصر العباسي)

دار الهلال ودار البحار، بيروت 2005.

ـ حلمي، أحمد كمال الدين.

14ـ السلاجقة في التاريخ والحضارة، ذات السلاسل، الكويت طبعة ثانية، 1986.

ـ حمادة، محمد ماهر.

15 ـ الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر العباسي الأول (132 ـ 247هـ) مؤسسة الرسالة، بغداد (د. ت).

ـ حمود، سوزي.

16ـ الأندلس في العصر الذهبي، دار النهضة العربية، بيروت 2009.

17ـ لبنان في العصر الوسيط.

دار النهضة العربية، بيروت 2009.

18ـ الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي الإسلامي. دار النهضة العربية، بيروت 2010.

ـ الخضري، محمد بك.

19ـ الدولة العباسية. مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت 1415هـ/ 1995م.

ـ الخطيب، نشأت نور الدين.

20 ـ المجتمع العباسي. دار الشمس، بيروت 1996م.

- **الدوري، عبد العزيز.**

21ـ العصر العباسي الأول، دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت طبعة ثالثة 2012.

- **الديوجي، سعيد.**

22 ـ الفتوة في الإسلام، 1940.

- **الرحيم، عبد الحسين مهدي.**

23ـ العصر العباسي الأول، المؤهلات والانجازات،

دار الكتب الوطنية، بنغازي 2002م.

- **رفاعي، أحمد فريد.**

24 ـ عصر المأمون، دار الكتب المصرية، القاهرة 1928م.

- **الزركلي، خير الدين.**

25ـ الأعلام (قاموس تراجم)، 14 ج،.

دار العلم للملايين، بيروت، طبعة سادسة 1983م.

- **سخنيني عصام.**

26ـ العباسيون في سنوات التأسيس. المؤسسة العربية للنشر، بيروت، د.ت.

- **شاكر، محمود.**

27ـ الأمين والمأمون، المكتب الاسلامي، بيروت 2001.

- **شبارو، عصام.**

28ـ قاضي القضاة في الإسلام، دار مصباح الفكر، بيروت 1990م.

29 ـ تاريخ المشرق العربي الإسلامي، دار الفكر، بيروت 1999.

30ـ الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود. دار النهضة العربية، بيروت 2002.

- **شلبي، أبو زيد.**

31ـ الدولة العباسية (العصر الذهبي). دار التأليف، مصر 1969.

ـ طقوش، محمد سهيل.

32ـ تاريخ الدولة العباسية. دار النفائس، بيروت، طبعة سابعة 2009.

ـ العاني، حسن فاضل زعيق.

33 ـ سياسة المنصور الداخلية والخارجية. المطبعة العربية، بغداد (د.ت).

ـ العش، يوسف.

34ـ تاريخ عصر الخلافة العباسية. مراجعة وتنقيح محمد أبو الفرج العش. دار الفكر، دمشق طبعة تاسعة 2009.

ـ العبادي، أحمد مختار.

35ـ في التاريخ العباسي والفاطمي. دار النهضة العربية، طبعة ثانية 1971م.

ـ عكاشة، ثروت.

36ـ موسوعة التصوير الإسلامي.

مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، طبعة أولى 2001م.

ـ العنيسي، طوبيا.

37ـ تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية، دار العرب، القاهرة 1965م.

ـ فوزي، فاروق عمر.

38ـ الخليفة المجاهد هارون الرشيد. دار الشؤون الثقافية بيروت 1989.

39ـ الخلافة العباسية. جزآن. دار الشروق، عمان 1998م.

ـ الكبي، زهير.

40ـ موسوعة خلفاء المسلمين، جزآن، دار الفكر العربي، بيروت 1947م.

ـ كحالة، عمر رضا.

41 ـ أعلام النساء، المطبعة الهاشمية، دمشق، طبعة ثانية 1959م.

ـ الليثي، سميرة مختار.

42ـ جهاد الشيعة في العصر العباسي الأول. دار الجيل، بيروت (د.ت).

ـ محمود (حسن أحمد) والشريف (أحمد إبراهيم).

43ـ العالم الاسلامي في العصر العباسي. القاهرة 1966م.

ـ مختار باشا، اللواء محمد.

44ـ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية. مجلدان.

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، القاهرة طبعة أولى 1400هـ/ 1980م.

ـ مصطفى، شاكر.

45ـ دولة بني العباس. وكالة المطبوعات، الكويت د.ت.

ـ مطر، فوزية حسين.

46ـ تاريخ وعمارة الحرم المكي الشريف. تهامة ـ جدة 1982م.

ـ المعاضيدي، خاشع والجميلي، رشيد عبدالله.

47ـ تاريخ الدويلات الاسلامية في العصر العباسي. جامعة بغداد، 1979م.

ـ مكية، محمد.

48ـ بغداد. دار الوراق، لندن طبعة أولى 2005.

ـ مؤنس، حسين.

49ـ أطلس تاريخ الإسلام. الزهراء الاعلام العربي، مصر د.ت.

ـ الوكيل، محمد السيد.

50ـ العصر الذهبي للدولة العباسية (دراسة وضعية تحليلية).

الدار الشامية، بيروت، ودار القلم دمشق 1998.

ثالثاً: المراجع المعربة

- **ابن العبري**، غريغوريوس الملطي (ت 685هـ/ 1286م).

1 ـ **تاريخ الزمان**.

نقله إلى العربية اسحاق أرملة، بعنوان **تاريخ مختصر الدول**، بيروت 1987م، ودار المشرق، طبعة ثالثة، بيروت 1992م.

- **أبوت، نابيا**.

2 ـ **ملكتان في بغداد**.

ترجمة عمر أبو النصر، بيروت 1969م.

- **الراوندي**، أبو بكر محمد بن علي بن سليمان (ت 603هـ/ 1207م)

3 ـ **راحة القلوب وآية السرور (أعلام الملوك)**

تعريب إبراهيم الشواربي وعبد النعيم حسين وفؤاد الصياد. القاهرة 1960.

- **رشيد الدين** فضل الله بن عماد الدولة أبي الخير (ت 718هـ/ 1318م)

4 ـ **جامع التواريخ (تاريخ خلفاء جنكيزخان من أوكتاي إلى تيمور)**

نقله عن الفارسية فؤاد الصياد، دار النهضة العربية، بيروت 1983.

5 ـ **جامع التواريخ (تاريخ المغول ـ هولاكو)**

نقله عن الفارسية محمد صادق نشأت ومحمد موسى الهنداوي وفؤاد الصياد. القاهرة 1960.

- **لسترانغ غي**

6 ـ بغداد في عهد الخلافة العباسية

ترجمة بشير يوسف فرنسيس، المطبعة العربية، بغداد 1936م.

- **النرشخي**، أبو بكر محمد بن جعفر

7ـ **تاريخ بخارى**

ترجمة أمين عبد المجيد بدوي ونصر الله الطرازي.

دار المعارف، مصر 1965.

ـ هاري وهازارد

8 ـ أطلس التاريخ الاسلامي

ترجمة زكي خورشيد، مكتبة النهضة المصرية.

رابعاً: الرسائل والأطاريح الجامعية

ـ الجوادي، موفق سالم نوري

1ـ **العلاقات العباسية البيزنطية، في العصر العباسي الأول (132 ـ 147هـ)**

رسالة ماجستير، جامعة الموصل 1986.

ـ حمود، سوزي

2ـ **دور المرأة السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي في البلاط العباسي الثاني**

أطروحة دكتوراه، بإشراف الدكتور عصام شبارو، جامعة بيروت العربية 2008.

ـ خلف، أحمد محمد

3 ـ **الأوضاع السياسية في العصرين العباسيين الأول والثالث** ـ دراسة مقارنة.

رسالة ماجستير باشراف الدكتور عصام شبارو، جامعة بيروت العربية 2013.

ـ خماس، خلود مصطفى

4 ـ **المظاهر الحضارية في الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي الأول (عمارة المدن والقصور).**

أطروحة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية، بغداد 2004.

ـ خوشي، أزهر عباس

5 ـ **بغداد في عهدي الأمين والمأمون.**

رسالة ماجستير، باشراف أ. د عصام شبارو، جامعة بيروت العربية، بيروت 2013.

ـ عبد الرزاق، زاهدة عبدالله

6 ـ الخليفة العباسي محمد الامين

أطروحة دكتوراه ـ كلية الآداب ـ جامعة بغداد 1988.

ـ محمد، نادية جاسم

ـ ولاية العهد في العصر العباسي الأول

رسالة ماجستير، جامعة الموصل 2006م.

ـ المسعودي، قيس عبد الواحد

8ـ الدواوين في العصر العباسي الأول (132 ـ 232هـ)

رسالة ماجستير، جامعة بغداد 1989.

فهرست المحتويات

المرحلة الثالثة

النفوذ التركي

(232 ـ 334هـ/ 846 ـ 945م)

المرحلة الخامسة

النفوذ السلجوقي «التركي»

(447 ـ 590هـ/ 1055 ـ 1194م)

المرحلة السادسة

استقلال الخلافة العباسية بملك العراق

وسقوط بغداد على يد المغول

الصور

أعمال المؤلف

1 ـ الأندلس في العصر الذهبي منذ حملة طارق بن زياد إلى وفاة عبد الرحمن الثالث «الناصر لدين الله» دار النهضة العربية، بيروت 2008 [124 صفحة]

2 ـ لبنان في العصر الوسيط منذ العهد الراشدي إلى نهاية عهد المماليك [143 صفحة]. دار النهضة العربية، بيروت طبعة أولى 9002، وطبعة ثانية 2010.

3 ـ الفاطميون والزنكيون والأيوبيون والمماليك وصراعهم حول السلطة في المشرق العربي. دار النهضة العربية، بيروت 2010 [199 صفحة]

4 ـ الصراع بين العرب وتسلط غير العرب في الدولة العباسية [189 صفحة] دار مصباح الفكر، بيروت 2011.

5 ـ مدخل إلى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام (التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني) [148 صفحة].

دار مصباح الفكر، بيروت 2012.

6 ـ الصراع بين العباسيين والعلويين وأثره في تفتت الدولة العباسية في العصرين الثاني والثالث [140 صفحة]

بحث فردي مقدم إلى المعهد العالي للدكتوراه في الجامعة اللبنانية 2013 (تحت الطبع).

7 ـ الدولة العباسية مراحل تاريخها وحضارتها دار النهضة العربية ـ بيروت 2014 [287 صفحة].